

أمهات الأئمة المعصومين

الجزء الأول

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣ ؛ ٧٧٣

الموسوي الصافي، حسين.

أُمهَّات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد علي الحلو. - الطبعة الأولى . - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٦ق. = ٢٠١٥م.

٢ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛١٥٣)

المصادر.

١. النساء المقدسات في الإسلام - سيرة. ٢ . الأربعة عشر معصوم - أُمهَّات. ٣ . فاطمة الزهراء (س)، ٨؟ق.هـ - ١١ هـ. - العصمة. ٤ . النساء المقدسات في الإسلام - دفع مطاعن. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - م، مقدم. ب . العنوان. ج . السلسلة.

BP 52 . M85 2015

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

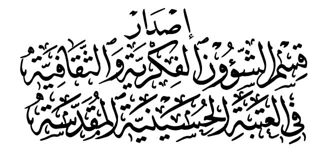
أمهات الأئمة المعصومين

دراسة تاريخية تحليلية علمية

تأليف

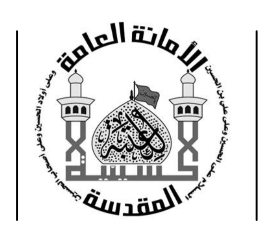
الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي

الجزء الأول



الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الإهداء

إلى أمّ أبيها وبضعة نبيها والحجة على من يليها

سيدة نساء العالمين أمّ الحسن والحسين عليهما السلام...

إلى جميع أُمَّهات الأنبياء والأوصياء المعصومين...

إلى مَن غذتني الولاء وأسعدتني بعد الفناء

وأبعدتني عن الشقاء إلى والدتي الحنونة...

إلى مَن شاطرتني الحياة وشاركتني المأساة

وَصَبرت على تخطي العقبات إلى أمّ أبنائي..

مقدمة اللجنة العلمية

تندرجُ كثيرٌ من البحوث في غياهب التحقيق الكلي، الذي لـم يثبـت أهميـة هذه لبحوث إلا ما وقع منها في مطاوي السير التحقيقي، ولعل الكثيـر منهـا يحمـل أهميتـه وخطورتـه بـشكلٍ ينـسجمُ فـي تثبيـت الحـصيلة النهائيـة التـي يخـرجُ بهـا الباحث، إلاّ أن هذه البحوث لم تكن من أولوياته واهتماماتـه مع أهميتهـا بـشكلٍ يحتم على الباحث أن لا يغفل عنها، فيعيد النظر في قراءته لبحوثٍ كهذه مع أنهـا غير معنونةٍ بعنوان، ولا مندرجةٍ تحت قضيةٍ بحثية مستقلة، ولم تزل هذه البحـوث تفرض أهميتها على الباحث ومن ثـم القـارئ فهـي إذن لـم تكـن ثانويـة حقـاً بـل بحوث لها أهميتها وقيمتها العلمية، ومن تلك البحوث التي غفل عنهـا المحققـون، البحث عن أُمَّهات المعصومين حيث لم يفرد لها المحققون عنواناً خاصاً بل اكتفوا بالبحوث الفرعية التي تأتي استطراداً في سيرة المعصومين عليهم السلام، فالباحث لا يمكن لـه أن يتعـدى أُمَّهـات المعـصومين إذ البحـث عـنهن يعـد جـزءاً مكمـلاً للوقوف على سيرتهم إلا أنه لا يتعدى الأمر عن ذكر نتفٍ عن حياتهن دون الغور إلى عوالم التحقيق لحياتهن الشريفة، وهذا ما يجعـل البحـث مخـلاً غيـر جـادٍ فـي

أحيان أخرى.. إذن لا تُعد بحوث حياة أُمَّهات المعصومين من الترف الفكري الذي يتعرض إليه بعضهم، بل فرضت هذه التحقيقات أهميتها على الباحث ليجد مسلكاً علمياً خطيراً يدخلُ في ترجمة بعض فترات الحقب التي عاشها أهل البيت عليهم السلام ولعل ما يعزز هذا الأمر هو أهمية معالجة الكثير من الشبهات التي تدخل في إطار التنقيب البحثي الذي يقدّم نتائجه للباحث على أساس المسلك العلمي الدقيق.

من هنا وجد الباحث الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي الذي أعد بحثاً مهماً في شأن "أُمَّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام" والذي حاول من خلاله معالجة الكثير من القضايا المهمة التي تدخل في معرفة مقطعٍ مهمٍ من سيرتهم عليهم السلام، وبذلك يخلص البحث إلى التعريف بأهمية أُمَّهاتهم عليهم السلام كونهن الوعاء المقدس للمعصوم، فالبحث يعالج النظرة التاريخية بأسلوبٍ تحليلي فضلاً عن السمة العلمية التي تُعطي بُعداً آخر لمحطات تاريخية مهمة لا غنى للباحث عنها ومراعاتها.

عن اللجنة العلمية

السيد محمدعلي الحلو

المقدمة

الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق والصلاة والسلام على رسوله وآل بيته الطيبين الطاهرين.

إنّ الشرع الحنيف أولى اهتماماً في بيان بعض المزايا والصفات الكمالية العالية التي تتمتع بها أُمّ المعصوم سواء في المجال العلمي أم العملي، المادي أم المعنوي، فعندما يذكر القرآن الكريم السيدة مريم عليها السلام (أُمَّ نبي الله عيسى عليه السلام) فقد يكشف أنّها محدثة الملائكة ومطهرة من كل شائبة، وقد احتلت مرتبة الاصطفاء من قِبَل الله وأصبحت سيدة نساء عالمها، كما يتضح من قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾**[1]، وأيضاً قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾**[2]، فإنّ الكمال الروحي والمعنوي الذي تجسّد في كيان السيدة

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٤٥.

مريم عليها السلام قد أهّلها لكل هذه المزايا ولأن تكون وعاءً وحجراً لنبيٍّ من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، كما بشرها الله بهذه المنقبة العظيمة.

وهكذا الحال في أمّ نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام (السيدة يوخابيد عليها السلام)، فقد خصها الله بالإيحاء واليقين والإيمان، كما في قوله تعالى ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[1]، فقد أوحى الله لها وصدقته وامتثلت أوامره بكل ثقة ويقين في أحلك الظروف، حتى أنّ البعض قال هذا يقتضي ظهور المعجز لها من وجهين: أحدهما الوحي وهو معجز، والثاني أنها عليها السلام لا يجوز أن تقدم على جعل ولدها في التابوت وطرحه في اليم إلا بعد اليقين بأن الآمر لها بذلك هو القديم سبحانه ولا سبيل إلى ذلك إلا بظهور معجز تعلم به أن الخطاب المتضمن لذلك وحي منه سبحانه[2].

وقد بشّر الله أُمَّ نبي الله إسحاق ويعقوب عليهما السلام (السيدة سارة عليها السلام) بقوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾[3]، فهنا خصّها الله بالبشارة وقد حدثتها الملائكة وحدثتهم، وأنّها من أهل

---

(١) القصص: ٧.

(٢) الكافي للحلبي، أبو الصلاح الحلبي، ص ١٠١.

(٣) هود: ٧٠-٧٣.

البيت الذين خصّهم الله بالرحمة. وهكذا سبيل باقي أُمَّهات المعصومين عليهم السلام من الأنبياء وغيرهم.

وقد جعل الله السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج؛ إحياءً لذكرى سعي السيدة هاجر عليها السلام (أمّ نبي الله إسماعيل عليه السلام) واحتفالاً بعملها، واستحباب الهرولة في محل الوادي الذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود إحياءً لذكرى هرولتها هناك.

فنستفيد من خلال هذه الرؤية السماوية في حق أُمَّهات الأولياء المعصومين عليهم السلام أمرين، أولاً: أنّ هناك رابطة وعليّة ليس فقط في طهارة وعفاف والدة المعصوم عليه السلام، بل لابد أنّ تكون بالمستوى اللائق والمطلوب من صفات وأبعاد كمالية عالية تنسجم مع ما تحمل من أمانة عظيمة وهي حجة الله في خلقه، فالأمّ لها الأثر الكبير في تغيير حال الابن على المستوى المادي والمعنوي، وهذا بخلاف مجرد الزوجة فلم تكن هناك ثمة رابطة وعليّة في البين، فلذلك نجد القرآن الكريم قد كشف عن ذمّ وسوء عاقبة بعض أزواج الأنبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[(١)].

وثانياً: إنّ في إعطائه سبحانه وتعالى هذه الأهمية في بيان وذكر المزايا الإيجابية لأُمَّهات المعصومين عليهم السلام يمكن أن تكون فيه إشارة في توجيه الأنظار

---

(١) التحريم: ١٠.

إلى الاهتمام بدراسة وبيان سيرة أُمّ المعصوم عليه السلام وبيان صفاتها ومدى إيمانها، لاسيما أُمَّهات أهل البيت عليهم السلام فإنّهن لسن أقل شأنا من أُمَّهات الأنبياء عليهم السلام، لكن مع الأسف لم نجد اهتماماً بدراسة وبحث سيرة أُمَّهات المعصومين عليهم السلام لاسيما سيرة أُمَّهات ما بعد الزهراء عليها السلام، فقد همشت إذا لم نقل أهملت، فلم نعثر على دراسة لا من القدماء ولا من المتأخرين ولا من المحدثين ولا من المؤرخين إلا الشتات من الروايات وغيرها، مع أنّها من المواضيع الساخنة والتي لها صلة بالاعتقادات وما إليها. ونحن بعون الله قد وضعنا هذه الدراسة بعد ما لاحظنا أنّ هناك فراغاً في عالم السيرة والتاريخ في هذا الجانب، ولم نقتصر في هذه الدراسة على سرد التاريخ وما إليه، بل انتحلنا النهج العلمي الاستقرائي التحليلي، ومناقشة الآراء بالأدلة المنطقية لاسيما في المواضيع العقدية والقريبة منها، والرجوع إلى المصادر المعتبرة عند الفريقين، بالإضافة إلى ذكر المواضيع التي لها صلة في الموضوع أو القريبة منه، من قبيل ذكر أزواج المعصوم وما شاكله، ونأمل أن تكون هذه الدراسة خطوة للشروع في دراسات معمقة وتحقيقات منتظمة من قبل المختصين وغيرهم. سائلين المولى القبول والتسديد.

المؤلف

١٥/ شعبان/ ١٤٣٢

التمهيد

آثار الأمّ على الجنين

تحظى الأمّ بمكانة رفيعة لا تقل أهمية عن مكانة الأب إذا لم تزد عليها، وهذا ما أكده الشّرع الحنيف وفسّره العلم الحديث، فهي بمثابة المنعطف الكبير لتأهيل البشر وإعداد الأجيال، حيث أنّ المجتمعات عبارة عن شعوب وقبائل وأسر، ونواة هذه الأسر الزوج والزوجة (الأبوان) فهما أصل التكاثر البشري بما جعلته الحكمة الإلهية لاستمرار الحياة الإنسانية في عالم الدنيا، ولو لاحظنا ذلك لوجدنا الأمّ أكثر تأثيراً وانفعالاً وأنها لها الحظ الكبير في إعداد الأجيال على الصعيد المادي والمعنوي.

ومن هنا نرى أقلام العلماء وقرائح الأدباء تصفها بمدح لا يضاهى حيث قالوا: المرأة نصف المجتمع، وانّها تهزُّ المهد في يد والعالم في يدها الأخرى، وقول الشاعر:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق [1]

---

(١) التعديل والتجريح، سليمان بن خلف الباجي، ص٥٧.

دور الأمّ

صحيح أن رحم المرأة يكون بالنسبة إلى نطفة الرجل كالأصيص بالنسبة إلى البذرة إلا أن الأمر يختلف تماماً في موضوع تكوين الخلية التناسلية، إذ ليست نطفة الرجل هي الخلية التناسلية الكاملة - كما كانت البذرة – وإنما المرأة تكون الشريك الأهم للرجل في الوهلة الأولى، كما أشار لذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾[1].

أي أنّ الله خلق الإنسان من نطفة مركبة وممزوجة من حويمن الرجل وبويضة المرأة كليهما.

وكذلك رحم الأمّ يتحمل في المرحلة الأولى نصف مسؤولية عملية التلقيح، ثم ينفرد في أنه يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالنطفة لمدة تسعة أشهر كاملة في داخله حتى يصنع إنساناً كاملاً.

وجدير بنا أن نذكر دور الأم في هذه المرحلة بحسب ما أفادنا به العلم الحديث: ويكون ردّاً على هذا السؤال: من أن البويضة التي تحتويها المرأة هي أكبر خلية في جسم الإنسان، حيث تبلغ في قطرها (٢٠٠) ميكرون، بينما الحيوان المنوي الذي يضعه الرجل لا يزيد عن خمسة ميكرونات (لكن مع هذا المستوى من صغر الحيوان المنوي فأنه يساهم بنصف مكونات الجنين تماماً كما تساهم البويضة)، فما هو السبب في كبر حجم البويضة، وصغر حجم الحيوان المنوي؟

---

(١) الإنسان: ٢.

وقد أجابوا: إنّ البويضة هي المسؤولة عن تغذية النطفة الأمشاج، المكونة من كروموسومات الحيوان المنوي (الأب) وكروموسومات البويضة (الأم)، وعليها أن تقوم بالتغذية حتى تعلق النطفة، وتنشب في جدار الرحم لتصبح العلقة، فتعطيه من دمائها وتوفر له الغذاء والهواء والحماية من السموم التي يفرزها جسمه أثناء نموه، حتى يأذن الله بخروجه متكامل البناء سوي الأعضاء [١].

فمن هنا نفهم أن دور الأُم في التغذية والرعاية يبدأ من أول لحظة دخول النطفة في الحياة، فلا غرور أن جعل لها الإسلام مكانة عظيمة، وأعطاها المقام الأول في البر والصلة والطاعة وقدمها على الأب ثلاثاً، وجعل الجنة تحت أقدامها، كما روي عن النبي الأكرمﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأُمَّهات**» [٢].

وعن أبي القاسم الكوفي قال: قال رجل لرسول اللهﷺ: إن والدتي بلغها الكبر، وهي عندي الآن، أحملها على ظهري، وأطعمها من كسبي، وأميط عنها الأذى بيدي، وأصرف عنها (مع ذلك) وجهي استحياءً منها وإعظاماً لها، فهل كافأتها؟ قالﷺ: «**لا؛ لأن بطنها كان لك وعاء، وثديها كان لك سقاء، وقدمها لك حذاء، ويدها لك وقاء، وحجرها لك حواء، وكانت تصنع ذلك لك وهي تمنى حياتك، وأنت تصنع هذا بها وتحب مماتها**» [٣].

وأيضا قالﷺ: «**إذا كنت في صلاة التطوع، فان دعاك والدك فلا**

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص١٦٤.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٥ ص١٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

تقطعها، وان دعتك والدتك فاقطعها»[١].

وعن الباقر عليه السلام، أنّه قال: «**قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب، أوصني، قال: أوصيك بي، قال فقال: رب أوصني، قال: أوصيك بي، ثلاثاً، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: رب أوصني، قال: أوصيك بأبيك، قال: (فكان يقال) لأجل ذلك أن للأم ثلثي البر وللأب الثلث»**[٢].

وعن مهر بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: «**قلت للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، من أبرر؟ قال: أمك قلت: ثم من؟ قال: ثم أمك قلت: ثم من؟ قال: ثم أمك قلت: ثم من؟ قال: ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»**[٣]. وأيضا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **إنّ للأم ثلثي البر وللأب الثلث**[٤]. وغيرها من الروايات المستفيضة التي تؤكد على برّ الوالدين لاسيما الأم بالذات، وهذا يعبّر عن مدى أهمية الأم في المجتمع.

الصفات الوراثية

حُدِّدَتْ الوراثة بأنها مشابهة الفرع لأصله، ولا تقتصر على المشابهة في المظاهر الشكلية وإنما تشمل الخواص الذاتية، والمقومات الطبيعية، كما نص على

---

(١) المصدر نفسه، ج١٥ ص١٨١.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٦٠٢.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٥ ص١٨١.

(٤) راجع: مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٥ ص ١٨٠.

ذلك علماء الوراثة وقالوا: أن ذلك أمر بيّن في جميع الكائنات الحية فبذور القطن تخرج القطن، وبذور الزهرة تخرج الزهرة، وهكذا غيرها، فالفرع يحاكي أصله ويساويه في خواصه وأدق صفاته، كما يقول بعض العلماء: «**إنّ كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع...**». وأكد هذه الظاهرة (هكسلي) بقوله: «إنه ما أثر أو خاصة لكائن عضوي إلا ويرجع إلى الوراثة أو إلى البيئة فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيتحقق، فالتكوين الوراثي إذن ليس إلا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص... »[1].

ومعنى ذلك أن جميع الآثار والخواص التي تبدو في الأجهزة الحساسة من جسم الإنسان ترجع إلى العوامل الوراثية وقوانينها، والبيئة تقرر وقوع تلك المميزات وظهورها في الخارج، فإذن ليست البيئة إلا عاملاً مساعداً للوراثة، حسب البحوث التجريبية التي قام بها الاختصاصيون في بحوث الوراثة.

وكيف كان قد أكد علماء الوراثة بدون تردد أن الأبناء والأحفاد يرثون معظم صفات آبائهم وأجدادهم النفسية والجسمية، وهي تنتقل إليهم بغير إرادة ولا اختيار، وقد جاء هذا المعنى صريحاً فيما كتبه الدكتور (الكسيس كارل) عن الوراثة بقوله: «يمتد الزمن مثلما يمتد في الفرع إلى ما وراء حدوده الجسمية، وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية، فهو مرتبط بالماضي والمستقبل، على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر...

(١) انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١ ص ٤٣.

وتأتي فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة، ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في أنسجة أبوينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً لأننا مصنوعون من مواد آبائنا وأُمَّهاتنا الخلوية، وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل... ونحمل في أنفسنا قطعاً ضئيلة لأعدادٍ من أجسام أسلافنا، وما صفاتنا ونقائصنا إلا امتداد لنقائصهم وصفاتهم»[(١)].

وقد اكتشف الإسلام - قبل غيره - هذه الظاهرة، ودلل على فعاليتها في التكوين النفسي والتربوي للفرد، وقد حث بإصرار بالغ على أن تقوم الرابطة الزوجية على أساس وثيق من الاختيار والفحص عن سلوك الزوجين، وسلامتهما النفسية والخلقية من العيوب والنقص، وأشار القرآن الكريم إلى ما تنقله الوراثة من أدق الصفات. قال تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[(٢)]. فالآية دلت بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وقد حفلت موسوعات الحديث بكوكبة كبيرة من الأخبار التي أُثِرَتْ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي تدلل على واقع الوراثة وقوانينها وما لها من الأهمية البالغة في سلوك الإنسان، وتقويم كيانه.

فإنّ ما اكتشفه علماء الوراثة اليوم، وتوصلوا إليه بأبحاثهم الدقيقة من

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، الدكتور. الكسيس كارل، ص٢٠٢.

(٢) نوح: ٢٦-٢٧.

وجود موجودات صغيرة داخل الكروموسومات تنقل الصفات الوراثية والتي أسموها (الجينات) ليس أمراً جديداً ومبتكراً، فالقرآن والرسول الأعظم والأئمة الطاهرونعليهم السلام - الذين كانوا يكشفون الحقائق بنور الوحي والإلهام- لم يغفلوا أمر هذا القانون الدقيق. بل أشاروا إليه وأطلق على عامل الوراثة فيها اسم (العرق).

وبعبارة أوضح: إنّ المعنى الذي يستفيده علماء الوراثة اليوم من كلمة (الجينة) هو نفس المعنى الذي عبرت عنه الأخبار بكلمة (العرق) وعلى سبيل المثال نذكر بعض الروايات الواردة في هذا المجال.

منها، عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «**وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس**»[1]. **ومنها**: عن النبيصلى الله عليه وآله: (**تزوجوا في الحجز الصالح**)، أي الأصل والمنبت الصالح وهو كناية عن العفة. (**فإن العرق دساس**)[2] أي إدخال بالتشديد؛ لأنه ينزع في خفاء ولطف، يقال دسست الشيء إذا أخفيته وأخملته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾ أي أخمل نفسه وأبخس حظها. وقيل: معنى دساس خفي قليل وكل من أخفيته وقللته فقد دسسته[3]. والمعنى: أنّ الرجل إذا تزوج في منبت صالح يجيء الولد يشبه أهل الزوجة في العمل والأخلاق ونحوهما وعكسه بعكسه.

---

(١) مسند الشهاب، ابن سلامة، ج١ ص٣٧٠.

(٢) أنظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١ ص٣٤٥. وميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢ ص١١٨٣.

(٣) راجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٣ ص ٣١٧

وذلك حينما نراجع المعاجم اللغوية في معنى كلمة (دساس) نجد أن بعضها - كالمنجد – يعلق على ذلك بالعبارة التالية: «العرق دساس أي: أن أخلاق الآباء تنتقل إلى الأبناء»[١].

فهذان الحديثان يتحدثان عن قانون الوراثة بصراحة، ويعبران عن العامل فيها بـ (العرق). فالنبيﷺ: يوصي أصحابه بأن لا يغفلوا عن قانون الوراثة، بل يفحصوا عن التربة الصالحة التي يريدون أن يبذروا فيها، لكي لا يرث الأولاد الصفات الذميمة.

ومنها: عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام قال: «**حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق**»[٢].

وهذا الحديث يثبت إمكان اكتشاف الطهارة العائلية للفرد من السجايا الفاضلة عنده.

ومنها: حديث محمد ابن الحنفية ابن الإمام عليعليه السلام كان حامل اللواء في حرب الجمل، فأمره عليٌّعليه السلام بالهجوم، فأجهز على العدو، لكن ضربات الأسنة ورشقات السهام منعته من التقدم فتوقف قليلاً... وسرعان ما وصل إليه الإمام وقال له: (احمل بين الأسنة) فتقدم قليلاً ثم توقف ثانية، فتأثر الإمام من ضعف ابنه بشدة فاقترب منه ووكزه بقائم سيفه وقال: **أدركك عرق من أُمِّك**[٣].

---

(١)المنجد، مادة دس.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، للآمدي، ص ١٦٧.

(٣) تتمة المنتهى، ص ١٧.

فهنا الحديث يعطينا صورة عملية عن الواقع الوراثي من لحاظ الجانب السلبي، وقد أثبت الإمامعليه السلام أن التراجع الذي ظهر واضحاً في ابنه محمد ليس موروثاً منهعليه السلام؛ لأنه وآباءَهُ لم يعرفوا للتوقف معنى قط، فلا بد وأن يكون ذلك من أمه؛ لأنها لم تكن من الفضيلة بدرجة تكون معها بمنزلة الصديقة الزهراء عليها السلام.

الصفات الوراثية السلبية

حذر علماء الاختصاص من انتقال الصفات الوراثية السلبية إلى الأبناء كالحمق والبلادة والبله فإنها تنتقل من الآباء والأُمَّهات إلى الأبناء، الأمر الذي يسبب أقسى أنواع شقاء المجتمع، فالفرد الأحمق يظل طوال سني عمره أسيراً للحرمان العقلي وعدم النضج الفكري مما يسبب للأمة مشاكل عديدة.

وقد توصل العلم الحديث، بعد التجارب العديدة والإحصائيات الدقيقة إلى خطر هذا النوع من الزواج، ولذلك أخذ العلماء يحذرون الناس منه بقولهم: «يجب أن يعلم كل فرد أن التزوج من الأسر المصابة بالجنون أو الحمق أو البلادة، أو الإدمان على الخمرة يؤدي إلى تحطيم كيان المجتمع وهدم قانون التكاثر والتناسل، مما يجر معه سلسلة من المعايب والجرائم التي لا تحمد عقباها»[1].

---

(١) نقلاً عن كتاب الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، ج ١ ص ٧٥.

وأيضاً لاحظ (كدار) في إحصائياته الدقيقة التي أجراها على الأسر التي كان آباؤها أو أُمَّهاتها مصابين بضعف العقل وجود (٤٧٠) طفلاً ضعيفي العقل منهم و (٦) فقط سالمين وبديهي أن إيجاد جيل منحط ومجرم وأبله يعد خيانة كبيرة [١].

وهذه الظاهرة لم يغفل عنها الشّرع الحنيف، فقد أدرك أخطارها فحذر المسلمين منها.

ولذا نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**إياكم وتزوج الحمقاء، فأن صحبتها بلاء وولدها ضياع**» [٢].

وأحسن تعبير عن الأولاد الناتجين من آباء أو أُمَّهات مصابين بالحمق هو الضياع.

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخبيثة يتزوجها الرجل، **قال: لا، ثم قال: إنّ كان له أمة وطئها ولا يتخذها أم ولده** [٣].

الآثار الوراثية لشرب الخمر

لقد انتشر شرب الخمر في كثير من دول العالم، وتكبلوا بهذا الداء الوبيل وأسراره، وهذا السم الفاتك لا يكتفي بتوجيه ضربات قاسية إلى المدمنين عليه فقط، بل يتعداهم إلى أطفالهم البريئين ويجعلهم يرزحون تحت كابوس

---

(١) راه ورسم زندكى، الكسيس كارل، ص ٧٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥ ص٣٥٤.

(٣) االمصدر نفسه، ج ٥ ص ٣٥٣.

الأمراض والعوارض المختلفة، فقد تترك الخمرة آثاراً سيئة على أجسام المدمنين عليها، ومن تأثيراتها فيهم إيجاد اختلالات في خلايا المخ والأعصاب مما تجعلهم أناساً غير اعتياديين، ومما يبعث على الأسف أن هذا الاختلال ينتقل إلى أولادهم، والنطف الحادثة من أناس مأسورين للخمرة تنتج أطفالاً منحرفين وغير اعتياديين في سلوكهم وتفكيرهم، إنّ قسماً كبيراً من المجانين الذين يقضون حياتهم في مستشفيات المجانين يئنون من ويلات انحراف آبائهم. كما ورد ذلك عن المختصين والمهتمين بهذا الشأن حيث قالوا: «إن قلة الذكاء واختلال القوة العاقلة تنشأ من المشروبات الروحية والسلوك المفرط في جميع جوانب الحياة، إنه لا ريب في وجود رابطة قوية بين استعمال المشروبات الروحية والضعف العقلي في مجتمع ما. ومن بين الدول المتقدمة علمياً وصناعياً نجد فرنسا أكثرها استعمالاً للخمرة في حين أنها أقل تلك الدول حصولاً على جوائز نوبل»[(١)].

وعليه لاحظ الإسلام جميع العوارض والويلات الناشئة من الخمرة، ونظر إلى آثارها السيئة في المدمنين عليها وفي أولادهم، فلم يكتف بتحريم عصرها والتعامل بها وتعاطيها على المسلمين من الجهة القانونية فقط، بل حذر من الاتصال الجنسي والتناكح مع شاربي الخمر بكل صراحة، وهناك جملة من الشواهد الروائية على ذلك.

منها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شارب الخمر لا**

(١) راجع: الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، ج ١ ص ٧٦.

يزوج إذا خطب[١].

ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **من زوج كريمته من شارب خمر، فقد قطع رحمها**[٢].

وبديهي أن يعتبر إنجاب أطفال مختلين (بدنياً وعصبياً وروحياً) قطعا لرحم المرأة التي بإمكانها أن تنجب أولاداً سالمين من غيره.

وغيرها من الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في هذا المجال، ولكن أشدها تحذيراً وأعظمها توبيخاً ما إذا حصل الاتصال الجنسي في حالة السكر، كما يتضح ذلك من حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « **أيما امرأة أطاعت زوجها وهو شارب الخمر، كان لها من الخطايا بعدد نجوم السماء، وكل مولود تلد منه فهو نجس، ولا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً حتى يموت زوجها، أو تخلع عنه نفسها**»[٣].

وقد نقل نص لأحد علماء الغرب بهذا الصدد عن الدكتور كاريل يقول: «إن سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعتبر جريمة عظيمة، لأن الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج»[٤].

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٧ ص ٣٩٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥ ص٣٤٧.

(٣) عوالي اللئالي، أبي جمهور الأحسائي، ص ٢٦٧.

(٤) راه زندكى، الكسيس كارل، ترجمة، دبيري، ص ٩١.

الأرحام الطاهرة

بالرغم من أن الأب والأم كليهما يشتركان في صنع الخلية الأولى للطفل ويتساوى دورهما فيه (ولهذا نجد أن الأطفال يكتسبون بعض صفاتهم من آبائهم وبعضها من أُمَّهاتهم) لكن الرحم هو الذي يصنع الطفل ويخرج تلك الذرة الصغيرة بصورة إنسان كامل. وإن جميع الاستعدادات التي كانت كامنة في تلك الخلية الأولية تظهر إلى عالم الفعلية في رحم الأم كما تقدم. إذن فالمقدرات التفصيلية للطفل من الصلاح والفساد، والجمال والقبح، والنواقص والكمالات الظاهرية والباطنية كلها تخطط في الرحم، فهناك مئات التفاعلات والتأثيرات الاختيارية والاتفاقية تمرُّ في طريق أصلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات، وتؤثر في الأطفال بصورة خفية حيث تظهر نتائجها جميعا في الرحم، والرحم هو آخر مراحل التأثيرات المختلفة الطارئة على تكوين الطفل، وعند عبوره هذه المرحلة يبدأ الحياة على الأرض.

إذن فالسعادة والشقاء التكوينيّان للإنسان يجب البحث عنهما في آخر المراحل وهو رحم الأم، ولهذا نجد الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين عليهم السلام (بالرغم من عنايتهم الشديدة بالتأثير المشترك لأصلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات حول سعادة الطفل وشقائه) يوجهون جل اهتمامهم إلى رحم الأم فيقولون: «**السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه**»[1].

ولهذا السبب اعتبرت الروايات رحم الأم هو الملاك في السعادة والشقاء،

---

(١) شرح أصول الكافي، صالح المازندراني، ج١ ص٢٣٢.

وأغفلت ذكر صلب الأب من حيث إنّه لا مندوحة لنا من القول بأن دور الأم في بناء الطفل يفوق دور الأب بكثير. نعم لو اكتفينا بملاحظة دور الأب والأم في تلقيح البويضة بواسطة الحيمن لإيجاد الخلية الأولى للطفل لكانا متساويين في ذلك الدور، إلا أن الواقع من أن الأم تتحمل في دور الحمل مسؤولية كبيرة وبالخصوص فيما يتعلق بأسلوب تغذي الأم ونوعه.

فإنّ دور الآباء في البناء الطبيعي للطفل ينتهي بعد انعقاد النطفة وحصول التلقيح، لكن دور الأم يستمر طيلة أيام الحمل، فالطفل يتغذى من الأم، ويأخذ منها جميع ما يحتاجه في بنائه. ولهذا فإن لسلامة الأم ومرضها، طهارتها ورذالتها، سكرها وجنونها... أثراً مباشراً في الجنين. وأشار إلى ذلك كاريل: «إنّ الأب والأم يساهمان بقدرٍ متساوٍ في تكوين نواة البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم الجديد ولكن الأم تهب علاوة على نصف المادة النووية كل البروتويلازم المحيط بالنواة، وهكذا تلعب دوراً أهم من دور الأب في تكوين الجنين».

وقال أيضا: «إنّ دور الرجل في التناسل قصير الأمد. أما دور المرأة فيطول إلى تسعة أشهر، وفي خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد كيمياوية ترشح من دم الأم من خلال أغشية الخلاص» [(١)].

إنّ الطفل أشبه ما يكون بعضو من أعضاء الأم تماماً، عندما يكون في بطنها، وجميع العوامل التي تؤثر في جسد الأم وروحها تؤثر في الطفل أيضا. وهذا بخلاف ما إذا ابتلي أب — بعد انعقاد النطفة - بشرب الخمرة أو العوارض الأخرى

---

(١) أنظر: الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كارل، ص ٧٩.

فإنها لا تؤثر في الطفل، لأن صلة الطفل بأبيه إنما تكون ثابتة إلى حين انعقاد النطفة فقط، لكن صلة الأم تستمر لمدة تسعة أشهر، وعليه فإذا أقدمت الأم - في أيام الحمل - على شرب الخمر فإن الجنين يسكر ويتسمم أيضا.

فإن أحد أسباب سلامة هيكل الطفل ورشاقة قوامه أو عدمها في أيام الحمل يتعلق بالغذاء الذي تتناوله الأم وهي حامل. وكذلك الغذاء الذي كان يتناوله الأب قبل انعقاد النطفة.

آثار الأرحام الملوثة

توجد بين النساء الملوثات بالانحرافات الجنسية طائفة معلنة بالفجور لا تملك الإيمان كي يراقبن الخوف من الله ولا تملك سمعة حسنة في المجتمع كي يخفن من انفضاح الأمر، ولذلك يرتكبن الزنا من دون اكتراث، ولا يرين فرقاً بين الاتصال القانوني وغير القانوني.

وقد حذر الإسلام الحنيف من هذه الشريحة الملوثة، كما ورد عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «**لا تتزوج المرأة المعلنة بالزنا ولا تزوج الرجل المعلن بالزنا إلا أن يعرف منهما التوبة**»[1].

وهناك بعض النساء يتزوجن ولكن نفوسهن القذرة الدنيئة تميل إلى الرجال الأجانب، ومن الممكن أن ترتكب الزنا بالرغم من أنها ذات زوج وتستفيد من ذلك لأنها تجعل الزوج حصناً منيعاً أمام التهم الاجتماعية. إن ما لا شك فيه أن

(١) الاستبصار، الشيخ الطوسي، ج ٣ ص ١٦٨

هذه المرأة مصابة بالانحراف النفسي وحتى إذا حملت من زوجها القانوني، فإن الطفل بالرغم من كونه قانونياً حسب المقررات الشرعية ولكنه من جهة الانحراف الروحي والفساد النفسي لا يقل عن ولد الزنا، إذ أن الطفل يرث الصفات الرذيلة من أمه فهو ينزع إلى الإجرام والخروج على القانون. ونأخذ لذلك مثالاً: كان الحجاج بن يوسف الثقفي فرداً غير طبيعي، وخطراً في نفس الوقت، والتاريخ أحصى له جرائم وجنايات عظيمة سودت وجه البشرية، فقد بلغ عدد من قتله الحجّاج صبراً في غير حروبه مئة وعشرين ألفاً. وعندما توفي خلَّف في محبسه خمسين ألف رجل، وثلاثين ألف امرأة، وكان حبسه لا يكنّهم من برد ولا حرّ، ويسقون الماء مشوباً بالرماد [(١)]. ومن طرائفه المُبكية قالوا عندما أخذه السل وهجره النوم أحضر منجماً فسأله: هل ترى ملكاً يموت؟ قال: نعم أرى ملكاً يموت ولكن أسمه كُليب، فقال: بذلك سمّتني أُمي، قال المنجم كذلك تدل عليه النجوم، قال الحجّاج: فلأُقدمنّك أمامي، ثم أمر به فضربت عنقه، ثم مات الحجاج [(٢)]. فإنّ مما لا شك فيه أنّ عوامل عديدة تدخلت في انحراف سلوك هذا الإنسان مما جعلته خطراً وشريراً إلى هذه الدرجة، ومن الممكن أن قسطاً وافراً من ذلك يرجع إلى روح أمّه المنحرفة. حيث أنّ أُمَّ الحجاج التي أسمها (فارغة) كانت زوجة (للمغيرة بن شعبة) قبل أن تتزوج يوسف الثقفي، وكان عمر بن الخطاب يسير في أزقة المدينة في بعض الليالي... فسمع امرأة تغني في أحد البيوت وتنشد البيت الآتي:

(١) راجع: موسوعة التأريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ج ٦ ص ٥١٨.

(٢) تاريخ مختصر الدول، ابن العربي، ص ١١٣.

هـل مـن سـبيل إلى خمـر فأشـربها   أم مـن سـبيل إلى نـصر بـن حجـاج؟

فتأثر عمر من هذا البيت، وساءه أن تكون في عاصمة حكومته امرأة تترنم بغرام شاب أجنبي بالرغم من أنها متزوجة، فأحضر النصر بن الحجاج (وكان شاباً جميلاً) فحلق رأسه وسفّره إلى البصرة [(١)].

إنّ المرأة المحصنة التي تفكر في رجل أجنبي وتتمنى معاقرة الخمر والوصول بالنصر بن حجاج إذا حملت من زوجها القانوني نطفة فإنّ انحرافها سيؤثر في نفس طفلها قطعاً. وأيضا المرأة التي لا تفهم لاحترام القوانين الإلهية والتعاليم الدينية معنى لا يستغرب منها أن تلد طفلاً مثل الحجاج في فساده وانتهاكه حريم الناس وأرواحهم وأموالهم.

فقد أثبت الواقع الاجتماعي والواقع العلمي بدراساته المستفيضة الأثر الحاسم للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين الطفل ونشوئه، وانعكاسات الوراثة والمحيط عليه في جميع جوانبه الجسدية والنفسية، فأغلب الصفات تنتقل من الآباء والأُمَّهات والأجداد إلى الأبناء، كالذكاء والاضطراب السلوكي وانفصام الشخصية والأمراض العقلية والانضباط الذاتي، وصفات التسامح والمرونة، فيكونون وسطاً مساعداً للانتقال أو يكون في الأبناء الاستعداد للاتصاف بها، إضافة إلى انعكاس العادات والتقاليد على الأبناء نتيجة لتكرر الأعمال، ومن هنا أكد الإسلام على الزواج الانتقائي، أي بانتقاء الزوجين من أسرة صالحة وبيئة صالحة.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٠ ص٢٧٥.

اختيار الزوجة

راعى الإسلام في تعليماته لاختيار الزوجة الجانبين: الجانب الوراثي الذي انحدرت منه المرأة، والجانب الاجتماعي الذي عاشته. ولهذين الجانبين دور كبير في انعكاسه على سلوكها وسيرتها، كما كشف ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: **اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين**[١].

فالرسول الأكرم يؤكد على اختيار الزوجة من الأسر التي تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذي تلده، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس، فاختار خديجة فأنجبت له أفضل النساء فاطمة عليها السلام، وتبعه في السيرة هذه أهل البيت عليهم السلام فاختاروا زوجاتهم من الأسر الكريمة، أو التي حظيت برعاية وتربية إلهية كما سيأتي. وإلى جانب الانتقاء على أسس الوراثة، أكد الإسلام على انتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعي الصالح الذي أكسبها الصلاح وحسن السلوك، وفي نفس الوقت حذر من المحيط غير الصالح الذي تعيشه، فحذر من الزواج من الحسناء المترعرعة في منبت السوء فقال صلى الله عليه وآله: **إياكم وخضراء الدمن**[٢] قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: **المرأة الحسناء في منبت السوء**[٣].

وغيرها من الروايات الكثيرة في هذا المجال وأكدت هذه الروايات على

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج٧ ص٤٠٢.

(٢) الدمن: البعر. تقول: والماء متدمن، إذا سقطت فيه أبعار الغنم والإبل. الصحاح،الجوهري، ج ٥ ص ٢١١٤.

(٣) الكافي، الكليني، ج٥ ص٣٣٢.

أن يكون التدين مقياساً لاختيار الزوجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يشجع على ذلك، فقد أتاه رجل يستأمره في الزواج فقال: **عليك بذات الدين تربت يداك** [١].

وقدّم الإمام الصادق عليه السلام اختيار التدين على المال والجمال، فقال: **إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكل إلى ذلك وإذا تزوجها لدينها رزقه الله الجمال والمال** [٢].

فالمرأة المنحدرة من سلالة طاهرة ومن أسرة صالحة وكان التدين صفة ملازمة لها، فانّ سير الحركة التربوية يتقدم أشواطاً إلى الأمام، وتكون تربيتها للأطفال منسجمة مع القواعد التي وضعها الإسلام في شؤون التربية، فيكون المنهج التربوي المتبع متفقاً عليه من قبل الزوجين، لا تناقض فيه ولا تضاد، وتكون الزوجة حريصة على إنجاح العملية التربوية وتعتبرها تكليفاً شرعياً قبل كل شيء، وهذا التكليف يجنبها عن أي ممارسة سلبية مؤثرة على النمو العاطفي والنفسي للأطفال.

ولو نظرنا إلى صفة الكرم والجود التي احتوتها نفس حاتم الطائي لرأينا أنّه ورثها من أمه عنترة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس، فقد ذكر المؤرخون أنّها لا تمسك شيئاً، سخاءً وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة، فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع، ثم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٣٣.

أخرجوها بعد سنة، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق، فدفعوا إليها صرمة [(١)] من مالها وقالوا استمتعي بها. فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها، فقالت: دونك هذه الصرمة، فقد والله مسني من الجوع ما آليت أن لا أمنع سائلا، ثم أنشأت تقول:

لعمري لقدما عضني الجوع عضة ... فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني ... وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة ... فكيف بتركي يا بن أمي الطبائعا [(٢)]

طهارة أُمَّهات الأئمة

نستخلص مما تقدم أنّ اهتمام الهدي السماوي في شؤون الأم، وكشفه عن مدى أهميتها وخطورتها وما تعكسه بالنسبة إلى الأبناء، والذي يلزم أن يكون هذا الوعاء طاهراً خالياً من الشوائب والأدناس كي يخرج منه الجيل الصالح الذي يسعد البشرية وتتحقق منه أهداف الإنسانية، فلا نستغرب عندما نرى اختصاص أُمَّهات الأئمة الأطهار عليهم السلام قد حظين بالأدب والتربية الإلهية، وما أوعزته السماء من اهتمام كبير في رعاية هذه الأوعية التي كانت مضاجع لخير الخلق وحملة الرسالة الإلهية، وهذا معتقد مسلّم عندنا (**أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب**

---

(١) الصرمة: القطيع من الإبل، والفرقة من الغنم. وقيل الصرمة: مابين العشرة الى الأربعن من الإبل. راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص١٩٦.

(٢)السيرة النبوية، ابن كثير، ج ١ ص ١١٤.

الشامخة والأرحام المطهرة)[١]، وهذه الطهارة والصفات الايجابية التي حوتها أمّ المعصومعليه السلام لم تكن وليدة الفترة المتأخرة أو المزامنة باقترانها بالإمامعليه السلام، حيث ربما يقال أنّه لا يشترط أن تكون أُم الإمام المعصومعليه السلام طاهرة وكاملة في بداية أمرها، وإنما يكون ذلك بعد دخولها الإسلام وقد تابت وأحسنت توبتها وحصلت على الطهارة والصفات العالية.

قلنا: صحيح أنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، لكن هذا لا يرفع الآثار التكوينية والمخلفات النفسية والجسدية، نعم يصح أن نقول يرتفع عنه العقاب الأخروي بحسب تطبيق موازينه وإجراء أحكامه، وإنما تبقى الآثار التكوينية في الجسد والنفس جراء تلك الذنوب وممارسة المنكرات، ويمكن أن نقرب ذلك بمثال: من قبيل لو شرب الإنسان الخمرة وبعد الشرب مباشرة أدركته الرحمة الإلهية وتاب توبة نصوحة فلا تجديه هذه التوبة عن ترتب الآثار التكوينية (السكر) حيث يصاب بالسكر والغثيان وتترتب عليه كل الآثار الجسدية والنفسية، نعم كل ما هنالك يرتفع عنه العقاب الأُخروي في حال قبول التوبة، وهنا لو فرضنا أنّ أمّ المعصومعليه السلام كانت تزاول وتمارس المنكر قبل اقترانها بالإمامعليه السلام، بلا شك يبقى أثره في جسمها ونفسها ولا تصلح أن تكون وعاءً وحجراً للمعصوم؛ لأنه سينعكس عليه جملة من الآثار السلبية جراء تلوث جسد ونفس الأم، كما تقدمت الإشارة إليه من الناحية العلمية والشرعية، فعليه لابد أن تكون أمّ المعصومعليه السلام خالية من الشوائب والآثار السلبية لاسيما من اللحاظ الجسدي

---

(١) مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٢١.

والنفسي في كل أطوار حياتها، فلابد أن تكون لأم المعصوم درجة رفيعة في مجال التكامل النفسي والطهارة الروحية بحيث تجعلها أهلاً لحمل السر الإلهي الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها، والنور الرباني الذي أودع في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، فلها إذن درجة ترتفع بصاحبها عن مرديات الهوى، ومهلكات النفس، وتسمو به عالياً نحو المقصود الكلي والوجود الأزلي، من هنا كان اختيار أم المعصوم محفوفاً بألطاف جلية، ورعاية إلهية، ومعاجز ربانية لذلك جاءت جملة من الروايات تكشف لنا اهتمام السماء في بأُمَّهات المعصومين عليهم السلام، حيث نجد أنّ من ألقاب فاطمة الزهراء عليها السلام (البتول): وذلك لأنها لم ترَ الحيض، كما فسّره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما سئل عن معناه فقال صلى الله عليه وآله: **هي المرأة التي لم تحض ولم تر حمرة قط وإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء عليهم السلام**[1].

وقد رُويَ عنهم عليهم السلام أن سبيل أُمَّهات الأئمة عليهم السلام سبيل فاطمة عليها السلام في ارتفاع الحيض عنهن. وهذا مما تميزت به أُمَّهات أئمتنا عليهم السلام من سائر النساء لأنه لم يصح في واحدة من جميع النساء حصول الولادة مع ارتفاع الحيض عنها سواهن تخصيصاً لهن لمكان أولادهن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين[2].

فالمتتبع لقصة أسر شهر بانويه، كما ستأتي في محلها، واختيارها للإمام الحسين عليه السلام من دون الرجال، وتقريظ أمير المؤمنين عليه السلام لها بقوله للحسين عليه السلام: (ليلدن لك منها خير أهل الأرض)، لا يخفى عليه عمق التسديد الإلهي، والإعداد

---

(١) معاني الأخبار، الصدوق، ص٦٤.

(٢) تاج المواليد، الشيخ الطبرسي، ص ٢٠

الرباني للحادثة.

ويحدثنا الصادق عليه السلام عن حميدة أم الإمام الكاظم عليه السلام فيقول: **حميدة مصفاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت إلي، كرامة من الله لي والحجة من بعدي**(١). وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ أمّ المعصوم عليهما السلام تعيش تحت الحراسة والرعاية الإلهية منذ البدء، حيث وَكَّلَ الله تعالى أملاكاً تحرسها وتدرأ عنها شوائب الأقذار؛ وذلك لكي تكون الوعاء المناسب للحجة عليه السلام.

وأيضا ذكر أبو عبد الله الصادق عليه السلام جدته أم أبيه فقال عليه السلام: **كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها**(٢). وهذا يعني أنها كانت منذ البدء كاملة طاهرة.

وقد ذكر ابن مهزيار عن الإمام الهادي عليه السلام يصف أمه قائلا: **أمي عارفة بحقي وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن أُمَّهات الصديقين والصالحين**(٣).

وهكذا كل أُمَّهات الأئمة طاهرات مطهرات مصطفيات، لجليل ما يحملن، وعظيم ما اختير لهن.

---

(١) الكافي، الكليني، ج١ص٤٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ص٤٦٩.

(٣) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص ٢٧٣.

من آثار الحمل بالمعصوم

من أشد المصاعب والآلام التي تمر بها الأم وتعكر عليها صفوة حياتها، هي في حال حملها بجنينها حيث تعتريها أزمات وأعراض جانبية، نفسية كانت أم جسدية، بالإضافة إلى الثقل وغيره، نعم ربما يختلف ذلك بين امرأة وأخرى اختلافاً بسيطاً، ولكنْ هناك فرقٌ شاسعٌ في حمل أُمَّهات الأئمة بالمعصوم عليه السلام يختلف عن حمل باقي النساء من لحاظ الخفة والغشيان وما إليها من الكرامات، كما نقل بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام قال: **ذا حملت بهم أُمَّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى في منامها رجلاً يبشرها بغلام، عليم حليم، فتفرح لذلك، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير وتصيرين إلى خير وجئت بخير، أبشري بغلام، حليم عليم، وتجد خفة في بدنها ثم لم تجد بعد ذلك امتناعاً من جنبيها وبطنها، فإذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حساً شديداً، فإذا كانت الليلة التي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه لا يراه غيرها إلا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً وتفتحت له حتى يخرج متربعاً يستدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه، ثم يعطس ثلاثاً يشير بأصبعه بالتحميد ويقع مسروراً مختوناً ورباعيتاه من فوق وأسفل ونابا وضاحكاه ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور ويقيم يومه وليلته**[1].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٣٨٧.

أسماء المعصومين وأُمَّهاتهم في صحيفة الزهراء عليها السلام

لم تكن أسماء وألقاب أهل البيت عليهم السلام وحتى ذكر أسماء أُمَّهاتهم وليدة عصرها، بل هي سابقة في علم الله ومعرفة أوليائه والمقربين لهم، وهذه واحدة من الروايات التي تذكر ذلك مفصلاً، وكان مدوناً في صحيفة الزهراء عليها السلام، كما ورد عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو امتثلت في تمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً فقال له: يا أبا الحسن إن الأمانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله عز وجل ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال: له يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنئها بمولودها الحسين عليه السلام فإذا بيديها صحيفة بيضاء من دره فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي قلت لها: ناوليني لأنظر فيها قالت: يا جابر لولا النهي لكنت افعل لكنه قد نهي أن يمسها إلا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر باطنها من ظاهرها قال جابر: فإذا أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن التقى، أمهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزدجرد، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو

عبد الله جعفر بن محمد الصادق وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر أمه جارية اسمها حميدة المصفاة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمه جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي أمه جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين أمه جارية اسمها سوسن، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أمه جارية اسمها سمانة، وتكنى أم الحسن، أبو القاسم محمد الحسن هو حجة الله القائم أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين [(١)].

إهمال التاريخ لأُمَّهات الأئمة عليهم السلام

هناك عدة عوامل وقفت عائقاً أمام الحديث عن ذكر خصوصيات أُمَّهات الأئمة عليهم السلام بشكل مفصل، أو لا أقل بما يليق بشأنهنَّ ومقامهنَّ السامي الذي أوصلهنَّ، بأن يكنَّ وعاءً وحجراً لخير أهل الأرض في زمانه، فهن يعشنَّ في بحر من الكرامات والمعاجز، وربّما من تلك العوامل هي أن التأريخ عاش وترعرع في أحضان أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن الواضح لا تسنح الظروف الراهنة آنذاك في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام سواء كان من جهة الآباء أو الأُمَّهات، نعم هناك مواقف وكرامات فرضت نفسها على التاريخ واُختزلَتْ في أذهان الناس وانتشرت في ربوع المعمورة وغالبا ما يتأتى هذا من جهة الرجال دون النساء لما تحيطها من ظروف اجتماعية وغيرها.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢ ص ٤٧. والاحتجاج، الطبرسي، ج٢ ص١٣٧.

وأيضاً من العوامل التي تقف حائلاً دون ذلك، تحجيم دور المرأة في المجتمع حينذاك ولم تحظَ بمكانة بينهم في جميع الأصعدة، ولا نبالغ حينما نقول عانت المرأة خلال العصور التاريخية المختلفة ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعسف في جميع مراحل التاريخ، وذلك أنّ المرأة كانت في كثير من المجتمعات شخصية غير مستقلة في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فكانت المرأة تعامل معاملة الكائن غير المستقل، وكانوا يستثمرونها بشكل فظيع قريب من حالة التوحش، وبلغ وضع المرأة من الانحطاط بحيث إن صاحبها كان يستفيد منها للارتزاق أحياناً، فيعرضها للإيجار، بما كان يعانيه هؤلاء من فقر حضاري وفقر مادي جعل منهم قساة لا يتورعون عن ارتكاب جريمة (الوأد) بحق الأنثى. نعم مع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها، ففي هذه المرحلة أصبحت المرأة مستقلة ومتمتعة بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية، لكن بقيت هذه الرواسب الجاهلية كامنة في أذهان الكثير لاسيما المتغطرسين والمتسلطين على رقاب الناس ما يمنع من نشر فضائل النساء اللاتي خصَّهُنَّ الله بالكرامة والتقدير، والتي فيها مواقف مشرّفة تبيض فيها وجه الإنسانية والتاريخ، ولنأخذ مثالاً مختصراً على بعض المواقف الخالدة من بعض النساء الشامخات، قال المدائني أتى عبيد الله بن زياد بامرأة من الخوارج فقطع رجلها وقال لها كيف ترين فقالت إن في الفكر في هول المطلع لشغلاً عن حديدتكم هذه ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال لتسترينه فقالت لكن سمية

أمك لم تكن تستره[(١)].

وكذلك من العوامل المهمة أيضاً التي حالت دون وصول تاريخ وفضائل أُمَّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام هي إحراق وإتلاف مكتبات وتراث الشيعة في مرّ العصور لاسيّما في العصور القديمة والقريبة من عصر الأئمة عليهم السلام، كحرق مكتبة الشيخ الطوسي رحمه الله والتي تعد من أكبر المكتبات في زمانها، وما حدث على يد التتار عند دخولهم بغداد من إحراق المكتبات وإلقاء الكتب في نهر دجلة حتى أسودَّ ماؤه. وأيضا ما جرى في إحراق المكتبات الشيعية في مصر على أيدي الأيوبيين. ولنأخذ مثالاً لما جرى على الكتب والتراث الشيعي آنذاك، ذكروا أنّ طغرل بك أول ملوك السلاجقة لما ورد بغداد في سنة (٤٤٧ هـ) وشن حملته المشهورة على الشيعة أمر بإحراق مكتبتهم التي أسسها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي في محلة (بين السورين) في كرخ بغداد سنة (٣٨١ هـ). وقد كانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل والأديب الفاضل على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد كما ذكر في ترجمته، وقد جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الصين والروم ونافت كتبها على عشرة آلاف، من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين، ولم يكن في الدنيا أحسن كُتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة. وكان من جملتها مئة مصحف بخط ابن مقلة[(٢)].

---

(١) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص١٤٠.

(٢) أنظر: الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ج ٢ ص ٢١.

فنفهم من هذا وغيره أنّ كثيراً من العلوم القيمة لاسيما المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام (ليس فقط سيرة وفضائل اُمَّهات الأئمة عليهم السلام) قد اُتلِفَتْ وأحرقت من قبل المجرمين وحرموا منها الإنسانية أن تواصل مسيرها في العلم والكمال والإرشاد نحو مستقبل زاهر، هذا إضافة ما جرى على الشيعة من سفك دمائهم ومصادرة أموالهم وما إليه والحديث في ذلك ذو شجون.

فتحصل أنّ هذا هو الآخر من الأسباب التي حالت دون وصول فضائل وكرامات وتاريخ اُمَّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام، فربما كانت قد أحصيت ودونت من قبل العلماء حينذاك كثير مما يرتبط بأُمَّهاتهم عليهم السلام من فضائل وسيرة وغيرهما ولكن أتلفت وأحرقت مع باقي الكتب القيمة. ويؤيده ما ذكر في الاتهام الباطل لأم الإمام الجواد عليه السلام (كما سيأتي في محله)... ثم قال عليه السلام: **يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجبة الرحم**...الخ [1].

فنفهم من هذا أنّ طهارة ونزاهة أم المعصوم عليه السلام كانت واضحة في أذهان غير المعصوم أيضاً، لذلك الإمام الرضا عليه السلام أخذ يذكر عمه بما قاله النبي صلى الله عليه وآله بحق زوجته السيدة خيزران. فهناك اهتمام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في بيان مزايا وصفات اُمَّهات المعصومين عليهم السلام ولكن حال دون وصوله الجهل والتخلف والطغيان.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٣٢٣.



الفصل الأول

آمنة بنت وهب أُمُّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم

النسب الطاهر

هي السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [١].

ووهب بن عبد مناف (أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله) من قريش وهو سيد بني زهرة قبل الإسلام. وكانت كنيته أبا كبشة، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وآله وناوأته قريش كانوا ينسبونه إليه، فيقولون: قال ابن أبي كبشة، وفعل ابن أبي كبشة. وفي وهب يقول أحد معاصريه:

يا وهب يا ابن الماجدين زهره ... سدت كلابا - كلها - ابن مره

بحسب زاك وأم حره [٢]

ولا يُعلَمُ أنه أكان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي صلى الله عليه وآله أم لا، ولكنَّ بني زهرة يقولون: نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن آمنة منهم وأقارب الأم أخوال، وقد كانت أفضل امرأة في قريش نسباً وموطناً، ويؤخذ من اللهجة التي كانت تتكلم بها السيدة آمنة أن أصلها من المدينة.

---

(١) تاريخ المواليد، الطبرسي، ص٤.

(٢) أنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٨ ص ١٢٥.

وورد في لسان العرب: أن بني زهرة حي من قريش أخوال النبيﷺ، وهو اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، نسب ولده إليها. وقد سمت زاهراً وأزهر وزهيراً[١].

وهناك قول آخر هو أقرب للصحة، كما نقل عن ابن إسحاق والطبري وغيرهم أنّ زهرة هو جد بني زهرة (وهو اسم رجل) اسمه زهرة بن كلاب ومن ولده الحارث وعبد مناف ومن ولد عبد مناف وهب[٢] (والد آمنة بنت وهب، أم النبيﷺ).

وأما نسبها من الأم: هي آمنة بنت برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب[٣].

ونسبها قريب جداً من سلسلة النبوة، فهي متصلة من الطرفين بنسب النبيﷺ بوسائط قريبة. فإن نسب النبيﷺ يتحد بأبيه وأمه في كلاب، الذي هو الجد الخامس للنبيﷺ.

ومحل ولادتها مكة المكرمة، ما يقارب سنة (٧٦) قبل الهجرة، لها من العمر (٣٠ سنة)، حيث ذكروا أنّ تاريخ وفاتها سنة (٤٦) قبل الهجرة، وقيل سنة (٥٧٦) بعد الميلاد[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ ص٣٣٣.

(٢) انظر: حاشية البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢ ص٢٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج١ ص٥٩.

(٤) راجع: كتاب كارواني با سيزده كجاوه، ص٢١. ومادران معصومان، أحمد أميري بور، ص٤٢.

وآمنة تلي خديجة الكبرى في جلالة القدر وفي كمالها وجمالها الصوري والمعنوي ونبل المقام في مكة المكرمة، وشهد الكثير بطهارتها وتكامل صفاتها، حيث قالوا: إن رحم آمنة أشرف الأرحام وأسماها وأعلاها إذ استقرت فيه نطفة كريمة عظيمة ما زالت تتقلب في الأصلاب بتدبير وتقدير من الباري عز وجل حتى استفرغها عبدالله فتى قريش لكي يبقى الاصطفاء حقيقة فاعلة، وذلك لأنه حمل خاتم النبيين وإمام المرسلين مع إيماننا وإقرارنا باصطفاء مريم بنت عمران، وسيأتي الكلام عن ذلك.

نبذة عن أبناء كلاب

لا بأس أن نلقي نظرة مقتضبة في حال أبناء كلاب كل من زهرة جد آمنة (والدة النبيﷺ) وأخيه قصي جد عبدالله (والد النبيﷺ) وكلهم أبناء كلاب، فقد ذكر المؤرخون أن قصياً اسمه زيد وإنما قيل له قصي؛ لان أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سيل، فولدت لكلاب زهرة وزيداً (قصي) فهلك كلاب وزيد صغير وقد شب زهرة وكبر، فقدم ربيعة ابن حرام وتزوج فاطمة أم زهرة وقصي، وزهرة رجل قد بلغ وقصي فطيم أو قريب من ذلك فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة من أشراف الشأن فاحتملت معها قصياً لصغره وتخلف زهرة في قومه فولدت فاطمة بنت سعد بن سيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة فكان أخاه لأمه وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وشب زيد في حجر ربيعة فسمى زيد قصياً لبعد داره عن دار قومه ولم يبرح

زهرة مكة فبينا قصي بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمي فيما يزعمون إلا إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء وقد بلغ قصي وكان رجلاً شاباً فأنبه القضاعي بالغربة وقال له ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا فرجع قصي إلى أمه وقد وجد في نفسه مما قال له القضاعي فسألها عما قال له ذلك الرجل فقالت له أنت والله يا بني أكرم منه نفساً ووالداً أنت ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله فأجمع قصي الخروج إلى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قضاعة فقالت له أمه يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاج العرب فإني أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام خرج حاج قضاعة فخرج فيهم حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها وكان رجلاً جليداً نسيباً فخطب إلى حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبى بنت حليل فعرف حليل النسب ورغب فيه فزوجه وحليل يومئذ فيما يزعمون يلي الكعبة وأمر مكة فأقام قصي معه يعني مع حليل وولدت له ولده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد ابني قصي فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل بن حبشية فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر وأن قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه يدعوه إلى

نصرته والقيام معه فقام رزاح بن ربيعة في قضاعة فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك [١].

وبقيت هذه الأخوة المتأصلة والمودة بين بني زهرة وابناء قصي مستمرة وكانت بنو زهرة تحمل الود والإخلاص لبني عبد مناف وكانت معها في حلف في الضراء والسراء، وكانوا متجاورين لا تنفصل بيوتهم، وحينما جزأت قريش الكعبة كان شق الباب لبني عبد مناف وبني زهرة.

تقرش قريش

قريش في اللغة: هو تصغير القرش، وهي دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها [٢].

وفي الاصطلاح: قبيلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر، فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه، كما هو المشهور في أنّ قريش تقرشت (أي تجمعت) من النضر ابن كنانة، وكان لكنانة ولد غير النضر ولا يسمون قريشاً. وقيل: من فهر بن مالك ابن النضر، وسبب ذلك أن أولاد النضر كانوا قد تفرقوا في البلاد لاستيلاء خزاعة عليهم فلما انتقل أمر مكة من خزاعة إلى قصي بن كلاب جمع أولاد النضر في مكة فسموا قريشاً، وفي قريش بطون كثيرة [٣].

---

(١) راجع: تاريخ الطبري، الطبري، ج٢ ص١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٦ ص٣٣٥.

(٣) أنظر: شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج٥ ص ٢٢٩.

والحاصل: سميت بذلك لتقرشها أي تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب، وبه سمي قصي مجمعاً.

وقيل: سموا بقريش هو مشتق من الدابة التي ذكرت وهي التي تخافها جميع الدواب، كما في حديث ابن عباس في ذكر قريش قال: هي دابة تسكن البحر تأكل دوابه [(١)]، وبها سميت قريش قريشاً. وقيل: سميت باسم قريش بن مخلد بن غالب بن فهر، حيث كان صاحب عيرهم، فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش. وقيل: سميت بذلك لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع، من قولهم: فلان يتقرش المال أي يجمعه [(٢)].

الكمالات العالية للسيدة آمنة

بلا شك أنّ المرأة التي تحظى بهذا الفخر العظيم وتكون وعاءً لخاتم النبيين وخير الخلق أجمعين من الأولين والآخرين لابد وأن تكون متصفة بكمالات عالية تؤهلها لذلك سواء على الصعيد المادي أو المعنوي كي تكون مستعدة لتقبل النور النبوي.

وعليه قد روي في أوصاف آمنة أم النبي ﷺ أنها كانت كالمرآة المضيئة، ووجهها كفلقة قمر، وكانت من أحسن النساء جمالاً وكمالاً، وأفضلهن حسباً ونسباً. قال عبد المطلب لولده عبد الله: «**فوالله ما في بنات أهل مكة مثلها، لأنها محتشمة ونفسها طاهرة مطهرة، وهي ديّنة أديبة عاقلة فصيحة بليغة، وقد**

(١) أنظر: معجم البلدان، الحموي، ج ٤ ص ٣٣٧.

(٢) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ٦ ص ٣٣٥.

كساها الله جمالاً لا يوصف»[١]. ويمكن استكشاف أدبها وفضلها وعقلها وإيمانها وبيانها المليح من أبياتها المنظومة وكلماتها المنثورة، ومنها ما خاطبت به النبي الخاتمﷺ قبل وفاتها:

إن صح ما أبصرت في المنام ... فأنت مبعوث على الأنام

من عند ذي الجلال والإكرام ... تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث بالتحقيق والإسلام ... دين أبيك البر إبراهيم

فالله أنهاك عن الأصنام ... أن لا تواليها مع الأقوام[٢]

وهذه الأبيات هل يفهم منها سوى إيمانها وتحقق إسلامها، وإتباعها لملة إبراهيم الحنيف؟ ومن ذرابة لسانها وحلاوة بيانها وحسن منطقها وعقيدتها الصحيحة، أنها قالت في بعض نثرها عند وفاتها: **كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً والسلام**[٣].

فلا تستغرب من هذا المنطق الدقيق والنظر البعيد الذي يحمل في طياته روح الإيمان والإخلاص بالله وبالرسول الأكرمﷺ، فالله أعلم حيث يضع نور نبيه الخاتم، وعليه فإن آمنة بنت وهب من كبار النساء، ومن أشراف النسوة المكرمات، وإنها من أعلى العرب نسباً وحسباً، سطع نور فخرها إلى السماوات

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج١٥ ص٩٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، ج٢ ص١٢١.

(٣) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، ج٢ ص١٢١.

العلى، وهبت رياح عطرها في كل ذرات الهواء، فلها الفضل الجميل، ولـم يـسمع لها بمثيل، أذاقنا الله من أسرار نفحاتها، وأعاد على من آمن بها وبإيمانها من بركاتها ورحماتها.

وأن الواقدي ومن شاكله رووا أخباراً في ولادة النبي صلى الله عليه وآله تشعر في الغالب بجلالة قدر آمنة وصلابة إيمانها ومن فضل تلك الدرة اليتيمة والسيدة الكريمة والجوهرة الثمينة والحسناء الحصينة آمنة عليها السلام أنها صارت وعاءً للوجود النبوي المقدس، ونالت به شرف الأمومة، ولنعم ما قاله الحلبي: فهنيئا لآمنة الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وآله أي لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي شرفت بذلك الفضل حواء التي هي أم البشر ومن يشفع لحواء في أنها حملت به وأنه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يمتدح به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعطها غيرها من النساء أي وقد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ**﴾ وقيل أراد بالليل ليلة الإسراء ولا مانع أن يكون الأقسام وقع بهما أي استعمل الليل فيهما ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وآله كانت ليلاً، قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا لا نعلم، قال ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة إلى آخر [١].

والأفضل منه ما قيل في ولادته صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام معاً: كما عن السيد الحميري المتوفى (١٧٣) قال:

---

(١) السيرة الحلبية، الحلبي، ج ١ ص ٩٥.

ولدتــه في حــرم الإلــه وأمنــه والبيـت حيـث فنـاؤه والمسـجد

بيـضاء طـاهرة الثيـاب كريمـة طابـت وطـاب وليـدها والمولـد

في ليلـة غابـت نحـوس نجومهـا وبـدت مـع القمـر المنير الأسـعد

مـا لُـفَّ في خـرق القوابـل مثلـه إلا ابـن آمنـة الـنبي محمـد [1]

وروي أن كعب الأحبار اليهودي قال لمعاوية: إني قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلها، ووجدت في كلها ذكر مولده ومولد عترته، وأن اسمه لمعروف، وأنه لم يولد نبي قط فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد (صلوات الله عليهما)، وما ضرب على آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة أم أحمد صلى الله عليه وآله، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أم المسيح وآمنة أم أحمد... الخ [2].

ولا شك أنّ الله يأبى أن يساوي بين امرأة كافرة وأخرى مؤمنة مثل مريم ويكرمهما بنفس التكريم، فما الفرق بين الإيمان والكفر حينئذ؟ وأي ميزان سيميز بينهما في العبودية؟ وذكر هذا الشرف في حق فاطمة أيضا التي صارت وعاءً للأئمة المعصومين عليهم السلام، ونالت فضيلة الأمومة للأولياء الكاملين. وهكذا كان الوعاء الشريف الذي ضم الوجود المحمدي السعيد، عظيماً في ذاته، تميز بالمزايا الذاتية والأصالة الفطرية، فحسدتها لذلك نساء مكة وتمنين منزلتها وأثنين عليها بكل تلك الكرامات والسعادات والمواهب الجميلة والمناقب الجليلة، وباركن

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٦ ص ٢٨.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦٩٨. وبحار الأنوار، المجلسي، ج١٥ ص٢٦١.

لأبيها بهذه النعمة المحمودة والمكرمة المسعودة، وكان الناس رجالاً ونساءً يدعون النبي بها، وينسبونه إليها كما فعل الجارود ابن المنذر النصراني في عام الحديبية حينما أسلم، وكان عالماً بالطب والفلسفة والكتب السماوية ؛ قال في قصيدة:

أتيتك يا بن آمنة الرسولا   لكي بك أهتدي النهج السبيلا

إلى آخر ما قال [(١)].

ولم تكن هذه النسبة إهانة، بل كانت على سبيل التفخيم والجلالة.

طهارتها وإيمانها بالله

ما تجد في سيرة آمنة بنت وهب عند أدنى متابعة إلا الكرامات والمعاجز، وذوبانها في الله وشدة توحيدها، وهذا ديدن الأسرة الهاشمية حسب سلسلة طهارة وتوحيد آباء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله (هذا مع غض النظر من أنها وعاء وحاضنة النبوة والذي هو بحد ذاته دليل قاطع على طهارتها ومدى إيمانها)، وقد كشف عن مدى إيمانها وطهارتها النبي صلى الله عليه وآله والمعصومون عليهم السلام، فقد فاضت الأدلة على ألسنة العلماء والمحدثين لدى الفريقين، فمن ذلك: ما رواه الثعلبي والواحدي وابن بطة، عن عطاء وعكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ يعني ندبرك من أصلاب الموحدين من موحد إلى موحد حتى أخرجك في هذه الأمة، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله، يتقلب في أصلاب الأنبياء والصالحين حتى ولدته أمه [(٢)].

(١) راجع: كنز الفوائد، ابو الفتح الكراكجي، ص٢٥٨.

(٢) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٥ ص ٩٨.

وعن عليﷺ: أنّ النبيﷺ قال: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**»[١]. لقد منّ الله عليه بالآباء الطاهرين الساجدين. ولو عنى سجدة الأصنام لما منّ عليه؛ لأن المنّة على الكفر قبيح.

وقد انتهى النبيﷺ إلى رسم قبر، فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب، ثم بكى، فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في زيارة قبرها فأذن لي، فزوروا القبور يذكركم الموت.[٢] ولو لم تكن مؤمنة لما جاز له زيارتها، ولا أذن له، لقوله تعالى: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ**﴾[٣].

وعن أبي عبد اللهﷺ قال: نزل جبرئيل على النبيﷺ فقال: «**يا محمد إن الله جل جلاله يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك**»[٤] يعني عبد الله وآمنة وأبا طالب وفاطمة بنت أسد.

وقال رسول اللهﷺ: «**لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا**»[٥].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٢ ص ٢٥٥.

(٢) راجع: صحيح مسلم، ج ٢ ص ٦٧٢ باب ٣٦ من كتاب الجنائز ح ١٠٦.

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) روضة الواعظين، ص ١٣٩. الكافي، ج ١ ص ٤٤٦ باب مولد النبي ح ٢١.

(٥) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص ٤٦.

وعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه عليهم السلام، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: **كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهدياً حتى أخذ الله بالنبوة عهدي، وبالإسلام ميثاقي، وبين كل شيء من صفتي، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري، ورقى بي إلى سمائه،وشق لي اسماً من أسمائه الحسنى، أمتي الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد** (١).

وعن الكلبي أنه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وآله خمسمائة أم، أي من قبل أمه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحاً والمراد بالسفاح الزنا أي فإن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها إن أراد (٢).

وقال ابن هشام: فرسول الله صلى الله عليه وآله أشرف ولد آدم حسباً وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأمه (٣).

وقال الشيخ المفيد، أجمعوا على أن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين وأن آمنة بنت وهب كانت مسلمة (٤). بل من خيرة المؤمنات العالمات.

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٧٢٣.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي، ج ١ ص ٦٥.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ج١ ص١٢٧.

(٤) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص ٤٦.

مكر اليهود في إطفاء النور المحمدي

اجتمع الأحبار بأرض الشام، وتكلموا في مولد رسول الله ﷺ، فلما أيقنوا أنه قد قرب خروج صاحب السيف، وظهرت أنواره تشاوروا فيما بينهم وساروا إلى حبر لهم وكان في قرية من قرى الأردن، وكانوا يقتبسون من علمه، وكان ممن عمر في زمانه، فقصده القوم، فلما وصلوا إليه قال لهم: ما الذي أزعجكم؟ قالوا له: إنا نظرنا في كتبنا فوجدنا صفة هذا الرجل السفاك الذي تقاتل معه الأملاك، وما نلقى عند ظهوره من الأهوال والهلاك، وقد جئناك نشاورك في أمره قبل ظهوره وعلو ذكره، قال: يا قوم إن من أراد إبطال ما أراد الله فهو جاهل مغرور، وإنه لكائن بكم، وهذا الذي ذكرتم قد سبق أمره عند الله، فكيف تقدرون على إبطاله؟ وهو مبطل كهانة الكهان، ومزيل دولة الصلبان، وسيكون له وزير وقريب، فلما سمعوا كلامه خافوا وحاروا، فقام حبر من أحبارهم يقال له: هيوبا بن داحورا، وكان كافراً شديد البأس، فقال لهم: هذا رجل قد كبر وخرف وقل عقله فلا تسمعوا من قوله، ثم قال لهم: أرأيتم الشجرة إذا قطعت من أصلها فهل تعود خضرا؟ قالوا: لا، قال: فإن قتلتم صاحبكم هذا الذي يخرج من صلبه هذا المولود فما الذي تخافون منه؟ فقوموا هذه الساعة وخذوا معكم تجارة وسيروا إلى البلد الذي هو فيها، يعني مكة، فإذا وصلتم دبرتم الحيلة في هلاكه فتبعوا قوله وقالوا له: أنت سيدنا، قال لهم: افعلوا ما آمركم به، وأنا معكم بسيفي ورمحي، ولكن ما أسير معكم حتى تعاهدوني، فيعمد كل واحد منكم إلى سيفه ليسقيه سما فأجابوه إلى ذلك وافترقوا، ثم اجتمعوا بايلة، وخرجوا بجمالهم محملة بالتجارة، وساروا

حتى وصلوا مكة، فكان كل من لقاهم يحدثهم بحسن عبد الله وجماله، فوقع في قلوبهم الكمد والحسد، فجعلوا يسومون متاعهم ولا يبيعون منه شيئا، وإنما يريدون بذلك المقام بمكة والحيلة في قتل عبد الله، فأقبل يوما عبد المطلب وهو قابض على يد ولده عبد الله، ومرّ باليهود، وكان عبد الله قد رأى رؤيا أفزعته، فخرج مرعوبا إلى أبيه فقال: ما أصابك يا بني؟ قال: رؤيا هالتني، قال: رأيت سيوفا مجردة في أيدي قردة وهم قعود على أدبارهم، وأنا أنظر إليهم وهم يهزون السيوف ويشيرون بها إلي فعلوت عنها في الهواء، فبينما أنا كذلك وإذا بنار قد نزلت من السماء فزادتني خوفا، وقلت: كيف خلاصي منها؟ فبينما أنا كذلك وإذا بالنار قد وقعت على القردة فأحرقتهم عن آخرهم، فزادني ذلك رعبا، فقال له أبوه: وقاك الله يا بني شر ما تحاذر من الحساد والأضداد، فإن الناس يحسدونك على هذا النور الذي في وجهك، ولكن لو اجتمعت أهل الأرض انسها وجنها لم يقدروا على شيء، لأنه وديعة من الله عز وجل لخاتم الأنبياء، وهاهنا أحبار اليهود من الشام وفيهم الحكمة والمعرفة فقم معي حتى أقص عليهم رؤياك، فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله ودخلا عليهم، فلما نظر إليه الأحبار وهو كأنه البدر المنير نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الذي نطلبه، فقال لهم عبد المطلب: يا معاشر اليهود جئنا إليكم نخبركم برؤيا رآها ولدي هذا، فقالوا له: وماذا؟ فقص عليهم الرؤيا، فزادهم حنقاً عليه، وقال له هيوبا: أيها السيد إنها أضغاث أحلام وأنتم سادات كرام، ليس لكم معاند ولا مضاد، ثم انصرف عبد المطلب بولده [1].

(١) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥ ص ٩٢.

موقف من بسالة عبدالله

أقام اليهود أياماً يريدون الحيلة في اغتيال والد النبي صلى الله عليه وآله (عبدالله) فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وكان عبد الله مغرماً بالصيد، وكان إذا خرج إلى الصيد لا يرجع إلا ليلاً، وكان يخرج مع أبيه فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً حتى خرج ذات يوم وحده فخرجوا وراءه من حيث لا يشعر بهم أحد، فقال لهم هيوبا: ما انتظاركم وقد خرج الذي تطلبونه؟ فقالوا له: إنا نخاف من فتيان مكة وفرسان بني هاشم وهم لا يطاقون وقد ذلت لهم العمالقة وغيرهم، ونخشى أن يشعروا بنا، فلما سمع هيوبا مقالتهم قال: خاب سعيكم، فإذا كنتم هكذا فما الذي أتى بكم إلى هاهنا؟ فلابد من قتل هذا الغلام، ولو طال عليكم المقام، ولم تجدوا يوماً مثل هذا اليوم، فإذا قتلناه وخفتم التهمة به فعلي ديته، وكانوا قد بعثوا عبداً من عبيدهم ينظر إلى أين يتوجه عبد الله، فرجع العبد وأخبرهم أنه قد غاب بين الجبال والشعاب، وقد خرج من العمران، وليس عنده إنسان، فعزم القوم على ما أملوه، وجعلوا نصفاً عند الأمتعة، والنصف الآخر أخذوا السيوف تحت ثيابهم وخرجوا قاصدين عبد الله والعبد أمامهم حتى أوقفهم عليه، وكان عبد الله قد صاد حمار وحش وهو يسلخه فنظر إلى القوم وقد أقبلوا عليه، فقال لهم هيوبا: هذا صاحبكم الذي خرجتم من أوطانكم في طلبه، فما أحس عبد الله إلا وقد أحاطوا به، وكانوا قد افترقوا فرقتين، وقالوا للذين خلفوهم عند متاعهم: إذا دعوناكم أجيبونا مسرعين، فلما أشرفوا على عبد الله وقد سدوا الطرقات، وزعموا أنهم قد حكموا عليه، فرفع عبد الله رأسه إلى السماء، ودعا الله تعالى وأقبل إليهم وقال: يا قوم ما شأنكم؟

فوالله ما بسطت يدي إلى واحد منكم بمكروه أبداً فتطالبوني به، ولا غصبت مالاً قط، ولا قتلت أحداً فاقتل به، فما حاجتكم؟ فإن يكن سبقت مني فعلة سوء إليكم فأخبروني حتى أعرفها، واليهود يومئذ تلثموا ولم يبين منهم إلا حماليق الحدق، فلم يردوا عليه جواباً، وأشار بعضهم إلى بعض وهموا بالهجوم عليه، فجعل نبلة في كبد قوسه ورمى بها نحوهم فأصابت رجلا منهم فوقع ميتا، ثم رماهم بأربع نبال أصابت أربعة رجال فاشتغلوا عنه بأنفسهم [(١)].

يمكرون ويمكر الله

بعدما عجزوا عن مواجهة عبدالله أخذوا يدبرون الخديعة في قتله حيث قال له هيوبا: يا فتى احبس عنا نبالك فقد أسرفت في فعالك، ولقد قتلت منا رجالاً من غير ذنب ولا سابقة سبقت منا إليك، ونحن قوم تجار، ونحن الذين وقفت علينا بالأمس مع أبيك، وكان لنا عبد قد هرب منا، فلما رأيناك أنكرناك، فعندما عرفناك أنك عبد الله فنحن ما لنا معك طلابة، وأنك لأعزُّ الخلق علينا، وأكرمهم لدينا، فامض لسبيلك فقد سمحنا لك بما فعلت فينا، فقال لهم: يا ويلكم ما الذي تبين لكم مني أني عبدكم؟ فهل عبدكم مثلي، أو صفته صفتي، أو لهُ نور كنوري؟ فقالوا له: إنما دخلنا الشك وأنت متباعد عنا، فلما قربت منا وعرفناك، فاسمح لنا بما كان منا إليك فإنا سمحنا لك بما كان وإن كان وأعظم من ذلك أنك قتلت منا رجالاً لا ذنب لهم، ونحن حيث أكلنا طعام أبيك وشربنا شرابه فنحن لك شاكرون، وأنت أولى بكتمان ما كان اليوم منا، فلما سمع عبد الله كلامهم زعم أنه

---

(١) راجع: المصدر نفسه، ج ١٥ ص ٩٥.

حق وهو خديعة، ثم إنه ركب جواده وأخذ قوسه وعطف إلى ناحية المضيق، فلما رآه القوم قد أقبل عليهم يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وقاموا إليه بالسيوف، فجعل يكر فيهم كرة بعد كرة، فعند ذلك صاح فيهم هيوبا فتبادروا إليه بأجمعهم وهو يكر فيهم يميناً وشمالاً، وكلما رمى رجل خر صريعاً ونزل عبد الله عن فرسه واستند إلى المضيق، وقد أقبلوا إليه من كل جانب يرمونه بالحجارة، فبينما هم في المعركة وإذا هم برجال قد أقبلوا بأيديهم السيوف مشهورة وهم عراة مسرعون نحوهم، فإذا هم بنو هاشم، وأبو طالب وفتيان مكة وكان في أولهم أبو طالب وحمزة والعباس، فعند ذلك ناداه أبوه فقال: يا بني هذا تأويل رؤياك من قبل، فما استتم كلامه حتى أحاط بعبد الله إخوته وأقاربه [١].

زواج السيدة آمنة من عبد الله

ذكر المؤرخون أن عبد الله بن عبد المطلب تزوجها (آمنة بنت وهب) وله ثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة [٢]. وذكر اليعقوبي: وبعد حفر زمزم بعشر سنين وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بآمنة بنت وهب وكان سنّه يوم تزويجها أربعا وعشرين سنة [٣].

وذلك خرج به أبوه عبد المطلب إلى وهب فزوجه ابنته. وقيل: كانت آمنة

---

(١) راجع: المصدر نفسه، ج ١٥ ص ٩٦.

(٢) ذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبري، ص٢٥٨

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٩.

في حجر عمها وهيب بن عبد مناف، فخطب عبد المطلب ابنته هالة بنت وهيب لنفسه، وخطب لابنه عبد الله آمنة ابنة وهب. فهو قد تزوج هالة وزوّج ابنه آمنة في مجلس واحد. فولدت آمنة رسول الله وولدت هالة لعبد المطلب حمزة [(١)].

وهب يرغب في تزويج عبد الله

ذكر أن وهب أقبل على زوجته برة بنت عبد العزى وقال لها: يا برة لقد رأيت اليوم عجباً من عبد الله (والد النبيﷺ) ما رأيته من أحد، وهو يكر على هؤلاء القوم (يقصد اليهود الذي مرّ ذكرهم)، وكلما رماهم بنبلة قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً مما خصه الله تعالى من الضياء الساطع، فامضي إلى أبيه واخطبيه لابنتنا واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة، قالت له يا وهب: إن رؤساء مكة وأبطال الحرم وأشراف البطحاء قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، وقد كاتبه ملوك الشام والعراق على ذلك فأبى عليهم، فكيف يتزوج بابنتنا وهي قليلة المال؟ قال لها: إن لي عليهم اليد إنني أخبرتهم بأمر عبد الله مع اليهود، ثم إن برة قامت ولبست أفخر أثوابها وخرجت حتى أتت دار عبد المطلب فوجدته يحدث أولاده بالخبر، فقالت: أنعم الله مساءكم، ودامت نعماؤكم، فرد عليها عبد المطلب التحية والإكرام، وقال لها: لقد سلف لبعلك اليوم علينا يد لا نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك، وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى، فطمعت برة في كلامه، ثم قال: بلغي بعلك عنا التحية والإكرام وقولي له: إن كان له لدينا حاجة تقضى إن شاء الله مهما كانت، فقالت له برة: يا أبا الحارث

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨ ص ٥٤٥ .

قد طلبنا تعجيل المسرة، وقد علمنا أن ملوك الشام والعراق وغيرهم تطاولت إليكم، وقد رغبوا في ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضا طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، ورجوناه مثل من رجا. وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين في النور الذي في وجه ولدكم عبد الله، ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلينا ما نجملها به وهي هدية منا لابنك عبد الله، فلما سمع عبد المطلب كلامها نظر إلى ولده وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فوالله ما في بنات أهل مكة مثلها، لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة، عاقلة دينة، فسكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنه قد مال إليها، فقال عبد المطلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابنتكم [(١)].

فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة

بعد ما سمعت فاطمة زوجة عبد المطلب ما دار بين زوجة وهب وبني هاشم في تزويج ابنها عبد الله قالت أنا أمضي معك إليها حتى أنظر إلى آمنة، فرجعت برة مسرورة بما سمعت، ثم سارت إلى زوجها مسرعة وبشرته وسمعت أم آمنة هاتفاً في الطريق يقول: (بخ بخ لكم يا معشر أهل الصفا، قد قرب خروج المصطفى)، فدخلت على زوجها فقال: وما وراءك؟ قالت: لقد سعدت سعادة علا قدرك في جملة العالمين، اعلم أن عبد المطلب قد رضي بابنتك، ولكن مع الفرح ترحة، قال: وما هي؟ قالت: إنّ فاطمة خارجة تنظر إلى ابنتك آمنة، فأدخلوا فاطمة، فقامت لها

(١) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥ ص ٩٨.

آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمة وإذا بها قد كساها الله جمالاً لا يوصف، فلما رأت فاطمة ذلك الحسن والجمال وقد أضاء من نور وجهها ذلك المجلس، قالت فاطمة: يا برة ما كنت عهدت أن آمنة على هذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلك مراراً، فقالت برة: يا فاطمة كل ذلك ببركتهم علينا، ثم خاطبت فاطمة آمنة وإذا هي أفصح نساء أهل مكة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله، وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإن الله تعالى لا يودع هذا النور إلا في مثل هذه[1].

عقد القران بين عبدالله وآمنة

ولما وقع الحديث بين وهب وبين عبد المطلب في أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هدية مني إليك بغير صداق معجل ولا مؤجل، فقال عبد المطلب جزيت خيراً ولابد من صداق، ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا، ثم وبعد ذلك خرج عبد المطلب وولده وزوجته إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان في غداة غد جمعنا قومنا وقومك ليشهدوا بما يكون من الصداق، فقال: جزاك الله خيراً، فلما طلع الفجر أرسل عبد المطلب إلى بني عمه ليحضروا خطبتهم، ولبس عبد المطلب افخر أثوابه، وجمع وهب أيضا قرابته وبني عمه فاجتمعوا في الأبطح، فلما أشرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطلب وأولاده، فلما استقر بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطلب فيهم خطيباً فقال: (الحمد لله حمد الشاكرين حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا،

---

(١) راجع: المصدر نفسه، ج ١٥ ص ٩٩.

وجعلنا لبيته جيراناً، ولحرمه سكاناً، وألقى محبتنا في قلوب عباده، وشرفنا على جميع الأمم، ووقانا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذي أحل لنا النكاح، وحرم علينا السفاح، وأمرنا بالاتصال وحرم علينا الحرام، اعلموا أن ولدنا عبد الله هذا الذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجل ومؤجل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر، ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة، فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس في مكة أربعة أيام. قال أبو الحسن البكري: ولما تزوج عبد الله بآمنة أقامت معه زماناً، والنور في وجهه لم يزل حتى نفذت مشية الله تعالى وقدرته وأراد أن يخرج خيرة خلقه محمداً رسول الله [(١)].

وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه

اختلفوا في تحديد زمان وفاة عبد الله والد النبيﷺ، منهم من قال توفي والنبيﷺ حمل كما اختاره ابن سعد في طبقاته، فقد روى عن ابن أبي صعصعة قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة و عبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب

---

(١) راجع: المصدر نفسه، ج ١٥ ص ١٠٢.

أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي ابن النجار في الدار التي إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك وأخبره أخواله بمرضه وبقيامهم عليه وما ولوا من امره وإنّهم قبروه فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة [(١)].

وأيضاً اختاره محمد بن عمر الواقدي حيث قال: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب وسنة عندنا. قال وأخبرنا محمد بن عمر حدثني معمر عن الزهري قال بعث عبد المطلب عبد الله إلى المدينة يمتار له تمراً فمات قال محمد بن عمر والأول أثبت [(٢)].

وهناك أقوال أخرى في وفاة عبد الله حيث قيل: إن عبد الله توفي والنبي صلى الله عليه وآله ابن ثمانية وعشرين شهراً، وذلك بعد ما أرسله أبوه يمتر بالمدينة[(٣)]. وقيل: وعمر النبي صلى الله عليه وآله سبعة أشهر. وقيل ابن شهرين [(٤)].

وذكر ابن سعد عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال ترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن وخمسة أجمال أوارك يعني تأكل الأراك وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أم أيمن تحضنه واسمها بركة، وقالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبد الله بن عبد المطلب:

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ١ ص ٩٩.

(٢) نقلا عن البداية والنهاية، ابن كثير،ج٢ ص٣٢٣.

(٣) راجع: حياة النبي ج١ ص٢٦ محمد قوام الشنوي.

(٤) راجع: الوافي بالوفيات، الصفدي، ج١ ص٦٣.

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحداً خارجاً في الغماغم

دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم

فإن يك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاءً كثير التراحم [(١)]

آمنة وعاء نور النبي الخاتم

كان الملوك والسلاطين وأشراف مكة وصناديد قريش وسدنة البيت وخدام الحرم ورؤساء القبائل يتمنون لسنوات طويلة مصاهرة عبد المطلب، فكانوا يعرضون بناتهم الخيرات الحسان بلا مهر ولا عوض، بل كانوا يبذلون المهر وأكثر؛ لعلهم ينقلون النور الساطع اللامع في جبينه إلى أرحام بناتهم، ويشرفون أسرهم بهذا الفخر. فلما تزوجت السيدة آمنة تكدرت منها النفوس وأعرضت عنها القلوب، ورأوا أن النور النبوي المحمديﷺ انتقل من صلب عبد الله إلى صدر آمنة بنت وهب، فحسدوها وأرادوا إطفاء ذلك النور سيما نساء مكة، حيث كانت آمنة على مرأى ومسمع منهن، وشاهدن انتقال النور الطيب إليها، فمات منهن أكثر من مائتي باكر نادرة الحسن والجمال فتعرين من كسوة الدنيا وتغطين بإطباق التراب وسلمن أرواحهن إلى الموت بعد أن ماتت آمالهن ويئسن من الوصال مع عبد الله عديم المثال [(٢)].

وقد ورد عن ابن عباس، قال: سمعت أبي العباس يحدث، قال: ولد لأبي

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ١ ص ٩٩.

(٢) الخصائص الفاطمية، باقر الكجوري، ج٢ ص٥٣.

عبد المطلب عبد الله، فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس، فقال أبي: إنّ لهذا الغلام شأناً عظيماً. قال: فرأيت في منامي أنه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثم رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب. فلما انتبهت سألت كاهنة بني مخزوم فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له.

قال أبي: فهمني أمر عبد الله إلى أن تزوج بآمنة، وكانت من أجمل نساء قريش، وأتمها خلقاً، فلما مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أتيته، فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرست في وجهه، فوجدت منه ريح المسك، وصرت كأني قطعة مسك من شدة ريحي، فحدثتني آمنة وقالت لي: إنه لما أخذني الطلق واشتد بي الأمر، سمعت جلبة وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار نوراً، ورأيت حولي من القطاة أمراً عظيماً، قد نشرت أجنحتها حولي، ورأيت شعيرة الأسدية قد مرت وهي تقول: آمنة، ما لقيت الكهان والأصنام من ولدك؟ ورأيت رجلاً شاباً من أتم الناس طولا، وأشدهم بياضاً، وأحسنهم ثياباً، ما ظننته إلا عبد المطلب، قد دنا مني فأخذ المولود، فتفل في فيه، ومعه طست من ذهب مضروب بالزمرد، ومشط من ذهب، فشق بطنه شقاً، ثم أخرج قلبه فشقه، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها، ثم أخرج صرة من حريرة خضراء ففتحها، فإذا فيها

كالذريرة البيضاء فحشاه، ثم رده إلى ما كان، ومسح على بطنه، واستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلا أنه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعة، أنت خير البشر، طوبى لمن اتبعك، وويل لمن تخلف عنك. ثم أخرج صرة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم، فضرب على كتفيه، ثم قال: أمرني ربي أن أنفخ فيك من روح القدس. فنفخ فيه، وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا. فهذا ما رأيت - يا عباس- بعيني. قال العباس: وأنا يومئذ أقرأ، فكشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوة بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه، وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامي حتى ذكرني رسول الله صلى الله عليه وآله [1].

شغف النساء بنور النبي صلى الله عليه وآله

ذكر المؤرخون وأصحاب السير بعض القصص التي تشير إلى أنّ بعض النساء حاولن أن يحظين بنور النبي صلى الله عليه وآله وتكون هي الوعاء لخاتم الرسل كي تحظى بسعادة الدارين، وتناسين أنّ أُمَّهات المعصومين أمر موكول إلى الباري عز وجل. وهذه الروايات أو القصص في عمومها لا تنسجم مع شأن عبدالله والد النبي صلى الله عليه وآله، بل سيرة الأسرة الهاشمية التي عرفت بالنجابة والإيمان لاسيما آباء النبي الذين خصهم الله بالطهارة واتسموا بالعفاف والتدين بحسب ما هو ثابت عقلاً ونقلاً، فهذه المرويات إمّا فيها تصحيف وزيادة أو انّها موضوعة، الغرض منها النيل من والد النبي الأكرم.

(١) أنظر: الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٣٣٥. وكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص١٧٦.

الرواية الأولى

ورد في طبقات بن سعد: إنّ قتيلة ابنة نوفل (أخت ورقة) كانت تنظر وتعتاذ، فمر بها عبد الله بن عبد المطلب فدعته يستمتع منها ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال حتى آتيك، وخرج سريعاً حتى دخل على آمنة بنت وهب فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم رجع عبد الله بن عبد المطلب إلى المرأة فيجدها تنتظره فقال هل لك في الذي عرضت علي فقالت لا، مررت وفي وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس فيه ذلك النور، وقيل: فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة، وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب حتى أدرك فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل [(١)].

الرواية الثانية

عن ابن كثير وغيره عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها فاطمة بنت مرّ الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع عليَّ الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج١ ص٩٨. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٣ ص٤٠٦.

ثلاثاً. ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، فما صنعت بعدي قال زوجني أبي آمنة بنت وهب. ثم أنشأت تقول:

إني رأيت مخيلة لمعت	فتلألأت بحناتم القطر
فلمأتها نوراً يضيء له	ما حوله كإضاءة البدر
ورجوتها فخراً أبوء به	ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت	ثوبيك ما استلبت وما تدري [(١)]

الرواية الثالثة

عن أبي إسحاق بن يسار أنه حدث: أنّ عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامداً إلى آمنة فمر بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمدﷺ، ثم مرّ بامرأته تلك فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها. قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مرّ بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس، فقالت: فدعوته رجاء أن تكون تلك بي فأبى عليّ، ودخل على آمنة فأصابها، فحملت برسول اللهﷺ. فكان رسول اللهﷺ أوسط قومه نسبا،

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، ج ١ ص ١٧٨، والكامل في التاريخ، ابن الأثير ج ٢ ص ٨.

وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه، ولذا قد ورد أن التي عرضت عليه نفسها لم تك بغيا وإنما كانت زوجه. (١)

الجمع بين الروايات

ذهب الحلبي في السيرة إلى إمكان الجمع بين هذه القصص وأن لكل واقعة بمعزل عن الأُخرى حيث يقول: لا يخفى أن تعدد الواقعة ممكن وأن هذا السياق يدل على أن هذه المرأة كان عندها علم بأن عبد الله تزوج آمنة وأنه يريد الدخول بها وأنها علمت أنه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف أن عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الأمر الذي دعاها إليه بذلك القدر الكثير من الإبل في مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما في الوفاء من قوله، ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل إليها الحديث والله أعلم (٢).

الصحيح

إنّ هذه القصص ليس حظ في الوجود وهي بعيدة عن واقع الأسرة الهاشمية لاسيما آباء النبيﷺ الذين اصطفاهم الله وأبعدهم عن الأرجاس كما سيأتي، لذلك علماؤنا ومؤرخونا قد أعرضوا عن ذكر هذه القصص ولم يذكروها في كتبهم، بل حتى في كتب القوم لاسيما الرواية الأولى فقد ذكرها ابن سعد ونقلها عنه ابن عساكر وليس على نحو ثبوتها وانما ذكروها واحدة من تلك النصوص

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣ ص ٤٠٦

(٢) السيرة الحلبية، ج١ ص٦٥.

التاريخية وفي الأغلب المحدث والمؤرخ يذكر النصوص مجرد لسرد التأريخ من دون التدقيق في صحتها وعدمه.

ولو فرضنا ثبوت هذه النصوص التاريخية أو هذه القصص فقد يتضح من الأبيات التي أطلقها عبد الله خير دليل على إيمانه وتمسكه وابتعاده عن الفحشاء والمنكر، فهذا إما أن يكون بأمر مشروع كما يستشف من ظاهرها، أي أنه طلب منها الزواج. أو هو إضافة من بعض الرواة المنحرفين بقصد تشويه سيرة آباء النبي صلى الله عليه وآله.

مشهد من إيمان عبدالله

عندما سافر عبدالله مع أبيه نحو اليمن قبل أن يتزوج بآمنة بنت وهب، وكان نور النبي، في وجهه، وأن الزرقاء نظرت إليه وقد نزل بقصر من قصور اليمامة، وذهب أبوه عبد المطلب في حاجة وتركه عند متاعه وسيفه عند رأسه، فنزلت الزرقاء مسرعة، وفي يدها كيس من الورق، فوثبت عليه ثم قالت له: يا فتى حياك الله بالسلام، وجللك بالانعام، من أي العرب أنت؟ فما رأيت أحسن منك وجهاً، قال: أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سيد الأشراف، ومطعم الأضياف، سادات الحرم، ومن لهم السابقة في القدم، فقالت: فهل لك يا سيدي من فرحتين عاجلتين؟ قال: وما هما؟ قالت: تجامعني الساعة، وتأخذ هذه الدراهم، وأبذل لك مائة من الإبل محملة تمراً وبسراً وسمناً، فلما استتم كلامها قال: إليك عني، فما أقبح صورتك يا ويلك، أما علمت أنا قوم لا نركب الآثام، اذهبي، وتناول سيفاً كان عنده فانهزمت ورجعت خائبة، فأقبل أبوه فوجده وسيفه مسلول

وهو يقول شعراً:

أنرتكب الحرام بغير حل ونحن ذووا المكارم في الأنام

إذا ذكر الحرام فنحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام

فقال له أبوه: يا ولدي ما جرى عليك بعدي؟ فأخبره بخبره، ووصف له صفاتها فعرفها، وقال له: يا بني هذه زرقاء اليمامة، قد نظرت إلى النور الذي في وجهك يلوح، فعرفت أنه الشرف الوكيد، والعز الذي لا يبيد، فأرادت أن تسلبه منك، والحمد لله الذي عصمك عنها، ثم رحل به إلى مكة، وزوجه بآمنة بنت وهب، فلما رأته الزرقاء عرفته، وعلمت أنه تزوج، فقالت: ألست صاحبي باليمامة في يوم كذا؟ قال لها: نعم، فلا أهلاً بك ولا سهلاً، يا ابنة اللخناء، قالت: أين النور الذي كان في غرتك؟ قال: في بطن زوجتي آمنة بنت وهب، قالت: لا شك أنها لذلك أهل [1].

عملية اغتيال فاشلة

بعدما عجزت زرقاء اليمامة من عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله ولم تفلح في اختطاف النور النبوي وعلمت أنّه انتقل إلى السيدة آمنة فأخذت تخطط وتفكر في قتل آمنة، وكيف تعمل الحيلة، فأقبلت حتى نزلت على امرأة من الخزرج اسمها تكنا، وكانت ماشطة لآمنة، فلما أصبحت جلست بين يدي الزرقاء فقالت: ما لي أراك مغمومة؟ قالت لها: يا أختاه إن الذي نزل بي من الهموم والغموم لخروجي من الأوطان، وذهابي من البلدان، وتشتتي في كل مكان، وتفردي عن

(١) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥ ص ٣١٣.

الخلان، قالت لها: ولم ذلك؟ قالت لها: يا ويلك من حامل مولود، يدعو إلى أكرم معبود، يكسر الأصنام، ويذل السحرة والكهان، يخرب الديار، ولا يترك بمكة أحداً من ذوي الأبصار، وأنت تعلمين أن القعود على النار، أيسر من الذل والصغار، فلو وجدت من يساعدني على قتل آمنة بذلت له المنا، وأعطيته الغنا، وعمدت إلى كيس كان معها فأفرغته بين يدي تكنا، وكان مالاً جزيلاً، فلما نظرت تكنا إلى المال لعب بقلبها، وأخذ بعقلها، وقالت لها: يا زرقاء لقد ذكرت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، والوصول إليه بعيد، وإني ماشطة لجملة نساء بني هاشم، ولا يدخل عليهن غيري، ولكن سوف أفكر لك فيما ذكرت، وكيف أجسر على ما وصف، والوصول إلى ما ذكرت، قالت الزرقاء: إذا دخلت على آمنة وجلست عندها فاقبضي على ذوائبها، واضربيها بهذا الخنجر، فإنه مسموم، فإذا اختلط الدم بالسم هلكت، فإذا وقع عليك تهمة، أو وجب عليك دية فأنا أقوم بخلاصك، وأدفع عنك عشر ديات غير الذي دفعته إليك في وقتي هذا، فما أنت قائلة؟ قالت: إني أجبتك، لكن أريد منك الحيلة بأن تشغلي بني هاشم عني، قالت الزرقاء: إني هذه الساعة آمر عبيدي أن يذبحوا الذبائح، ويطرحوها في الجفان، فإذا أكلوا ظفرت بحاجتك، قالت لها تكنا: الآن تمت الحيلة، فافعلي ما ذكرت، فصنعت الزرقاء ما ذكرت، وأمرت عبيدها ينادون في شوارع مكة أن يجمعوا الناس، فلم يبق أحد إلا وحضر وليمتها من أهل مكة، فلما أكلوا وشربوا وعلمت أن القوم قد خالط عقولهم الشراب أقبلت إلى تكنا وقالت: قومي إلى حاجتك، فقامت تكنا وجاءت بالخنجر ورشت في جوانبه السم، ودخلت على آمنة فرحبت

بها آمنة، وسألتها عن حالها، وقالت: يا تكنا ما عودتيني بالجفاء فقالت: اشتغلت بهمي وحزني، ولولا أياديكم الباسطة علينا لكنا بأقبح حال، ولا أحد أعز عليَّ منك، هلمي يا بنية إلي حتى أزينك، فجاءت آمنة وجلست بين يدي تكنا، فلما فرغت من تسريح شعرها عمدت إلى الخنجر وهمت أن تضربها به، فحست تكنا كأن أحداً قبض على قلبها فغشى على بصرها، وكأن ضارباً ضرب على يدها فسقط الخنجر من يدها إلى الأرض، فصاحت: وا حزناه، فالتفتت آمنة إليها وإذا الخنجر قد سقط من يد تكنا، فصاحت آمنة فتبادرت النسوان إليها، وقلن لها: ما دهاك؟ قالت: يا ويلكن أما ترين ما جرى عليَّ من تكنا، كادت أن تقتلني بهذا الخنجر، فقلن: يا تكنا ما أصابك؟ ويلك تريدين أن تقتلي آمنة على أي جرم؟ فقالت: يا ويلكن قد أردت قتل آمنة، والحمد لله الذي صرف عنها البلاء، فقالت: الحمد لله على السلامة من كيدك يا تكنا، فقالت لها النساء: يا تكنا ما حملك على ذلك؟ قالت: لا تلوموني، حملني طمع الدنيا الغرور، ثم أخبرتهن بالقصة، وقالت لهن: ويحكن دونكن الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكن، ثم سقطت ميتة، فصاحت النسوان صيحة عالية، فأقبل بنو هاشم إلى منزل آمنة، فإذا بتكنا ميتة، وقد تجلل نور آمنة، ونظروا إلى الخنجر، وحكوا لهم القصة، فخرج أبو طالب ينادي: أدركوا الزرقاء وقد وصلها الخبر، فخرجت هاربة فتبعها الناس من بني هاشم وغيرهم فلم يدركوها ولم يلحقوها [١].

(١) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥ ص ٣١٦.

إرهاصات في حملها وولادتها للنبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ

لقد كثرت المشاهدات قبل ولادته المباركة وفي أيام حمله وبعد الولادة بفترة وجيزة، فشاهد الناس عموماً والنساء خصوصاً في اليقظة والمنام من الآثار الأرضية والسماوية، ومن هواتف الجن ونداءات الملائكة وأقوال السحرة والكهنة من أهل مكة وغيرها، وهذا أمر اعتادت عليه البشرية في ولادة ذات المكانات العالية والرفيعة عند الله، ومن الكرامات وخوارق العادات والمعجزات الباهرات لهذا المولود المبارك، حتى أذعن الأغلب بنبوته ورسالته وخاتميته، فكيف يعقل أن لا تؤمن تلك المخدرة؟ وهل يستقيم هذا الظن الفاسد والخيال الكاسد مع ظهور كل تلك المعجزات وبروز تلك الآيات البينات؟ حاشاها من هذه العقائد الفاسدة والنيات الكاسدة.

فنقول: إذا قامت القيامة وأخرجت أُمَّهات الأنبياء والأوصياء والصديقين والأولياء الكاملين رؤوسهن من التراب، فكم سيكون لهذه المخدرة من حرمة خاصة ومنزلة شريفة عند فاطمة الزهراء عليها السلام لا تكون لغيرها من النساء، سيما حينما تستظل آمنة تحت لواء الولاية، وتدخل في حمى النبوة والشفاعة، فأي امرأة تفضل عليها وتتطاول إلى مقامها.

ورد عن أبي عبد اللهعَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: **كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ قالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب،**

فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب، فقال لهما: ما لكما، من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود [١].

وعن ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: يزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله فقيل لها إنّك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام، فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه [٢].

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق: وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وآله، فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عني ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد. وقال: فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده

---

(١) حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، ج ١ ص ٢٨.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري، ج١ ص ٥٧١.

أهل السماء والأرض، واسمه في الفرقان محمد، فسمته بذلك. فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها [١].

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن الكاظمعليه السلام انه قال: إنّ آمنة بنت وهب رأت في المنام أنّه قيل لها: إنّ ما في بطنك سيد، فإذا ولدته فسميه محمداً. ثم قال عليعليه السلام: فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فإن الله المحمود وهذا محمد [٢].

وروي عن أمه أنّها قالت: لما وضعته رأيت نوراً ساطعاً بدا مني حتى أفزعني، ولم أر شيئاً مما يرينه النساء. قال: وروى بعضهم: أنّها قالت: سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام. ولما وقع إلى الأرض قبض قبضة من تراب، ثم رفع رأسه إلى السماء [٣].

تاريخ ولادتها للنبيصلى الله عليه وآله

اختلف المؤرخون في تعيين زمان ولادة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، فقيل: ولد النبيصلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضا عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة. وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد

(١) سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، ج١ ص٢٢.

(٢) الاحتجاج، ج١ ص٣٢١.

(٣) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ١ ص٢٥٢.

المطلب، وولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف [١]، في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلي الناس فيه [٢].

ونقل المجلسي عن كتاب (حدائق الرياض) و (التواريخ الشرعية) للشيخ المفيد أنّه قال: السابع عشر من ربيع الأول مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل. وقال الطبرسي عليه السلام: ولد يوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، وذلك لأربع وثلاثين سنة مضت من ملك كسرى أنوشيروان.

وقال السيد ابن طاووس في (الإقبال): إن الذين أدركناهم من العلماء كان علمهم على أن ولادته المقدسة صلى الله عليه وآله كانت يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل عند طلوع فجره. ولذلك قال الشيخ المجلسي قدس سره: اعلم أنّه اتفقت الإمامية (إلا من شذ منهم) على أن ولادته صلى الله عليه وآله كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني قدس سره [٣].

(١) قال في هامش البحار: قال المؤرخون: كانت هذه الدار للنبي صلى الله عليه وآله فوهبها لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج الثقفي، فاشتهرت بدار محمد بن يوسف، فأدخلها في قصره الذي كانوا يسمونه البيضاء وبعد انقضاء دولة بني أمية حجت خيزران أم الهادي والرشيد فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجدا، وهو الآن يصلى ويزار فيه. البحار ج ١٥ ص ٢٥٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ٤٣٩.

(٣) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج١ ص٢٥٤.

وفاتها ومحل قبرها

لما أتى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ست سنين خرجت آمنة بنت وهب زائرة لقبر زوجها عبدالله ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها. وقيل توفيت وهو ابن أربعة أشهر أو أربع سنين أو ست [١].

وهذا كان السبب في دفنها (آمنة بنت وهب) بالأبواء هناك، حيث أنّ عبد الله والد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب، تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره.

ويقال إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلما رجع منصرفا إلى مكة، ماتت آمنة بالأبواء، ولها من العمر ثلاثون سنة[٢].

والأبواء: الأخلاط من الناس، قال كثير: إنما سميت الأبواء للوباء الذي بها؛ ولا يصح هذا إلا على القلب. وبواديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف في واد أكثر منه. وعلى خمسة أميال منها مسجد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [٣].

وقيل: هي قرية من أعمال الفرع بين المدينة والجحفة بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا؛ وقيل الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨ ص٥٤٥.

(٢) معجم البلدان، الحموي، ج ١ ص ٧٩.

(٣) معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، ج ١ ص ١٠٢.

مكة من المدينة؛ وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. وقال السكري: هو جبل مشرف شامخ ليس به شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة، وقد اختلف في تحقيق لفظه فقيل: هو فعلاء من الأبوة، كما يدل له صنيع المصنف حيث ذكره هنا، وقيل: أفعال كأنه جمع بو: وهو الجلد، أو جمع بوى وهو السواد، وقيل: إنه مقلوب من الأوباء سمي بذلك لما فيه من الوباء. وقال ثابت اللغوي: سمي لتبوء السيول به، وهذا أحسن، وسئل عنه كثير فقال: لأنهم تبوؤا به منزلاً(١).

لكن ذكر البعض أن مزارها في الحجون، حيث يقول: أما مزار آمنة بنت وهب فإن قلنا أنه في الحجون من مكة، وهي مقبرة السالفين إلى اليوم، وأهل مكة يزورونها قرب قبر خديجة سلام الله عليها، فهو يعارض القول بدفنها في الأبواء. والحق أن السيدة آمنة نقلت إلى الحجون. وعلى ضريحها قبة سامية يتلألأ النور من أعلاها، وقبرها مشهور بين البقاع، يقصد لدفع المهمات، ويزار لكشف الملمات(٢).

والحجون: بفتح الحاء جبل بمعلاة مكة مشرف مما يلي شعب الخرازين، فيه اعوجاج، عنده مقبرة. قال السهيلي: على فرسخ وثلثين من مكة؛ قال الأعشى:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ... ولا لك حق الشرب في ماء زمزم

وقال عمرو بن مضاض الجرهمي يتأسف على البيت:

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٩ – ص ١٣١ .

(٢) الخصائص الفاطمية، ج٢ ص٧٠.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر [١]

وروى الطبراني وابن مردويه عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى يرجع إليهم، فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً، ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه ثم عاد [٢].

وأيضا روي عن عائشة أن النبي مرّ في سفره إلى الحج بالحجون، فبكى كثيراً وبكيت لبكائه، ثم قال: خذي زمام ناقتي، وذهب إلى قبر أمه وعاد مستبشراً ضاحكاً، فسألته فقال: سألت الله أن يحيي أمي فأحياها، فعرضت عليها الإيمان فأقرت، ثم عادت إلى نومتها [٣].

وروى البيهقي في مثله عن عائشة، وألّفَ السيوطي رسالة في ذلك، وقال ابن حجر فيه شعراً:

الله أحيا للنبي أباه للإيمان والأم آمنة الأمينة [٤]

أقول: مع غض النظر عن مراجعة سند الرواية يظهر من قول النبي ﷺ (فأقرت) أنّها كانت مؤمنة وهذا الإيمان الذي تشرب فيها قد أقرته وأكدته، ولو كان غير ذلك لكان الأصح أن يقول (فآمنت) بعد ما عرض عليها الإيمان. ويؤيد هذا: ما تقدم من خلال سيرتها ومدى إيمانها شعراً ونثراً، فعند نزول الوحي

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٨ ص ١٣٢.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، ج ١١ ص ٢٩٦.

(٣) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، ج ٢ ص ٧١.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٠ ص ٤٤١.

والرسالة أقرت ذلك بكل يقين.

زيارة النبي لقبرها وإحياؤها له

ذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وآله لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس فقعد عنده طويلاً ثم استعبر، فقيل له يا رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أمي آمنة بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي. وقال صلى الله عليه وآله: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها[1]. وفي رواية أخرى أتى قبرها وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه[2].

وعن الصدوق بسنده قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري، قال: حدثنا أبو عبد الله عبد السلام ابن محمد بن هارون الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن [محمد بن] عقبة الشيباني، قال: حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان، عن أبي هدية إبراهيم بن هدية البصري، عن أنس بن مالك قال: أتى أبو ذر يوماً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما رأيت كما رأيت البارحة. قالوا: وما رأيت البارحة؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ببابه فخرج ليلاً فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وخرجا إلى البقيع فما زلت أقفوا أثرهما إلى أن أتيا مقابر مكة فعدل إلى قبر أبيه فصلى عنده ركعتين فإذا بالقبر قد انشق وإذا بعبد الله جالس وهو

---

(١) الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ص ١٣١. وغيره من الخاصة والعامة، منها الحاكم النيسابوري في المستدرك، ج١ ص٣٧٤، قال فقد أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في زيارة قبر أمه. ثم قال: هذا الحديث مخرج في الكتابين الصحيحين للشيخين.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨ ص ٥٤٥. السيرة الحلبية، ج١ ص١٧٢.

يقول: (أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله). فقال له: من وليك يا أبة؟ فقال: وما الولي يا بني؟ فقال: هو هذا علي. فقال: وأن علياً وليي. قال: فارجع إلى روضتك. ثم عدل إلى قبر أمه آمنة فصنع كما صنع عند قبر أبيه فإذا بالقبر قد انشق وإذا هي تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك نبي الله ورسوله). فقال لها: من وليك يا أماه؟ فقالت: وما الولاية يا بني؟ قال: هو هذا علي بن أبي طالب. فقالت: وأن علياً وليي. فقال: ارجعي إلى حفرتك وروضتك. فكذبوه ولببوه وقالوا: يا رسول الله كذب عليك اليوم. فقال: وما كان من ذلك؟ قالوا إن جندب حكى عنك كيت وكيت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. قال عبد السلام بن محمد: فعرضت هذا الخبر على الجهمي محمد بن عبد الأعلى فقال: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل حرم النار على ظهر أنزلك، وبطن حملك، وثدي أرضعك، وحجر كفلك؟ (١).

وذكر ابن طاووس قدس سره زيارتها ضمن الزيارة الخاصة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين الهادين المهديين، السلام على جدك عبد المطلب وعلى أبيك عبد الله، السلام على أمك آمنة بنت وهب، السلام على عمك حمزة سيد الشهداء (٢).

---

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ١٧٨.

(٢) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ٣ – ص ١٢٣.

تحريف الحقائق

ذكر البعض عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطينا القبور حتى انتهينا إلى قبر منها، فجلس إليه فناجاه طويلاً، ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً، فبكينا لبكائه، ثم إن النبي أقبل فلقيه عمر بن الخطاب فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله؟ قال: لقد أبكانا وأفزعنا فأخذ بيد **عمر**، ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم، يا رسول الله قال: فإن القبر الذي رأيتموني عنده قبر أمي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها، فأذن لي، ثم استأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي، وأنزل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ**﴾ فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرأفة فذلك أبكاني، ألا إني نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور، وعن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليسعكم، وعن نبيذ الأوعية، فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة، وكلوا لحوم الأضاحي وأنفقوا منها ما شئتم، فإنما نهيتكم إذا الخير قليل، وتوسعة على الناس، ألا وإن الوعاء لا يحرم شيئاً، كل مسكر حرام[1].

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين من الجمهور، في تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ...الخ**﴾، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله سأل بعدما افتتح مكة: أي أبويه أحدث به عهداً، قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف، قال: حتى أستغفر لها، فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فهمّ

(١) موارد الضمآن، الهيثمي، ص٧٣.

النبيصلى الله عليه وآله بذلك، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ..الخ**﴾، يعني: ما ينبغي للنبي﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾،﴿**وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا**﴾ كانوا كافرين فـ﴿**تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ حين ماتوا على الكفر، نزلت في محمدصلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالبعليه السلام. فقد استغفر إبراهيم لأبيه وكان كافراً، فبين الله كيف كانت هذه الآية، فقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾، وذلك أنه كان وعد أباه أن يستغفر له، فلذلك استغفر له، ﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ**﴾ لإبراهيم ﴿ **أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ**﴾ حين مات كافراً، لم يستغفر له، و تبرأ منه ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ**﴾ [(1)].

نعم ذكر السمعاني في تفسيره أن هناك اختلافاً في شأن نزول هذه الآية، حيث قال: أن القوم اختلفوا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: ما رواه سعيد بن المسيب، عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال له النبي: أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقال له أبو جهل وعبد الله بن [أبي] أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فما زالا يكلمانه حتى كان آخر كلمة قالها: على ملة عبد المطلب، فقال النبيصلى الله عليه وآله: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**مَا كَانَ**

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ج ٢ ص٧٤.

لِلنَّبِيِّ...الخ﴾.

والثاني: روى مسروق، عن عبد الله بن مسعود: أن النبي خرج إلى المقابر فاتبعناه، فأتى قبراً وقعد عنده، وناجاه طويلاً، ثم بكى وبكينا لبكائه، فقلنا له: يا رسول الله من صاحب هذا القبر؟ فقال: هذه أمي آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، ثم استأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، قال: فأخذني عليها الشفقة ما يأخذ الولد للوالدة فبكيت، وأنزل الله تعالى هذه الآية: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...الخ﴾.**

والثالث: روي عن علي - رضي الله عنه -: أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له علي: أتستغفر للمشركين؟ فقال ذلك الرجل: قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فأتى النبي وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...الخ﴾**(١).

والصحيح

أن التحريف والتغيير في الحقائق الحقّة والجليّة أمر متبع ومعتاد عليه بحسب المصالح والأطماع الدنيوية للذين اشتروا الدنيا بالآخرة، لاسيما وأن التأريخ كان قد عاش وترعرع في أحضان السياسة الأموية والتي طالما سعت وأجهدت نفسها وشمّرت عن ساعدها في دفن وإطفاء النور الإلهي ولكن أبى الله إلا أن يتمم نوره.

---

(١) راجع: تفسير السمعاني، ج٢ ص٣٥٢.

وعليه فإن سيرة آمنة بنت وهب بما فيها أقوالها وأعمالها عند الفريقين تكذّب هذا الافتراء جملة وتفصيلاً، وهي لم تكن أقل شأناً من أُمَّهات الأنبياء في الطهارة والاصطفاء، وقد ذكر القرآن أمثلة على ذلك، منها: أم نبي الله إسماعيل عليه السلام هاجر حيث يتحدث عنها القرآن بقوله تعالى: ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾.[1] ومنها: ما ذكره سبحانه وتعالى عن أم نبي الله موسى عليه السلام وكيف أوحى لها وألهمها طريق النجاة لها ولولدها بقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[2]. ومنها: ما كشف عن مكانة أم نبي الله عيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**﴾.[3] بالإضافة إلى كل ذلك ما ورد عند الفريقين عن النبي الأكرم والأئمة عليهم السلام في التأكيد على طهارتها وشدة إيمانها. والتي منها: ما ورد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما[4]. وقد تقدمت بعض

---

(١) القصص: ٧.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) آل عمران ٤٢.

(٤) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٣ ص ٢٩٤.

الروايات في هذا المجال. مع أنه لو كانت مشركة كيف جوز الله للنبي ولغيره زيارتها، والبكاء عليها، فالآية بسياقها ودلالتها بعيدة عن هذا التصور ولكن العدو أعمى البصر والبصيرة وغفل أو أغفل نفسه عن كل التناقضات الواضحة، وذلك لغاية في قلب يعقوب.

أما شأن نزول هذه الآية: هو أنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ألا نستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية وكانوا مشركين؟ فأنزل الله هذه الآية، قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ وبيّن أنه لا ينبغي لنبي ولا لمؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له.[1]

ويؤيده ما ذكره السمعاني في القول الثالث، من أن علياً عليه السلام سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له علي: أتستغفر للمشركين؟ فقال (ذلك الرجل): قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فأتى النبي وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ...الخ**﴾.

وقد ورد عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾: أي ما كان ذلك يا محمد إلا بأمر مني، فلما أمره أن يقول: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ علمنا أن الله أمره[2]. كما سيأتي التفصيل إن شاء الله في طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله.

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي ج٥ ص١٣٢.

(٢) الدر النظيم، ابن حاتم العاملي، ص ٢٧.

مرضعات النبي صلى الله عليه وآله

١- حليمة السعدية

وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بـن رزام ابن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بـن عكرمـة بـن حفصة بن قيس بن غيلان [١]. ينتهي نسبهم إلى نزار وهو أحد أجـداد النبـي صلى الله عليه وآله، له أربعة أولاد ذكور: مـضر وربيعـة وأنـار وأيـاد، وتجتمـع قبائـل مـضر فـي قـيس وخندف.

وقبرها بالبقيع، وقد هُدمت قبتها كغيرها من مشاهد الأئمة والصالحين [٢].

والسبب في إعطائه للمرضعة، كما هو المعتاد عن الأشراف في مكـة كـانوا يسلمون أولادهم الرضع إلى المراضع اللواتي كن يقصدن مكة في سني العجاف، وذلـك ليكتـسب الـشجاعة والنطـق بالكلمـات، وأيـضا الحفـاظ عليـه مـن الوبـاء والأمراض التي كانت تتعرض لها مكة بسبب الوفود التـي كانـت تلتقـي فيهـا مـن جميع أنحاء شبه الجزيرة، وفي نفس الوقت إنّ جـو الـصحراء يـساعد علـى صـفاء الفطـرة ونمـو الأعـضاء ويـزود الجـسم بـالقوة والمناعـة، فهـذا مـن شـيم العـرب وأخلاقهم إذا ولد لهم وُلِدَ يلتمسون له مرضعة في غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له.

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج١ ص١٨٦.

(٢) أنظر: العقد الفريد، ج٣ ص٢٥١.

وقيل لأنهم كانوا يرون أنه عار على المرأة أن ترضع ولدها.أي تستقل برضاعه ويدل للأول ما جاء أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يقول لأصحابه أنا أعربكم أي أفصحكم عربية أنا قرشي واسترضعت في بني سعد [(١)].

وجاء أن أبا بكر لما قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال له ما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت من بني سعد، فهذا كان يحمله على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول أضر بنا حبّ الوليد يعنى ولده لأنه لمحبته له أبقاه مع أمه في المصر ولم يسترضعه في البادية مع الأعراب فصار لحاناً لا عربية له وأخوه سليمان استرضع في البادية مع الأعراب فصار عربياً غير لحان [(٢)].

وحليمة السعدية مرضعة الرسول من المخدرات المعروفات بالعفاف والشرف والحياء، وكانت وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها لذلك اختار الله تعالى إياها لرضاعة نبيه كما اختار له شرف البطون والأصلاب والرضاعة كالنسب لأنه يغير الطباع. ورد عن عائشة ترفعه: **لا تسترضعوا الحمقى فإن اللبن يورث**[(٣)].

وأيضا هي من البيوتات ذات الاسم والسمة المعروفة بين قبائل تهامة والحجاز، والموصوفة بالنجابة والطهر، والداخلة في زمرة النساء الكريمات العظيمات ذوات العز والشأن، وكانت حليمة مشهورة بين العرب بكمال الجود

---

(١) أنظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد،ج١ ص١١٣.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي، ج ١ ص ١٤٦.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١ ص ١٨٨.

وتمام الشرف.

يروى عندما جاءت حليمة ابنة عبد الله أم النبيﷺ من الرضاعة إلى رسول اللهﷺ فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه [١].

وروي عن النبيﷺ أنّه قال: إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نسباً. وقال: أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم، واسترضعت في بني سعد.

وقال: نزل القرآن بأعرب اللغات، فلكل العرب فيه لغة، ولبني سعد بن بكر سبع لغات، وبنو سعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الأعجاز، وهي قبائل من مضر متفرقة [٢].

زوج حليمة السعدية

هو الحارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي.

وقد قدم مكة ودخل على رسول اللهﷺ حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش ألا تسمع ما يقول ابنك هذا، فقال: ما يقول؟ قالوا: يزعم أنّ الناس يبعثون بعد الموت وأنّ لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أي بني ما هذا الذي تقول؟ قال: نعم لو قد كان ذلك اليوم

---

(١) الإصابة، ابن حجر، ج ٨ ص ٨٧.

(٢) أنظر: العقد الفريد، ج٣ ص ٢٥٠.

أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه وكان يقول لو قد أخذ ابني بيدي لم يرسلني حتى يدخلني الجنة(١).

٢- ثويبة

وكانت ثويبة مولاة أبي لهب بن عبد المطلب أرضعته أيضا بلبن ابنها مسروح، وذلك قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت ثويبة قبله حمزة بن عبد المطلب عمه، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابنة حمزة: إنها ابنة أخي من الرضاعة، وكان حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وآله بأربع سنين(٢).

توفيت سنة سبع بعد مرجعه من خيبر، فقال: ما فعل ابنها مسروح؟ قالوا: مات قبلها. وكانت خديجة تكرمها، وطلبت شراءها من أبي لهب فامتنع(٣).

طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله

علماء السنة على ثلاثة آراء

أختلف علماء جمهور السنة في مسألة إيمان آباء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، إلى ثلاثة آراء.

الرأي الأول: ذهبوا فيه إلى طهارة وإيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله، كما نقل عن السيوطي أنه قال في كتابه (مسالك الخلفاء) في والدي المصطفى: إني استقرأت

---

(١) الإصابة، ابن حجر، ج ١ ص ٦٧٦.

(٢) أنظر: مستدرك سفينة البحار، الشيخ النمازي، ج٤ ص١٤٥. و بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥ ص٢٨١.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٢ص ٤٤٥.

أُمَّهات الأنبياء فلم أجد فيهن إلا مؤمنة ماتت على الإيمان [١]. وذهب القرطبي والدمياطي وابن حجر وعلماء آخرون من أهل الخلاف إلى مذهب السيوطي، وماتوا على هذا المذهب [٢].

فقد نقل عن أبي حيان الأندلسي أنه قال: ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبيﷺ كانوا مؤمنين، أما غير الامامية، فذهب أكثرهم إلى كفر والدي النبيﷺ وغيرهما من آبائهﷺ، وذهب بعضهم إلى إيمانهم. وممن صرح بإيمان عبد المطلب، وغيره من آبائهﷺ، المسعودي، واليعقوبي، وهو ظاهر كلام الماوردي، والرازي في كتابه أسرار التنزيل، والسنوسي، والتلمساني محشي الشفاء، والسيوطي، وقد ألّفَ هذا الأخير عدة رسائل لإثبات ذلك. وفي المقابل قد أَلَّفَ بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل إبراهيم الحلبي، وعلي القاري الذي فصل ذلك في شرح الفقه الأكبر، واتهموا السيوطي بأنه متساهل، لا عبرة بكلامه، ما لم يوافقه كلام الأئمة النقاد[٣]. حتى أنّ بعضهم أخذ يأوّل في أخبار والد نبي الله إبراهيمعليه السلام حتى انتهى إلى إيمانه كما هو الحق عندنا. فعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: الخال والد والعم والد وتلا الآية:﴿**قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[٤]. وفي الخبر «**ردوا عليّ أبي العباس**»، وأيد بعضهم دعوى أن أبا إبراهيمعليه السلام الحقيقي

(١) حاشية البحار، ج ١٥ ص ١١٨.

(٢) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، ج ٢ ص ٥٩.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج ٢ ص ١٨٧.

(٤) البقرة: ١٣٣.

لم يكن كافراً وإنما الكافر عمه بما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيمعليه السلام في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إنّ كانت العجوز لتجمع الحطب فلما تحقق ذلك قال: حسبي الله تعالى ونعم الوكيل فلما ألقوه قال الله تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[١] فكانت، فقال عمه من أجلي دفعه عنه فأرسل الله تعالى عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته[٢].

الرأي الثاني: هو ما يختلف تماماً عن الرأي الأول حيث قالوا بكفر آباء النبيصلى الله عليه وآله، فقد ذكر الفخر الرازي في التفسير الكبير، أنه قال: أن والدي رسول الله كانا كافرين، وذكر أن نص الكتاب يدل على أن آزر كان كافراً، وكان والد إبراهيم الخليل. فيقول: واعلم أن الرافضة ذهبوا إلى أن آباء النبيصلى الله عليه وآله كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية وبالخبر، أمّا هذه الآية فقالوا: قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ في الساجدين**﴾[٣] يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد كما نقوله نحن، وإذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان، وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وآله: «**لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**» وكل من كان كافراً فهو نجس لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا المشركون**

---

(١) الأنبياء: ٦٩.

(٢) أنظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي، ج٧ ص١٩٥.

(٣) الشعراء: ٢١٩

نَجَسٌ﴾[1] قالوا: فإن تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إبراهيم لأَبِيه ءازَرَ﴾** قلنا الجواب عنه أن لفظ الأب قد يطلق على العم كما قال أبناء يعقوب له: **﴿نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾** فسموا إسماعيل أباً له مع أنه كان عمّاً له، وقالﷺ: «**ردوا علـى أبـي**» يعني العباس، ويحتمل أيضاً أن يكون متخذاً الأصنام، أب أمه؛ فإن هذا قد يقال له الأب قال تعالى: **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِه دَاوُودُ وسليمان﴾** إلى قوله تعالى: **﴿وَعِيسَى﴾** فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنّ إبراهيم كان جده من قبل الأم.

واعلم إنّا نتمسك بقوله تعالى: **﴿لأَبِيه ءازَرَ﴾** وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره، وأمّا حمل قوله: **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي الساجدين﴾** على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا أن حمل المشترك على كل معانيه غير جائز، وأما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن[2].

وأشار إلى ذلك الآلوسي في تفسره حيث يقول: والذي عول عليه الجم الغفير من أهل السنة أنّ (ءازر) لم يكن والد إبراهيمعليه السلام وادعوا أنه ليس في آباء النبيﷺ كافر أصلاً لقولهﷺ: «**لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات والمشركون نجس**». وتخصيص الطهارة بالطهارة من السفاح لا دليل له يعول عليه. والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وقد ألّفو في هذا المطلب الرسائل واستدلوا له بما استدلوا، والقول بأن ذلك قول الشيعة كما ادعاه

---

(١) التوبة: ٢٨

(٢) تفسير الرازي، ج١٢ ص٩.

الإمام الرازي ناشئ من قلة التتبع[(١)].

الرأي الثالث: قالوا: بالتوقف والإمساك في مسألة آباء النبي، فقد جاء في فتاوى الأزهر تحريم الإساءة لآباء النبيصلى الله عليه وآله لما فيه إيذاء له صلى الله عليه وآله فتشمله اللعنة.

سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية (رحمه الله) عن رجل قال إن آباء النبيصلى الله عليه وآله في النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[(٢)]، قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه في النار وقال الإمام السهيلي (رحمه الله) في كتاب (الروض الأنف): وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبويهصلى الله عليه وآله لقوله عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا**﴾ وقد أمرنا أن نمسك اللسان إذا ذكر أصحابه رضي الله عنهم بشيء يرجع إلى العيب والنقص فيهم.

فلأن نمسك ونكف عن أبويه أحق وأحرى إذا تكرر ذلك فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبيه عليه الصلاة والسلام بوجه من الوجوه ولا خفاء في أن إثبات الشرك في أبويه إخلال ظاهر بشرف نسب نبيه الطاهر، وجملة هذه المسائل ليست من الاعتقادات فلا حظّ للقلب فيها، وأما اللسان فحقه الإمساك عما يتبادر منه النقصان خصوصا عند العامة لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه.

---

(١) تفسير الآلوسي، ج٧ ص٣٨٨.

(٢) الأحزاب: ٥٧

ومن ذلك يعلم أن الرجل الذي قال بموت أبوي النبي صلى الله عليه وسلم على الكفر قد أخطأ خطأً بيّناً يأثم ويدخل به فيمن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يحكم عليه بالكفر؛ لأن المسألة ليست من ضروريات الدين التي يجب على المكلف تفصيلها. هذا هو الحق الذي تقتضيه النصوص وعليه المحققون من العلماء والله أعلم [١].

الشيعة الإمامية

إنّ ما دلت عليه أخبار الإمامية وغيرها، واشتهر بين الاثني عشرية، أنّ والدي رسول الله صلى الله عليه وآله ماتا على الإيمان الكامل والإسلام الخالص، ولم يتدينا بأديان أهل مكة طرفة عين أبداً، ولم يعبدا إلا الله، كما هو حال سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله إلى آدم عليه السلام. قال الصدوق في الاعتقادات: اعتقادنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله أنهم مسلمون من آدم عليه السلام إلى أبيه (النبي) عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وآمنة بنت وهب أم رسول الله كانت مسلمة. وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم** عليه السلام». وقد روي أن عبد المطلب كان حجة وأبو طالب كان وصيه [٢]. وفي النبوي أيضاً: «**لم أزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني من عالمكم هذا ولم يدنسني دنس الجاهلية**» [٣]. والحديث عام يشمل جميع آباء النبي وأجداده، ولو كان فيهم

---

(١) راجع: فتاوى الأزهر، ج٧ ص٣١٦.

(٢) أنظر: الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، ص١١٠.

(٣) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص٤٦.

مشرك لأخرجه، ولو كان فيهم مشرك لم يصفهم جميعا بالطهارة مع قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (١).

قال أمين الدين الطبرسي في مجمع البيان: أجمعت الطائفة على ذلك. (٢)

وقال المجلسي: اتفقت الإمامية على أنّ والدي الرسولﷺ وكل أجداده إلى آدمﷺ كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين، أو أوصياء معصومين. ولعل بعضهم لم يُظْهِرْ الإسلام لمصلحة دينية ولتقية (٣).

وفي الحديث المعتبر عند الفريقين: «نزل جبرئيل على رسول اللهﷺ فقال: يا محمد إن الله عز وجل: قد شفعك في خمسة: في بطن حملك وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وفي صلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطلب وفي حجر كفلك، وهو عبد المطلب بن هاشم، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال: كان أُنسي وكنت أُنسه، وكان سخياً يطعم الطعام. واسم هذا الأخ الجلاس بن علقمة» (٤).

وفي حديث علل الشرائع: إن الله شفعك في خمسة منها: في حجر كفلك وفي بيت آواك، والمراد من الحجر عبد المطلب ومن البيت عبد مناف بن عبد المطلب. والنبيﷺ لا يشفع للمشرك.

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) أنظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٤ ص٩٠.

(٣) البحار، المجلسي، ج ١٥ص ١١٧.

(٤) أنظر الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٩٣.

وفي تهذيب الأحكام عن صفوان الجمال عن الصادقعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله قال: إني مستوهب من ربي أربعة وهو واهبهم لي إن شاء الله تعالى: آمنة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطلب، وأبو طالب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحة [1]. والرسولصلى الله عليه وآله لا يستوهب مشركاً وينجيه من النار. ولعل الرجل هو (خلاص بن علقمة)، والملحة: إما أن تكون (الحلف) أو أكل الملح، أي أنّهصلى الله عليه وآله أكل من زاده وملحه. وأيضاً من أدلتنا معاشر الشيعة على طهارة آباء النبيصلى الله عليه وآله وأجداده من كتاب الله قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [2] أي أنّه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، فالآية دالة على أن جميع آباء النبيصلى الله عليه وآله كانوا مسلمين مؤمنين: عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وغيرهم.

ومعنى ذلك: هو أنه ليس في آباء الرسولصلى الله عليه وآله إلا الخير والبركة، وهذا هو ما ورثه الرسول عنهم، ويتأكد بذلك طهارتهصلى الله عليه وآله من الأرجاس، والرذائل، حتى ما يكون عن طريق الوراثة، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وهو ما أثبته العلم الحديث أيضا، حيث لم يبق ثمة أية شبهة في تأثير عامل الوراثة في تكوين شخصية الإنسان، وفي خصاله ومزاياه.

محاولة فاشلة

ذكر ابن أبي الحديد احتمالاً لإثبات خيالات أبناء جنسه، فقال: إذا تعارض الجرح والتعديل، فالترجيح لجانب الجرح؛ لأن الجارح قد اطلع على زيادة لم

---

(١) قرب الإسناد، الحميري القمي، ص٥٦.

(٢) الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

يطلع عليها المعدل ولا شهادة على النفي[١].

والجواب

أولا: إننا نقول إنّ أخبارنا وصلت حد الاستفاضة، وما تروونه من أن أبا طالب قال عند موته: «أنا على دين الأشياخ» فالمقصود من الأشياخ آباؤه الكرام وأجداده العظام، وعلى هذا فلا تعارض بين الدليلين لتصل النوبة إلى الجرح والتعديل وتقديم الجارح على المعدل.

وثانياً: من البديهي عدم إمكان إثبات كفر والدي الرسول وأبي طالب من ظاهر قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ**﴾ لأن آزر كان عمه ولم يكن أباه الواقع في عمود النسب النبوي، وإطلاق الأب على العم لغة مستعملة عند العرب إلى يومنا هذا، كما أنهم يطلقون الأم على الخالة.

وثالثا: إن ابن أبي الحديد نفسه قال أنه سأل شيخه النقيب يحيى بن أبي زيد فقال: قد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين[٢].

خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله

أولاً: هناك روايات كثيرة تدل على إيمان آبائه صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى إجماع

---

(١) شرح النهج،ابن ابي الحديد، ج ١٤ ص ٤٩.

(٢) شرح النهج، ج١٤ ص٣٨.

الطائفة المحقة، وهذا الإجماع وإن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، ومستند ذلك هو الأخبار. والإحاطة بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذرا. وهذا هو الدليل المعتمد [١].

من تلك الأخبار قوله صلى الله عليه وآله: «**لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية**» [٢]. ولو كان في آبائه صلى الله عليه وآله كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾. وغيرها كثير وقد تقدم بعضها. **ومنها**: قال صلى الله عليه وآله: «**فأحبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط**» [٣].

ومنها: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: **والله ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط**. قيل: وما كانوا يعبدون؟ قال: **كانوا يصلون إلى البيت، على دين إبراهيم، متمسكين به** [٤].

ثانياً: الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ**

---

(١)راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص٤٦.

(٣) السيرة الحلبية، الحلبي، ج ١ ص ٤٩.

(٤) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ٣ ص ١٠٧٤.

فِي السَّاجِدِينَ﴾[١]. وقد روي عن ابن عباس، وأبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: أنّه صلى الله عليه وآله لم يزل ينقل من صلب نبي إلى نبي حتى صرت نبياً[٢]. والروايات صريحة في تفسير هذه الآية وقد تقدم بعضها.

ومنها: حكاية قوله تعالى لقول إبراهيم وإسماعيل: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[٣]، مع قوله تعالى: **﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[٤]، أي في عقب إبراهيم، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم، ولا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة. ولعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم الذي قال: **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾** وقوله: **﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾**.

ثالثاً: أمر الإمام الصادق في الطواف لآباء النبي صلى الله عليه وآله وصلاة ركعتين، كما ورد في الكافي عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله صلى الله عليه وآله ولي على رجل مال قد خفت تواه فشكوت إليه ذلك فقال لي: «**إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلِّ ركعتين عنه وطف عن أبي طالب طوافاً وصلِّ عنه ركعتين وطف عن عبد الله طوافاً وصلِّ عنه ركعتين وطف عن آمنة طوافاً**

---

(١) الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٨ ص٢١٤. قال ورجاله ثقات، الطبراني في المعجم الكبير، ج١١ ص٢٨٧.

(٣) البقرة: ١٢٨.

(٤) الزخرف: ٢٨.

وصلِّ عنها ركعتين وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلِّ عنها ركعتين ثم ادع أن يرد عليك مالك»، قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني تعال أقبض مالك[1].

فلو كانوا مشركين كيف يأمر الإمام الصادقعليه السلام بذلك، بل نفهم من ذلك أن لهم خصوصيات زائدة على الأيمان ومكانة عالية عند الله.

استغفار إبراهيمعليه السلام لأبيه

وقد اعترض على القائلين بإيمان جميع آبائهصلى الله عليه وآله إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر (آزر) أبي إبراهيم، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[2]. فيلزم من هذا خرم للقاعدة، في أن سلسلة آباء النبيصلى الله عليه وآله إلى آدم كانوا على الإيمان والطهر، حيث أنّ والد نبي الله إبراهيمعليه السلام (الذي هو من سلسلة آباء النبيصلى الله عليه وآله) لم يكن على ملة الإسلام وإنّما كان من المشركين كما في هذه الآية، فعليه لا يصح القول إنّ جميع آباء النبيصلى الله عليه وآله إلى آدم كانوا مؤمنين.

والجواب

أولا: إنّ اسم (آزر) الذي في الآية ليس أباً لإبراهيمعليه السلام وإنما عمه، أو جده لأُمه، على اختلاف النقل واسم أبيه الحقيقي: (تارخ) وإنّما أطلق عليه لفظ الأب توسعاً، وتجوزاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ**

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤ ص ٥٤٤.

(٢) التوبة: ١١٤

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]. فعد فيهم إسماعيل، وليس من آبائه، ولكنه عمه[2]. يؤيده ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **آزر كان عم إبراهيم، منجماً لنمرود**[3].

وثانياً: إن استغفار إبراهيم لأبيه قد كان في أول عهده وفي شبابه، مع أنّنا نجد أن إبراهيم عليه السلام حين شيخوخته، وبعد أن رزق أولاداً، وبلغ من الكبر عتياً يستغفر لوالديه، قال تعالى حكاية عنه: **﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾**[4] قال هذا بعد أن وهب الله له على الكبر إسماعيل وإسحاق حسب نص الآيات الشريفة. ومن الواضح: أنّ بين الوالد والأب فرقاً، فإن الأب يطلق على المربي وعلى العم والجد، أمّا (الوالد) فإنما يخص الوالد بلا واسطة. فالاستغفار هنا في الآية إنما كان للوالد، أمّا في الآية: **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ...الخ﴾** فكان للأب الذي هو غير والده.

إشكال وجواب

روى مسلم وغيره: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله: أين أبي؟ فقال: في النار. فلما قفا دعاه، وقال له: إن أبي وأباك في النار[5].

---

(١) البقرة: ١٣٣ .

(٢) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج ٢ ص ١٨٩.

(٣) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج٧ ص٢٠٧.

(٤) إبراهيم: ٤١.

(٥) صحيح مسلم، ج١ ص١٣٣. وسنن أبي داود، ج٢ ص٤١٧.

الجواب

أولاً: إنّ هـذا غيـر صـحيح لمـا تقـدم. وهـو مـا يـدل علـى إيمـان جميـع آبائهﷺ. وأن أنوارهم محفوظة: يعني حفظها الله عز وجـل عـن أقـذار الجاهليـة وأنجاسـها وأدنـاس الـضلالة وأرجاسـها بـأن لـم يودعهـا إلا الأصـلاب الطـاهرة والأرحام المطهرة، فإن اعتقادنا كما عليه الإجماع، بل الضرورة أن آباءهم الـذين استودعوا تلك الأمانة الإلهية من الخاتم إلى آدم، كانوا بأجمعهم مؤمنين طاهرين، لم يشركوا بالله تعالى طرفة عين، وكذلك أُمّهاتهم اللاتـي استودعن تلـك الأمانـة كما في الزيارة (لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مـن مـدلهمات ثيابهـا). وكما ورد عـن الـصادقعليه السلام قـال: إن الله كـان إذ لا كـان فخلـق الكـان والمكـان وخلق الأنوار وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نـورين أولـين إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطـاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب [1].

وفـي الاحتجـاج عـن الـصادقعليه السلام فـي جـواب مـسائل الزنـديق، قـالعليه السلام: وأخـرج مـن آدم نـسلاً طـاهراً طيبـاً، أخـرج منـه الأنبيـاء والرسـل، هـم صـفوة الله وخالص الجوهر، طهروا في الأصلاب وحفظوا فـي الأرحـام، ولـم يـصبهم سـفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم؛ لأن الله تعالى جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجـة وشرفاً منه، فمن كان خازن علـم الله، وأمـين غيبـه، ومـستودع سـره، وحجـة علـى

(١) مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج ١ ص ٣٦٨.

خلقه، وترجمانه، ولسانه لا يكون إلا بهذه الصفة، فالحجة لا يكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله في الخلق.[١]

وثانيا: لقد روى هذه الرواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. مع أننا نجد: أنّ معمراً قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، ولكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه صلى الله عليه وآله، فقد قال له صلى الله عليه وآله: (حيثما - أو إذا - مررت بقبر كافر فبشره بالنار). وقد نص علماء الجرح والتعديل (من أصحاب هؤلاء الرواة) على أن معمراً أثبت من حماد. وأن الناس قد تكلموا في حفظ حماد، ووقع في أحاديثه مناكير، دسها ربيعة في كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها[٢].

وثالثا: لقد رويت هذه الرواية بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن أبي وقاص، وجاء فيها: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار. وكذا روي عن الزهري، بسند صحيح أيضا. وهذا نص الرواية: حدثنا محمد بن إسماعيل بن البختري الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنّ أبي كان يصل الرحم، وكان وكان. فأين هو؟ قال صلى الله عليه وآله: (في النار)، قال فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «حيثما مررت بقبر مشرك، فبشره بالنار» قال فأسلم الأعرابي، بعد. وقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الاحتجاج، ج٢ ص ٧٨.

(٢) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج ٢ ص ١٩٢.

تعبا. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. وفي الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح[(١)].

وقد رفض الجمهور ما جاء في المستدرك، أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله إنّ أُمنا تحفظ على البعل وتكرم الضيف وقد وأدت في الجاهلية فأين أُمنا قال أمكما في النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله ﷺ فرجعا فقال: إنّ أمي مع أمكما[(٢)].

حتى أنّ الحلبي وغيره قد أسقطوه، فقال: يجوز أن يكون قوله لشخصين أمي وأمكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل إحيائها وإيمانها به كما تقدم، نظير ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم. وقولنا على تقدير صحة الحديث إشارة لما تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا[(٣)].

(١) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ج ١ ص ٥٠١. ومجمع الزوائد، ج١ ص١١٨.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٢ ص ٣٦٤.

(٣) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي ج ١ ص ١٧٤.



الفصل الثاني

فاطمة بنت أسد أُمُّ الإمام عليٍّ عليهما السلام

النسب الطاهر

هي السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو من أولاد نبي الله إسماعيل عليه السلام.

وإنها أول هاشمية ولدت لهاشمي [1]، حيث لم يكن في زمانها هاشمي ابن هاشميين إلا أولادها، ثم أولاد علي عليهم السلام، وهي تكون بنت عم أبي طالب عليه السلام زوجها (عبد مناف بن عبد المطلب)، حيث أنّ عبد المطلب بن هاشم (الذي هو والد أبي طالب) وأسد إخوان. كما نفهم منه أيضا قربها من النبي صلى الله عليه وآله حيث أنّ أباها أسد أخ لجد النبي صلى الله عليه وآله كما هو واضح، فهي بنت عم والد النبي صلى الله عليه وآله، وهو عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، فتجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله في هاشم من جهة الأب.

وأمّا أمّها: فهي فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٨ ص ٥١.

عامر بن لؤي[(١)]. وتلتقي فاطمة بنت أسد بنسب النبيﷺ من جهة الأم في لؤي، وهو الجد السابع لها من قبل أمها. وأمّا إخوانها: حنين بن أسد، وخالدة بنت أسد.

ومحل ولادة السيدة فاطمة بنت أسدعليها السلام في مكة المكرمة، حدودا في سنة (٦١ قبل الهجرة)، ومدة عمرها ما يقارب (٦٥ سنة)، وفي رواية (٦٠ سنة) ورواية أخرى (٧٠ سنة)[(٢)]. وقد توفيت سنة (٤ بعد الهجرة النبوية)، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

إيمانها بالله والرسول

لم يكن إيمان فاطمة بنت أسد متأخراً كما هو شأن عوام الناس بعد البعثة، بل كان أمره سابقاً حتى على ولادة النبيﷺ بحسب مقتضيات الأسرة الهاشمية وديدنها بإيمانهم بالحنيفية الإبراهيمية، وبمجيء البعثة المحمدية، وهو أمر واضح عند أدنى نظرة في سيرتها المباركة الخالدة، وقد كشف لنا النبيﷺ مدى إخلاصها وإيمانها قبل مجيء الإسلام، حيث يقول: «**رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**»[(٣)]. فكانت خدمتها ورعايتها للنبيﷺ في وقت سابق على البعثة بدافع أيماني مرسخ بالإخلاص والتقرب لله تعالى، ويظهر مدى إيمانها السابق أيضاً ما جرى على لسانها في حال لجوئها إلى

---

(١) مقاتل الطالبيين، أبو فرج الأصفهاني، ص٣.

(٢) راجع: كتاب كاروانى با سيزده كجاوه، ص٤٤.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج١ ص٦٧.

الكعبة الشريفة لا غير في مخاضها بسيد الوصيين أمير المؤمنين حيث قالت: **رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنّه بنى البيت العتيق...** وهكذا إلى آخر حياتها، لاسيما بعد البعثة المباركة، وظهور ما كان راسخاً في أذهانهم ومتشرباً في عقائدهم، فقد كشفت لنا جملة من النصوص مدى ذوبانها بالإسلام، فعن عبد الله ابن يسار، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: كانت فاطمة بنت أسد أُم علي بن أبي طالب حادية عشرة، يعني في السابقة إلى الإسلام، وكانت بدرية [(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام **قال: إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله** [(٢)].

وعن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن إبراهيم، عن الحسن البصري عن الزبير بن العوام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ**﴾[(٣)]. وكانت فاطمة بنت أسد أوّل امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله. وكانت صالحة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها ويقيل في بيتها[(٤)]. ولما توفت نزع رسول الله قميصه فألبسها إياه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

---

(١) مقاتل الطالبيين، ابي فرج الاصفهاني، ص٥٥.

(٢) الكافي،الشيخ الكليني، ج١ ص ٤٥٣.

(٣) الممتحنة: ١٢.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٨ ص ٢٢٢.

مكانتها عند الله ورسوله

حظيت فاطمة بنت أسد (أُم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام) بمكانة عالية عند الله وعند رسوله تمتاز بها عن غيرها من النساء، فيكفيها فخراً أنها كانت أُمّاً لخاتم النبيين وأُمّاً لسيد الوصيين، وعليه قد صحبتها كرامات ومعاجز يعجز عن تفسيرها الذهن البشري، والتي من جملتها انشقاق جدار البيت العتيق ودخولها فيه، وغيرها، لذلك ظللها النبي صلى الله عليه وآله بما يتناسب وشأنها ومكانتها المعنوية التي تتمتع بها، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فسمعت رسول الله وهو يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالت: وآسوأتاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يبعثك كآسية. وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: وآضعفاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك، وقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: إني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار، فلما مرضت أوصت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرت أن يعتق خادمها، واعتقل لسانها فجعلت تومي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إيماء، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وصيتها [(١)].

ويكفيها ما نزل فيها من المدح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٤٥٣.

وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَـذَابَ النَّـارِ﴾، إلى قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّـنكُم مِّـن ذَكَـرٍ أَوْ أُنثَـى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[(١)].

فقد ورد الذكر علي، والأنثى الفواطم، وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير، (بعضكم من بعض) يقول: علي من فاطمة[(٢)].

وروي في الذخائر أنها توفيت بالمدينة وشهدها النبي صلى الله عليه وآله وتولى دفنها ونزع قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها فلما سوى عليها التراب سئل عن ذلك فقال ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إليّ بعد أبي طالب[(٣)].

وبالجملة، جلالة فاطمة بنت أسد يعلم من ولادتها أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة، وأنها كانت من السابقات إلى الإيمان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويدعوها أمي.

وروي أنها لما ماتت بكى عليها النبي صلى الله عليه وآله وكفنها بثيابه، وصلى عليها، وكبر عليها أربعين تكبيرة، وقد صلى عليها صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها ودخل في قبرها وتمدد فيه. كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

---

(١) آل عمران: ١٩١– ١٩٥.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٤٧١.

(٣) أنظر: ذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبري، ص٥٦. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص٢٥٧.

فاطمة بنت أسد أُم النبي الثانية

حازت فاطمة بنت أسد على هذا اللقب العظيم (أم النبي) والذي يكشف عن مدى إيمانها وعظم مكانتها عند الله ورسوله؛ وذلك لرعايتها واهتمامها برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. لذلك: عندما سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن اهتمامه في تجهيز ودفن فاطمة بنت أسد والذي لم يسبق له نظير، قال: إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليَّ ويؤثراني على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها.[1]

ويؤكد هذا ما ذكره الحاكم في مستدركه، عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوى عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال يا عمر إنّ هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني إنّ أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه وان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرني عن ربي عز وجل أنّها من أهل الجنة وأخبرني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها[2].

وأيضاً روي عن فاطمة بنت أسد: أنه لما ظهرت أمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه. فقال عبد

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ٢ ص ٤٦٩

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣ ص١٠٨.

المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم، ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب، إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له. قالت: فلما توفي أخذه أبو طالب، وكنت أخدمه، وكان يدعوني الأم [١].

وروي أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليها وتمرغ في قبرها وبكى وقال جزاك الله من أُم خيراً فلقد كنت خير أم، وسماها أماً؛ لأنها كانت ربته [٢].

وقد ذكر الطبراني في المعجم الكبير عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ونكبتنا حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد [٣].

---

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١ ص ١٣٨

(٢) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٥٥

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٤ ص ٣٥١

مشهد من كرم بني هاشم

حفلت سيرة بني هاشم بهذه الصفة (الكرم) والتي مدحها العقل وأقرها الشرع وأثاب على كل من تلبس بها، وكان من أجلى مصاديق ذلك الأنبياء وأوصياؤهم وذلك بما هو ثابت عقلاً وشرعاً أنّ المعصوم كامل الصفات لا يسبقه أحد على ذلك، نأخذ مثالاً هنا له صلة بالبحث، وهو أن النبيﷺ قبل الهجرة خرج يوماً إلى خارج مكة ورجع طالباً منزله فاجتاز بمناد ينادي من بني تميم (وكان لهم سيد يسمى عبد الله ابن جذعان، وكان يعد من سادات قريش وأشياخهم، وكان له منادية ينادون في شعاب مكة وأوديتها: من أراد الضيافة والقرى فليأت مائدة عبد الله بن جذعان، وكان من مناديه: أبو قحافة، وأجرته أربعة دوانيق، وله مناد آخر فوق سطح داره) فأخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبيﷺ على بابه، فخرج يسعى حتى لحق به وقال: يا محمد؟ بالبيت الحرام إلا ما شرفتني بدخولك إلى منزلي وتحرمك بزادي، وأقسم عليه برب البيت والبطحاء وبشيبة بن عبد المطلب، فأجابه النبيﷺ إلى ذلك ودخل منزله وتحرم بزاده، فلما خرج النبيﷺ خرج معه ابن جذعان مشيعاً له، فلما أراد الرجوع عنه قال له النبيﷺ: إني أحب أن تكون غدا في ضيافتي أنت وتيم وأتباعها وحلفاؤها عند طلوع الغزالة [1]، ثم افترقا ومضى النبي إلى دار عمه أبي طالب وجلس متفكراً فيما وعده لعبد الله بن جذعان، إذ دخلت عليه فاطمة بنت أسدعليها السلام (وكانت هي

(١) في الصحاح، ج٥ ص١٧٨١، غزالة الضحى: أولها، يقال: جاءنا فلان في غزالة الضحى، ثم قال: ويقال: الغزالة الشمس أيضا. وفي القاموس، ج ٤ ص٢٤: كسحابة الشمس لأنها تمد حبالا كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها، أو عند ارتفاعها، أو عين الشمس.

مربيته، وكان يسميها الأُم) فلما رأته مهموما قالت: فداك أبي وأمي، ما لي أراك مهموماً؟ أعارضك أحد من أهل مكة؟. فقال: لا. قالت: فبحقي عليك إلا ما أخبرتني بحالك، فقص عليها قصته مع ابن جذعان وما قاله وما وعده من الضيافة، فقالت: يا ولدي لا تضيقن صدرك، معي مشار عسل يقوم لك بكل ما تريد، فبينما هما في الحديث إذ دخل أبو طالب رضي الله عنه، فقال لزوجته: فيما أنتما؟. فأعلمته بذلك كله، وبما قال النبيﷺ لابن جذعان، فضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه، وقال: يا ولدي بالله عليك لا تضيقن صدرك من ذلك، وفي نهار غد أقوم لك بجميع ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، وأصنع وليمة تتحدث بها الركبان في سائر البلدان، وعزم على وليمة تعم سائر القبائل...[1].

زواجها من أبي طالب

اختار أبو طالب فاطمة بنت أسد شريكة لحياته، وذلك بما كانت تمتاز بصفات كمالية عالية تؤهلها لأن تكون كفؤاً له، لاسيما إن قلنا أنه وصي من الأوصياء (كما ذكر عن أبي الحسن الأول...لأنه كان قد آمن وأقر، وكيف لا يكون كذلك والحال أن أبا طالب كان من الأوصياء، وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملا لها إليهﷺ...)[2]. وله المكانة والقدر العالي عند الله، ومن ناحية أخرى تكون وعاء لسيد الأوصياء، فهذه وغيرها تكشف لنا عن سبب اختيار أبي طالب لها،

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣٠ ص٣٦٧.

(٢) أنظر: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، السيد محمد علي الأبطحي، ص٤٠٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٥ ص ٧٤.

وقد خطب أبو طالب في نكاح فاطمة بنت أسد حيث قال: الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم والمقام الكريم والمشعر والحطيم الذي اصطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء وخلصاء وحجيته بهاليل أطهار من الخنا والريب والأذى والعيب وأقام لنا المشاعر وفضلنا على العشائر نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل. وفي كلام له قال: وقد تزوجت بنت أسد وسقت المهر ونفذت الأمر فاسألوه واشهدوا، فقال أسد: زوجناك ورضينا بك، ثم أطعم الناس فقال أمية بن الصلت:

اغمرنا عرس أبي طالب ... وكان عرساً لبن الحالب

اقرأؤه البدو بأقطاره ... من راجل خف ومن راكب [(١)]

مشهد من إيمان أبي طالب

من الهوان أن يُشكك في إيمان رائد المسيرة الإسلامية والقاعدة الكبرى لانطلاق الإسلام واستحكامه والممهد له والركن القويم، حتى يأتي الداني الذي تشرّب هو وأسلافه في محض الشرك وعبادة الأصنام وتناول النجاسات أن ينال من العالي وينكر وينفي إيمان من هو محل الإيمان، وهذا إن يعبر عن شيء فهو يعبر عن مدى الانتكاسة التي مرّ بها العالم الإسلامي، والازدواجية القصوى في المعايير، فلم يكن إيمان أبي طالب بل العائلة الهاشمية والعدنانية إلا مصدراً للإيمان وللإسلام والممهدين لخاتمية الرسالة، إلا من شذ كأبي لهب، لذلك نجد سيرتهم لاسيما أبي طالب عليه السلام حافلة بالتلبسات العبادية والتضحيات الإيمانية والتنبؤات اليقينية، ويكفي ذلك إعجازاً أنّه أرضع النبي، كما ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢ ص ٢٠.

الله عليه السلام قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وآله مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها[١]. وربما يضعف تحمل هذا الحديث من ضعاف النفوس وقليلي الإيمان كما أشار لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: **إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان**[٢]. وعن الإمام الصادق عليه السلام **إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة**[٣]. وأيضا تناسوا أو تغافلوا مما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله من نظائر لذلك، فهم يرون الحياة من جانب واحد أو من جانب مادي وهو الجانب الذي استولى على حياتهم ومشاعرهم ونفوسهم ولا يعطون للتدخلات الغيبية والمعجزات أو الكرامات الإلهية أي اهتمام أو قبول، فلو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا كيف يفرق بين المؤمن وغيره بالإيمان بالغيب بقوله: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[٤]، فقد شاءت حكمته تعالى أن يعطي لأنبيائه والأوصياء والصالحين القدرة على التحكم بما هو خارج عن نواميس الطبيعة بأذنه سواء كان على سبيل المعجزة أم الكرامة وقد ضرب لنا أمثلة كثيرة في القرآن الكريم سواء كان للأنبياء أم غيرهم من قبيل معاجز نبي الله سليمان عليه السلام أو إحضار عرش بلقيس ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ**

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) نفس المصدر، ج ١ ص ٤٠١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) البقرة: ٣.

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1]، وغير ذلك في القرآن كثير، إضافة إلى ما ورد في السنة الشريفة، فلماذا نستكثر ونستغرب ما حدث عن أبي طالبعليه السلام مع النبيصلى الله عليه وآله سواء كان ذلك إكراماً لمنزلة أبي طالب عند الله أم رعاية للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله. وقد ورد أيضاً عن فاطمة بنت أسد أنها قالت: لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبيصلى الله عليه وآله عنده لوصية أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول إدراك الرطب وكنت كل يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي فاتفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً، وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكم على وجهي حياءً من محمدصلى الله عليه وآله إذا انتبه فانتبه محمدصلى الله عليه وآله ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جائع. فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هو إنما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس. فولدت علياً عليه السلام كما قال[2]. وهذا أيضاً يكشف عن مدى اتصال أبي طالبعليه السلام بالغيب وعن مدى إيمانه وعلمه.

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٧ ص ٣٩٨.

أبو طالب رمز الإيمان

كثـرة تـشويش أذهـان المـؤمنين والمستـضعفين مـن قبـل المغرضـين والمحرّفين في تشويه وتحريف سيرة أحد كبار ورموز المضحين والمـدافعين عن بيضة الإسلام وحامل لوائه، جعلتنا أن نذكر وباختصار الأدلة الاثباتية على إيمانه عليه السلام، فإن الدلائل على إيمان أبي طالب بدين ابن أخيه تبلغ مـن الـوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحققين المنصفين والمحايـدين، ولكـن بعض المتعصبين توقف في إيمـان تلـك الشخـصية المتفانيـة العظيمـة بالـدعوة المحمدية بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنه مات غير مؤمن. ولو صحت عشر هذه الـدلائل الدالـة علـى إيمـان أبـي طالـب الثابتة في كتب التاريخ والحديث، في حق رجل آخر لما شك أحد في إيمانـه فضلاً عن إسلامه ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدلـة إقنـاع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم؟ فهناك أدلة كثيرة تدل على إيمان أبي طالـب من جملتها ما يلي:

الأول: الروايات الواردة بحقه

والروايـات فـي هـذا المجـال كثيـرة، **منهـا**: مـا روى عـن علـي بـن محمـد الباقر عليه السلام: «**لو وضع إيمان أبي طالب في كفه ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه**». ثم قال: (**ألم تعلموا أنّ علياً عليه السلام كان يـأمر أن يحج عن أبي النبي عبد الله وعن أمه وأبيه أبي طالب في حياته وقد أوصى**

في وصيته بالحج عنهم بعد مماته)[١]. فهذه الرواية تكشف لنا أن إيمان أبي طالب يحظى بمرتبة عالية.

ومنها: عن الصادقعليه السلام، عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: «**والذي بعث محمداً** صلى الله عليه وآله **بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم**»[٢].

ومنها: عن الأمالي: عن أبي عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنينعليه السلام، قال: كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك يعذب بالنار؟ **فقال له: مه فض الله فاك والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله (تعالى) فيهم، أبي يعذب بالنار وابنه قسيم النار؟ ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد**صلى الله عليه وآله**، ونوري، ونور فاطمة، ونوري الحسن والحسين ومن ولده من الأئمة، لان نوره من نورنا الذي خلقه الله (عز وجل) من قبل خلق ادم بألفي عام**[٣].

ومنها: عن أبان بن محمد قال كتبت إلى الإمام علي بن موسىعليه السلام: جعلت فداك إني شككت في إيمان أبي طالب قال: فكتب «**بسم الله الرحمن الرحيم**

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٥ ص١١٢.

(٢) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري، ج ٥ – ص ٢٠.

(٣) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٣٠٥.

ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى أما إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»[١].

وفي رواية أخرى عن ابن علي بن بابويه بإسناد له أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضاعليه السلام: عرفني يابن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضاعليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار**»[٢].

ومنها: عن أبان، عن محمد بن يونس، عن أبيه، عن أبي عبد اللهعليه السلام أنه قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، فقال: **كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**[٣].

وهذه الطائفة من الروايات تدل بصراحة على أن القول بإيمان أبي طالب له دخل في العقيدة سلباً وإيجاباً، وعليه من أنكر إيمان أبي طالب فقد خرج عن العقيدة الحقّة وكان مصيره النار مع الكافرين، مع أنّ هذه الروايات ليس المراد منها إثبات إيمان أبي طالب فحسب، وإنّما تفيد أيضا وبوضوح مدى عظمة أبي طالبعليه السلام

---

(١) كنز الفوائد، ابو الفتح الكراجكي، ص٨٠.

(٢) أنظر: إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد، ص٤.

(٣) أنظر: كنز الفوائد، ابو الفتح الكراجكي، ص٨٠.

ومكانته عند الله فلا يقل شأنا عن الرسل والأنبياء؛ بدليل أنّ الشك في إيمانه يلزم منه انحراف بالعقيدة ويستحق على ذلك النار، وهذا ما لا يتأتى إلا لنبي أو وصي لأنّ له ارتباط بالغيب وينطق عن الله، فإذا شك به أو كذّبه فقد شك وكذّب بالله فيكون مصيره الهلاك، وإلا لو أنّ شخصاً شك في إيمان زيد من الناس ولو كان مسلماً لا يلزم خروجه من العقيدة ولا يصبح كافراً ومن ثم يكون مصيره النار.

الثاني: أشعاره في نصرة النبي وتأييده

إنّ أشعارهعليه السلام التي تدل على مدى إيمانه ومجابهته أعداء الإسلام، هي كثيرة وربما تبلغ أكثر من مجلد، وقد ذكر عن ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1]: إنّ أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيصلى الله عليه وآله و يصحح نبوته[2]. ونحن هنا نقتصر على أنموذجٍ منها كي لا نخرج بعيداً عن موضوع الكتاب والفصل، فمن تلك الأشعار ما جاء في وصيته بالنبيصلى الله عليه وآله:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة ... ابني علياً وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حقيقته ... وجعفراً أن تذودا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وما ولدت ... في نصر أحمد دون الناس أتراسا[3]

(١) الحج: ٤٠.

(٢)إيمان أبي طالب، الشيخ الأميني، ص١٨.

(٣) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٧ ص ٣٤١.

ومنها:

لــيعلم خيــار النــاس أن محمــداً　　نــبي كموســى والمــسيح بــن مــريم

أتانــا بهــدي مثلمــا أتيــا بــه　　فكــل بــأمر الله يهــدي ويعــصم [١]

ومنها:

ألم تعلمــوا إنــا وجــدنا محمــداً　　رسولاً كموسى خط في أول الكتب [٢]

الثالث: مواقفه من الرسول ودفاعه عنه

إنّ مواقفه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكيفية دفاعه وذبّه عنه لا يقتصر على ما بعد البعثة وإنما كان ذلك والنبي صلى الله عليه وآله في غرة حياته وبداية صباه، فكان أبو طالب يحفه بالرعاية والحفاظ والتكريم، وهذا يعبر عن الترجمة الإيمانية الراسخة له، إضافة إلى جهاده والدفاع عنه ما بعد البعثة، فقد ورد عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الظهيرة، ويذبحونها على النصب، فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعري السهمي: أنا أفعل. فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فملأ به ثيابه ومظاهره فانصرف النبي صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يابن أخي؟ فقص عليه القصة، فقال وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح. فنادى [أبو طالب] في قومه:

---

(١) الإحتجاج، الطبرسي، ج١ ص٣٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٤ ص٧٢.

يا آل عبد المطلب يا آل هاشم يا آل عبد مناف ! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم: ورب هذه البنية لا يقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف، ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار، ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومئ بيده إلى النبيﷺ: **أنت النبي محمد قرم أغر مسود...** إلى آخر الأبيات، ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبيﷺ إلى عبد الله بن الزبعري السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب، فوجأ انفه حتى أدماها، ثم أمر بالرفث والدم فأمر على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: يابن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدمعليه السلام، ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً. يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل، أنا الذي تعرفوني[1].

وجاء في المستدرك: عن أبي العباس محمد بن يعقوب (إلى قوله) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبيﷺ قال: ما زالت قريش كاعة (أي جبانة)[2] حتى توفي أبو طالب هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[3].

---

(١) حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمد محمديان، ج١ ص ٢٧١.

(٢) الكاعة، جمع كاع، وهو الجبان، أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبيﷺ في حياة أبي طالب، فلما مات اجترؤوا عليه. أنظر لسان العرب، ابن منظور، ج٨ ص٣١٢.

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٢ ص ٦٢٢. وتاريخ الإسلام، الذهبي، ج١ ص٢٣٣. وغيرهم.

وهذا كما يظهر من كلام أبي طالبعليه السلام ليس بدافع عاطفي أو قبلي وإنّما بدافع إيماني إلهي بما يعرفه من حال النبيصلى الله عليه وآله ومستقبله؛ لذلك عندما عرّفه عرّفه بالنبي الأكرم وأرجع نسبه إلى آدمعليه السلام، وهذه المواقف الجريئة والباسلة ليس المراد منها الدفاع عن النبيصلى الله عليه وآله فقط وإنّما المراد منها أيضا فتح الطريق وتهيئة الأجواء المناسبة كي يتسنى للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله أن يواصل طريق التبليغ ونشر الدعوة الإسلامية، فلابد أن يحظى بغطاء أمني يستطيع من خلاله أن يتحرك في أرجاء شبه الجزيرة العربية، لاسيما في تلك الظروف الحرجة وبداية الدعوة الإسلامية، وفعلاً كان أبو طالب القاعدة الكبرى والحصن الأمين لانطلاق الرسالة الإلهية.

ومن تلك المواقف: كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول اللهصلى الله عليه وآله المبيت إذا عُرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة: يا أبت إني مقتول، فقال له:

أصبرن يا بني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب

فأجاب علي بقوله:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... ووالله ما قلت الذي قلت جازعا

ولكنني أحببت أن تر نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعا

سأسعى لوجه الله في نصر أحمد ... نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا

قال الأميني: إن القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حد محدود، لكنه إذا بلغت حد التضحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده فهناك يقف التفاني على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كل ليلة فينيمه على فراش المفدى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلا أن يكون مندفعا إلى ذلك بدافع ديني وهو معنى اعتناق أبي طالب بالدين الحنيف، وهو الذي تعطيه المحاورة الشعرية بين الوالد والولد فترى الولد يسارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد[1].

فان من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعاً في الشعب ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتصف به أبو طالب، إذ لا يستطيع مجرد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحوية. لذلك ابن أبي الحديد لما لاحظ تضحيات ومواقف أبي طالب إزاء النبي والإسلام غلبت على أهوائه ومضى يقول: ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. واعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت:

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جس الحماما[2]

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٧ ص ٣٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٨٣.

الرابع: وصية أبي طالب عند وفاته بالنبي صلى الله عليه وآله

... وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش وهو الصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن (أي البغض وهو لغة في الشنآن) وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، (ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكفيته الكوافي ولدفعت عنه الدواهي غير أنّي أشهد شهادته وأعظم مقالته). وجاء وفي لفظ آخر (أو رواية أخرى) أنّه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا [(١)].

الخامس: قول النبي بحقه

إنّ أبا طالب لما مات جاء علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فآذنه بموته، فتوجع عظيماً وحزن شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني، ففعل، فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال: **وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت**

---

(١) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي، ج ٢ ص ٤٩. بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٥ ص١٠٧.

وآزرت كبيراً، ثم تبعه إلى حفرته، فوقف عليه، فقال أما والله لاستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان[١].

هذه ملخص الأدلة في إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام والذي هو في الحقيقة دفع ضريبة إيمانه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله والإسلام والإنسانية بأن تشوه سيرته ويُفترى عليه، ويغفلوا أو يتغافلوا عن كل الشواهد الجلية والبيانات الواضحة، كما هو الحال في ابنه عليه السلام الذي حمل راية الحق وتحمل أعباء الجهاد منذ نعومة أظفاره وقد كللته السماء وحفّه النبي صلى الله عليه وآله بالوصايا والبيان بالأقوال والأفعال ما لم نجد لها نظيراً، ومع ذلك عاش مظلوماً ومات مظلوماً وافْتُري عليه، وقد كشف الله تعالى عن هذه النفوس الخبيثة بقوله: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٢].

أولادها

ولدت فاطمة بنت أسد لأبي طالب عليه السلام، طالباً وعقيلاً وجعفراً وعلياً وأم هاني (واسمها فاختة) وجمانة[٣]، وكان عليٌّ أصغر ولد أبي طالب، وكان أصغر من جعفر بعشر سنين. وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أصغر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٧٦

(٢) النمل: ١٤.

(٣) الفاختة: ضرب من الحمام المطوق، إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل. والجمانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة، وجمعها جمان. راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج٢ ص٦٥. والصحاح، الجوهري، ج٥ ص٢٠٩٢.

من طالب بعشر سنين[١]. فكان عند أبي طالب أربعة بنين وكان طالب أسن من عليٍّ بثلاثين سنة. وبه كان يكنى أبوه. وأمهم أجمع فاطمة بنت أسد بن هاشم، أما طالب فأكرهته قريش على الخروج إلى بدر حتى فقد فلم يعرف له خبر، كما سيأتي الكلام عنه، وليس لطالب عقب ولكل من إخوته عقب متصل[٢].

إسلام طالب ابن أبي طالب

أسلم طالب من بداية أمره لكن كتم إيمانه، كما هو الحال في العباس عم النبي صلى الله عليه وآله الذي أسلم قبل واقعة بدر وقبل أن يهاجر، وأوكل إليه النبي مهمة حماية بعض المستضعفين من المسلمين من عادية خصومهم من المشركين وكان بمنزلة العين لرسول الله صلى الله عليه وآله على قريش يوافيه بأخبارهم، وقد كتب إلى رسول الله يطلب إليه الإذن بالهجرة فأبى عليه صلى الله عليه وآله وأمره بالإقامة بمكة لحاجة في إقامته هناك، ولم يهاجر إلا بعد فتح خيبر بعد ما أنجز مهمته في مكة ولم يبقَ لها موضوع، وأخرجه المشركون معهم إلى بدر كرهاً وأسر فيمن أسروا مع المشركين، وعامله النبي صلى الله عليه وآله معاملة المشركين تماماً لتأدية مهمته عندما يعود إلى مكة[٣]. كما أخرجوا طالباً وبعض بني هاشم كرهاً.

الأدلة على إيمان طالب بن أبي طالب

وأمّا الأدلة على إسلام طالب بن أبي طالب فقد ظهرت على لسانه من خلال

(١) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٥٥

(٢) عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ٣٠.

(٣) راجع كتاب عبدالله بن عباس، السيد محمد تقي الحكيم، ص٣٣.

أشعاره كما هو مبثوث في كتب الفريقين وفيها تأييد صريح لحركة النبي صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى الروايات الواردة في إسلامه، لكن مع ذلك حاول المشركون أن يدفنوا تاريخ طالب معه حينما اغتالوه ودفنوه.

أشعاره ومواقفه تجاه النبي صلى الله عليه وآله

وهذه الأشعار منها ما يدل على معارضته لقريش في حربهم للنبي صلى الله عليه وآله وتأييده لحركة النبي حتى أودى هذا الميل بحياته، ومنها ما هو صريح في دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه بالنبي صلى الله عليه وآله.

أمّا الأول: هو ما جاء في تاريخ الطبري، وأيضا في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

يا رب إما يغزون بطالب ... في مقنب من هذه المقانب [1]

في مقنب المغالب المحارب ... بجعله المسلوب غير السالب

فقالت قريش: إن هذا ليغلبنا فردوه [2].

وجاء في بعض السير هكذا:

يارب اما أخرجوا بطالب ... في مقنب من هذه المقانب

---

(١) المقنب - بالكسر - جماعة الخيل والفرسان.

(٢) الكافي، الكليني، ج٨ ص ٣٧٥. وتاريخ الطبري، ج٢ ص ١٤٤ وغيرهم.

فاجعلـــهم المغلـــوب غـــير الغالـــب   واردد‌هـم المـسلوب غـير الـسالب [١]

قال صاحب الكامل في ذكر قصته: وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا أنّ هواكم مع محمد فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة. وقيل: انه اخرج كرهاً فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول: يا رب إمّا يغزون طالب... إلى آخر الآبيات التي تقدم ذكرها.

تحصل مما نقلناه أنه لم يكن راضياً بهذه المقاتلة وكان يريد ظفر النبيصلى الله عليه وآله، إما لأنه قد أسلم كما تدل عليه المرسلة أو لمحبة القرابة، فالذي يخطر بالبال في توجيه ما في الخبر أن يكون قوله (بجعله) بدل اشتمال لقوله: (بطالب) أي أمّا تجعل الرسول غالبا بمغلوبية طالب حال كونه في مقانب عسكر مخالفيه الذين يطلبون الغلبة عليه بأن تجعل طالباً مسلوب الثياب والسلاح غير سالب لأحد من عسكر النبيصلى الله عليه وآله وبجعله مغلوباً منهم غير غالب عليهم.

وأيضاً في كتب العامة كان المشركون أخرجوه وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً فخرج طالب وهو يقول: اللهم أما يغزون... إلى آخر الأبيات، قال فلما انهزموا، لم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا رجع إلى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب [٢].

أمّا الثاني: إن له ثمة أبيات صريحة في دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج١٦ص٢٢٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج١ ص١٢١، والطبري ج٢ ص١٤٤، والكامل ج٢ ص١٢١.

بالنبي صلى الله عليه وآله حيث يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقـــد حـــل مجـــد بـــني هاشـــم	فكــــان النعامــــة والزهـــــرة
ومحـــض بـــني هاشـــم أحمـــد	رســـول المليـــك علــــى فــــترة
عظـــيم المكــــارم نــــور الـــبلاد	حـــري الفـــؤاد صـــدى الزبـــرة
كـــريم المـــشاهد سمـــح البنــــان	إذا ضــــن ذو الجـــود والقـــدرة
عفيــــف تقـــي نقـــي الـــردا	طهـــــــر الـــــــسراويل والازرة
جـــواد رفيــــع علــــى المعـــتقين	وزيــــن الأقــــارب والأســــرة
واشـــــوس كالليــــث لم ينهــــه	لـــدى الحـــرب زجـــرة ذي الزجـــرة
وكـــم مـــن صـــريع لـــه قـــد ثـــوى	طويـــــل التـــــأوه والزفـــــرة [١]

الروايات الدالة على إسلام طالب

هناك جملة من الروايات الصريحة في دلالتها على إسلام طالب بن أبي طالب، وما له من مكانة عظيمة عند الله، فقد جاء في حديث جابر الأنصاري يقول: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس يقولون: إنّ أبا طالب مات كافراً، قال: **يا جابر ربك اعلم بالغيب انّه كما كانت الليلة التي اسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت الهي ما هذه الأنوار، فقال: يا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب، فقلت: الهي وسيدي فيم نالوا هذه الدرجة؟ قال بكتمانهم الإيمان**

---

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ ص ٢٣٥.

والصبر على ذلك حتى ماتوا[١]. ففي هذا الحديث دلالة واضحة وجلية على إسلام طالب بن أبي طالب، بل على بعد إيمانه وعظم مكانته عند الله عزّ وجلّ، كما هو واضح في صدر الحديث وذيله المعلل، حيث نالوا هذه المرتبة وتبوؤوا هذه المكانة العالية التي يصعب لكل أحد الارتقاء إليها إلا أنّهم ثابروا بشدة إيمانهم وصبرهم وتحملهم.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم[٢]. كما عن مستدرك سفينة البحار: إنّ طالب بن أبي طالب: أسلم، وكان مع المؤمنين يوم بدر خرج معهم يرتجز[٣]. ربما المراد هنا أنّه كان بقلبه وسيفه مع المسلمين ولو أنّه أُخرج كرهاً مع المشركين.

ويؤكد ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم بدر إني لأعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله إنّما خرج مستكرهاً[٤].

استشهاد طالب بن أبي طالب

قد اُختلف في موت طالب فقيل إنّه لما خرج إلى بدر فُقِد ولم يعرف خبره، وقيل: رجع إلى مكة، وقيل: أقحم فرسه فغرق[٥]. وهذا القول غاية في البعد

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٨١.

(٢) الكافي، الكليني، ج٨ ص ٣٧٥. وراجع البحار ج٩ ص ٢٩٦.

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٦ – ص ٥٦٧.

(٤) الكافي، الكليني، ج٨ ص٢٠٢.

(٥) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج٨ ص١٢٥.

ولم يرتضيه المجنون فرضاً عن العاقل، حيث لم يكن هناك بحرٌ في ميدان معركة بدر، إضافة إلى انه لم يعقل إقحام الفرس البحر وإجبار فارسها على الغرق والانتحار، فهذا ضرب من الوهم والخيال لأجل تحريف مسيرة التاريخ حتى بالأمور التي لا تعقل، وهذا يعبر عن مدى دنائة أعداء الإسلام وإهمال محاكمة العقول، فظنوا أنّ كل ما يكتب ويدون في التاريخ تتلقاه العقول بسعة وترحيب ويؤخذ مسلّماً؛ لان الناس في نظرهم كالمجانين أو البلداء السُذّج، كما في المثل (حدث العاقل بما لا يعقل فان صدق فلا عقل له)، والصحيح أنّ قريشاً اغتالته حين ما عرفت منه الإسلام وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم، ويدل على ذلك أنّه بعد معركة بدر لم يكن مع الأسرى ولا مع القتلى ولا مع الذين رجعوا إلى مكة، فليس من البعيد أن يكون قد اغتيل ودفن، ومن ثم طرحت الأكاذيب والأوهام، ولهم في مثل هذه الأعمال نظائر لا يسمح المقام بذكرها.

نبذة عن عقيل بن أبي طالب

أما عقيل فكان احد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسول صلى الله عليه وآله، فإن النظرة في التاريخ واستظهار الروايات كلها تفيدنا اعتناق عقيل الإسلام أوّل الدعوة، وهذا الذي جعله سبباً للحب النبوي، حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الإيمان في جوانحه وعمل الخير في جوارحه ولزوم الطاعة في أعماله، لذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وآله كما عن ابن عباس قال: «قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال: **إي والله إني لأحبه حبين: حبا له، وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون**

المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسـول الله صلى الله عليه وآله حتـى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشـكو مـا تلقـى عترتـي مـن بعـدي»[١]. فهذه الصفات الايجابية التي اجتمعت في عقيل هي التي دعت النبي صلى الله عليه وآله أن يكشف عن هذا الحب، وليس من المعقول (لاسيما في النبي الذي هو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) أن يكون حبه لغاية عاطفية أو لشيء من عرض الدنيا، فكيف صح أن النبي يحب الكافر أو الخارج عن صراط الحق، وهكذا في حب أبي طالب لعقيل لم يكن لمحض البنوة، فانه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا هو ولده الوحيد، وقد كان ولده مثل أمير المؤمنين وجعفر أبو المساكين وهو أكبرهم سناً، فيظهر أنّ سبب حبه لعقيل جمعه من الفضائل والفواضل الإيمانية.

عقيل ينتصر على معاوية

اختلفت الروايات في سفر عقيل إلى الشام هل كان على عهد أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو بعد استشهاده عليه السلام، وقد استظهر ابن أبي الحديد في أنّ سفره بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وجزم به العلامة السيد علي خان في (الدرجات الرفيعة)[٢]، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت عليهم السلام إلى معاوية في تلك الظروف القاسية، بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة، وساقهم وجه الحيلة فلا يلامون ولا يحط من كرامتهم عند الملأ الديني،

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٩١.

(٢) الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني، ص ١٦٠.

فإن للتقية إحكاماً لا يلام فيها المضطر.

أمّا لو غضضنا النظر عن ذلك وقلنا إنّ وفوده كان في حياة أخيه أمير المؤمنين عليه السلام فهو أيضاً لا يحط من شأنه، بل يكون سبباً لرفعة منزلته، حيث إنّ ذهابه (كما هو الظاهر من حواراته مع معاوية) بمنزلة الصفقة السياسية الإعلامية التي يحتاجها الإسلام آنذاك، فقد قاتل معاوية من ناحية أخرى غير الميدان والسيف، بل في الإعلام والسياسة وهي ما تسمى اليوم بالاصطلاح الحرب الباردة والتي لا تقل أهمية عن غيرها، وفي كل جولة يبدؤها معاوية مع عقيل لكي يكسب الرأي العام الذي تعمد جمعهم لاسيما الشخصيات والرموز كان يخسر فيها معاوية النزال ويخيب أمله ولا يصل غايته حتى انه أجبر عقيلاً إلى الرجوع، وجدير بنا أن نذكر شيئاً من تلك الجولات على سبيل الاختصار:

بعدما جمع معاوية وجوه الناس ممن معه وجلس وذكر لهم قدوم عقيل، وقال: ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه حتى فارقه وآثرنا عليه، ودعا به، فلما دخل رحب به وقربه، وأقبل عليه، ومازحه، وقال: يا أبا يزيد من خير لك أنا أو علي؟ فقال له عقيل: أنت خير لنا من علي، وعلي خير لنفسه منك لنفسك. فضحك معاوية (وأراد أن يستر بضحكه ما قاله عقيل عمن حضر) وسكت عنه. فجعل عقيل ينظر إلى من في مجلس معاوية ويضحك، فقال له معاوية: ما يضحكك يا أبا يزيد؟ فقال: ضحكت والله إني كنت عند علي، والتفت إلى جلسائه فلم أرَ غير المهاجرين، والأنصار، والبدريين، وأهل بيعة الرضوان، وأخاير أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وتصفحت من في مجلسك هذا فلم أر إلا الطلقاء وبقايا الأحزاب

أصحابك فقال له معاوية: فلماذا جئتنا؟ قال: لطلب الدنيا. فأراد أن يقطع قوله، فالتفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام أسمعتم قول الله عز وجل: (تبت يدا أبي لهب وتب). قالوا: نعم، قال: فأبو لهب عم هذا الشيخ المتكلم (يعني عقيل) وضحك وضحكوا. فقال لهم عقيل: فهل سمعتم قول الله عز وجل: (وامرأته حمالة الحطب). هي عمة أميركم معاوية، هي ابنة حرب بن أمية زوجة عمي أبي لهب وهما جميعاً في النار، فانظروا أيهما أفضل الراكب أم المركوب؟ فلما نظر معاوية إلى جوابه قال: إن كنت إنما جئتنا يا أبا يزيد للدنيا فقد أنلناك منها ما قسم لك ونحن نزيدك، والحق بأخيك، فحسبنا ما لقينا منك. فقال عقيل: والله لقد تركت معه الدين، وأقبلت إلى دنياك، فما أصبت من دينه، ولا نلت من دنياك عوضاً منه، وما كثير إعطائك إياي، وقليله عندي إلا سواء، وإن كل ذلك عندي لقليل في جنب ما تركت من علي. وانصرف إلى علي عليه السلام[1].

نبذة عن جعفر بن أبي طالب

أمّا جعفر بن أبي طالب فحسبه من العظمة أنّه من أوائل المسلمين وأسلم بعد علي مباشرة، وكان الجناح الآخر للنبي صلى الله عليه وآله كما جاء في كتب السير والتاريخ أنّ أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك، فصلى عن يساره وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل[2]. هذا بالإضافة إلى شهادة الرسول الأكرم له بأنه يشبهه خَلْقاً

(١) راجع: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي، ج ١ ص ٤٣٣.

وخُلُقاً حيث قال له (أشبهت خَلقي وخُلقي) [(١)] وقد وصف الله تعالى النبيﷺ في كتابه المجيد بالخلق العظيم، لا شك في شمول جعفر بهذا النحو من الخلق. وله فضائل عديدة في الإسلام من جملتها الهجرة للحبشة على رأس مجموعة من المسلمين في أوائل البعثة، والجهاد في سبيل الله حتى نال وسام الطيار، حيث جعل الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة يوم القيامة بعد ما قطعت يداه في المعركة. كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل إلى أن يقول: (... **ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة**) [(٢)].

أبو طالب يبشر زوجته بالوصي

تقدم أنّ إيمان أبي طالب وراثي وفطري، وأنه على علم ومعرفه في الكتب المنزلة والأنبياء المرسلة وعلى إطلاع أيضاً في الرسالة والنبوة الخاتمة وما تشمله من أوصياء ووزراء، كما يتضح من بعض الروايات الواردة في هذا الشأن، منها: ما ورد عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما ولد رسول الله صلى عليه وآله فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره [(٣)].

---

(١) أنظر: مسند أحمد بن حنبل، ج١ ص١٠٨. وصحيح البخاري، ج٣ ص١٦٨.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ٤٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥٣.

وعن محمد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشره بمولد النبي صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب: اصبري سبتاً أبشرك بمثله إلا النبوة، وقال: السبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة [1].

فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصي

ليس من السهل أن تحظى كل امرأة في أن تكون وعاءً لسيد الأوصياء، إلا أن تكون ذات خصائص تؤهلها لذلك وفاطمة بنت أسد هي تلك المرأة التي خصها الله واصطفاها وأكرمها بمزايا فائقة ومن جملة تلك المزايا التي حازت عليها وأصبحت وعاءً وحجراً لسيد الأوصياء. فقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: آه آه لقد سألتني عن خير مولود ولد بعدي على سنة المسيح عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلقني وعلياً من نور واحد، قبل أن يخلق الخلق بخمسمائة ألف عام فكنا نسبح الله ونقدسه، فلما خلق الله تعالى آدم قذف بنا في صلبه واستقررت أنا في جنبه الأيمن، وعلي في الأيسر ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتى أطلعني الله تعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثم أطلع الله تبارك وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبو طالب واستودعه خير رحم، وهي فاطمة بنت أسد، ثم قال: يا جابر ومن قبل أن يقع علي في بطن أمه كان في زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن رعيب بن

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٤٠٣. والكافي، الكليني، ج١ ص٤٥٣.

الشيقنام وكان مذكورا في العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة، ولم يسأل حاجة فسأل ربه أن يريه ولياً له، فبعث الله تبارك وتعالى بأبي طالب إليه فلما أن بصر به المثرم، قام إليه فقبل رأسه وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال من أي تهامة؟ قال من مكة، قال ممن؟ قال: من عبد مناف قال من أي عبد مناف؟ قال من بني هاشم فوثب إليه الراهب فقبل رأسه ثانياً، وقال الحمد لله الذي أعطاني مسألتي، فلم يمتني حتى أراني وليه، ثم قال له: أبشر يا هذا فإن العلي الأعلى قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك، قال أبو طالب وما هو؟ قال: ولد يخرج من صلبك هو ولي الله تبارك وتعالى وهو إمام المتقين ووصي رسول الله، فان أدركت ذلك الولد فأقرأه منى السلام وقل له: إنّ المثرم يقرؤك السلام، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وانك وصيه حقاً، بمحمد تتم النبوة وبك تتم الوصية، قال: فبكى أبو طالب، وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال اسمه علي، فقال أبو طالب إني لا أعلم حقيقة ما تقول إلا ببرهان بين ودلالة واضحة قال المثرم: فما تريد أن اسأل الله لك أن يعطيك في مكانك ما يكون دلالة لك قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا فدعا الراهب بذلك فما استتم دعاؤه حتى أُتي بطبق عليه من فواكه الجنة رطبة وعنبة ورمان، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته، حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد، فحملت بعلي وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة وفزعوا... الخ [1].

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٧٧.

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت: وأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش، نسبح الله عز وجل ونقدسه ونمجده، قال: قلت: على أي مثال؟ قال: أشباح نور حتى [إذا] أراد الله تعالى أن يخلق صورنا، صيرنا عمود نور. ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات لا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون. فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب، أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه في صلب عبد الله ونصفه في صلب أبي طالب. ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة، والنصف الآخر إلى فاطمة بنت أسد فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة علياً. ثم أعاد الله عز وجل العمود إلي فخرجت مني فاطمة. ثم أعاد عز وجل العمود إلى [علي] فخرج الحسن والحسين، فما كان من نور علي صار في الحسن، وما كان من نوري صار في ولدي الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة [1].

وفي خبر طويل: إن فاطمة بنت أسد رأت النبي صلى الله عليه وآله يأكل تمراً له رائحة تزداد على كل الأطايب من المسك والعنبر من نخلة لا شماريخ لها فقالت: ناولني أنل منها، قال عليه السلام: لا تصلح إلا أن تشهدي معي أن لا إله إلا الله واني محمداً رسول الله فشهدت الشهادتين فناولها فأكلت فازدادت رغبتها وطلبت أخرى لأبي طالب فعاهدها أن لا تعطيه إلا بعد الشهادتين فلما جن عليها الليل اشتم أبو طالب

(١) نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري(الشيعي) – ص ٨٠.

نسماً ما اشتم مثله قط فأظهرت ما معها فالتمسه منها فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنه سألها أن تكتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلك فأعطته ما معها وآوى إلى زوجته فعلقت بعلي في تلك الليلة ولما حملت بعلي ازداد حسنها فكان يتكلم في بطنها فكانت في الكعبة فتكلم علي مع جعفر فغشي عليه فألقيت الأصنام خرت على وجوهها فمسحت على بطنها وقالت: يا قرة العين سجدتك الأصنام داخلاً فكيف شأنك خارجاً، وذكرت لأبي طالب ذلك (١).

الكعبة تستقبل فاطمة بنت أسد

صحيح أنّ المولود (علي بن أبي طالب) له مكانة عظيمة عند الله، وشاءت حكمته تعالى أن يدخل هذا المولود الطاهر الدنيا من بيته تعالى ويكون معجزة خالدة، كما أنه خرج من الدنيا من بيت الله أي مسجد الكوفة، لكن في نفس الوقت يدل على عظمة السيدة فاطمة بنت أسدعليها السلام. بما أنها وعاء لخير البشرية بعد النبيصلى الله عليه وآله وبما حظيت من صفات فريدة من نوعها، فقد ورد عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنينعليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ربِّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليلعليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٢ – ص ٢٠

لما يسرت علي ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لأنَّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه[١].

وعن الأميني في غديره قال: وقد انشق جدار البيت لأمه فاطمة بنت أسد فدخلته ثم التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتى ولدت مشرف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن دره الدري إلا وأضاء الكون بنور محياه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقة ناصعة أصفق على إثباتها الفريقان، وتضافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نص

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٩٤. وقد ورد في أكثر من(٧٧) كتاباً ولادتها في الكعبة المكرمة، كما عدهم علي محمد دخيل، في كتابه فاطمة بنت أسد، ص١٩.

جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثارة [١].

وقال الحاكم في المستدرك وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة [٢].

وروي عن عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي، أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض. ثم وضع يديه على وجهه فبينا هو كذلك، إذ أقبل محمدﷺ فقال له ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثم قال: أجلسي على اسم الله. قالت: فطلقت طلقة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أرَ كحسن وجهه، فسماه أبو طالب (علياً) وحمله النبيﷺ حتى أداه إلى منزلها [٣].

وقد نظمت هذه الحادثة والمكرمة العظيمة بقوالب شعرية جميلة لا بأس بذكرها:

أما سمعت خبر ابن قعنب ... ينطق من مقصودنا بالعجب
وانه محقق مشهور ... يثبته المدقق النحرير
قال جلست مع أناس شتى ... في المسجد الحرام يوما حتى
مرت بنا فاطمة بنت أسد ... حاملة بالمرتضى ذاك الأسد

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٦ ص ٢١.

(٢) المستدرك، للحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ٤٨٣.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، ص ١٧.

فجاءهـــا الطلـــق فطافـــت ســـبعا ثـــم دعـــت أكـــرم رب يـــدعا
قالـــت إلهـــي إنـــني آمنـــت بـــك حقـــا وصـــدقت جميـــع كتبـــك
ومـــا علـــى الخليـــل جـــدي أنـــزلا ومـــا بـــه كـــل رســـول أرســـلا
ثـــم دعـــت خالقهـــا بمـــا ســـنح فـــسهل الله العـــسير وانفـــتح
بـــاب لهـــا تجـــاه بـــاب الكعبـــة وذاك مـــستجار أهـــل الرهبـــة
ودخلـــت فيـــه فعـــاد مثـــل مـــا كـــان ومـــا زال مـــشيدا محكمـــا
هـــذا وقفـــل البـــاب لم يفـــتح لنـــا مـــن بعـــد جهـــد وعـــلاج واعتنـــا
فقلـــــــت إن ذاك أمـــــــر الله فلـــم أكـــن عـــن ذكـــره بـــاللاهي
فمكثـــــــت ثلاثـــــــة أيامـــــــا وخرجـــــت فأعلنـــــت كلامـــــا
إنـــــي فـــــضلت علـــــى النـــــساء دخلـــت بيـــت رافـــع الـــسماء
ثـــم أكلـــت مـــن ثمـــار الجنـــة ورزقهـــــا فهـــــو علـــــي جنـــــه
فعنـــــدما وضـــــعته ورمـــــت أن أخـــرج نـــادى هـــاتف بـــي بـــالعلن
سمـــــي الـــــذي وضـــــعته عليـــــا فلـــــن يـــــزال قـــــدره عليـــــا [1]

فاطمة وبعلها يسألان الله في تسمية علي عليه السلام

لما ولدت فاطمة بنت أسد علياً عليه السلام قال لها أبو طالب هلّمِ حتى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعو خالق الخضراء فلعله أن ينبئنا في اسمه، (وربما تأكيد بما أنبئت به فاطمة بنت أسد) فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس، ودعيا الله تعالى، فأنشأ يقول أبو طالب:

(١) أمل الأمل، الحر العاملي، ج١ ص ٤٠.

يـــا رب هـــذا الغـــسق الـــدجي والفلـــــق المبـــــتلج المـــــضي

بـــين لنـــا عـــن أمـــرك المقـــضي بمـــا نـــسمي ذلـــك الـــصبي

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل الزبرجد الأخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا يديه وضمه إلى صدره ضماً شديداً فإذا مكتوب (فيه).

خصــــصتما بالولـــد الزكـــي والطـــاهر المنتجـــب الرضـــي

واسمــــه مــــن قـــاهر علـــي علـــي اشـــتق مـــن العلـــي

فسُرّ أبو طالب سروراً عظيماً، وخر ساجداً لله تبارك وتعالى وعق بعشرة من الإبل، وكان اللوح معلقاً في بيت الله الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش حتى غاب زمان قتال الحجاج بن الزبير[1].

وقد نقل الأبيات الكنجي الشافعي محمد بن يوسف بن محمد في كتابه كفاية الطالب، وفيها اختلاف في بعض الكلمات وهذا نص ألفاظه:

يـــا رب هـــذا الغـــسق الـــدجي والقمـــــر المنـــــبلج المـــــضي

بـــين لنـــا مـــن أمـــرك الخفـــي مـــاذا تـــرى في اســـم ذا الـــصبي

قال فسمع صوت هاتف يقول:

يـــا أهـــل بيـــت المـــصطفى الـــنبي خصـــــصتم بالولـــد الزكـــي

إن اسمـــه مـــن شـــامخ علـــي علـــي اشـــتق مـــن العلـــي[2]

(١) ينابيع المودة، القندوزي، ج٢ ص٣٠٦.

(٢) نقلا عن كتاب إيمان أبي طالب، الشيخ الأميني، ص٢٥.

وفاتها ومحل دفنها

توفيت فاطمة بنت أسد في السنة الرابعة للهجرة[١]، وقالوا أنّها توفيت بعد زواج ابنها علي عليه السلام بفاطمة الزهراء عليها السلام، وفي كل الأحوال يظهر من التأريخ أنّها توفيت بعد ميلاد الحسن عليه السلام، ومع ذلك لم نسمع بذكرها في زفاف وزواج ابنها أمير المؤمنين عليه السلام بفاطمة ولا حتى في ميلاد حفيدها الإمام الحسن عليه السلام، نعم نجد بدلاً عنها أسماء بنت عميس، وهي في الحقيقة غير ثابتة، بل هي إمّا أختها سلمى بنت عميس، أو أسماء بنت يزيد بن سكن الأنصارية؛ لأنّ أسماء كانت حينذاك في الحبشة مع زوجها جعفر. وقد دفنت فاطمة بنت أسد عليها السلام في المدينة المنورة بالبقيع مع الأئمة الأربعة وهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، والإمام علي بن الحسين زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام. وقد ذكر الفقهاء أنّه يستحب زيارة قبرها، [٢] حيث ذكر المحدثون أن لها زيارة خاصة كما سنذكرها فيما بعد. والبقيع: مقبرة في الجهة الشرقية للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وتقع فيه مراقد بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام في جهة الجنوب مع ميل للشرق وهم (الحسن بن علي، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، عليهم السلام) ومع قبورهم قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله [٣]. وقيل دفنت فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء مقابل حمام أبي قطيعة[٤].

---

(١) راجع: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج٨ ص٢٥٦.

(٢) راجع: مناسك الحج، السيد الكلبايكاني، ص٢٢٥.

(٣) معجم ألفاظ، الفقه الجعفري، ص٨٨.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ٢ ص ٤٦٩.

النبي يصلي على فاطمة بنت أسد

وهذه المزية الأخرى قد نالتها فاطمة بنت أسد وكان لها وسام شرف خلد في صفحات التاريخ وهي أن يهتم النبي الأكرم بتجهيزها والصلاة عليها، فقد ورد عن ابن عباس أن النبيﷺ صلى على فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنينعليه السلام صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كَبَّرَ عليها أربعين تكبيرة، فقال له عمار: لِمَ كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمار، التفت إلى يميني فنظرت إلى أربعين صفاً من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة[1].

النبي يدفن فاطمة بنت أسد

من الدلالات الساطعة على مكانة فاطمة بنت أسد عند الله وعند رسوله هي ما رواه المؤرخون وأصحاب السير عند الفريقين وبطرق كثيرة وألسن مختلفة، أن النبيﷺ قام بتجهيزها وأجرى عليها بعض الأمور ما لم يكن قد صنعها بأحد، كما ورد عن أبي عبداللهعليه السلام قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين جاء عليعليه السلام عند النبي فقال له رسول اللهﷺ يا أبا الحسن مالك، قال: أمّي ماتت، قال فقال النبيﷺ وأمّي والله، ثم بكى وقال وا أمّاه ثم قال لعليعليه السلام هذا قميصي فكفنها فيه وهذا ردائي فكفنها فيه فإذا فرغتم فأذنوني فلما أخرجت صلى عليها النبيﷺ صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثم نزل على قبرها

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج ٣ ص ٨٢.

فاضطجع فيه، ثم قال لها يا فاطمة قالت لبيك يا رسول الله فقال فهل وجدت ما وعد ربك حقا قالت نعم فجزاك الله جزاء وطالت مناجاته في القبر فلما خرج قيل يا رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك ثيابك ودخولك في قبرها وطول مناجاتك وطول صلواتك ما رأيتك صنعته بأحد قبلها قال أما تكفيني إياها فإنّي لما قلت لها يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم فصاحت فقالت وآسوأتاه فلبستها ثيابي وسألت الله في صلواتي عليها ان لا يبلي أكفانها حتى تدخل الجنة فأجابني إلى ذلك واما دخولي في قبرها فإني قلت لها يوماً ان الميت إذا دخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان منكر ونكير فيسألانه فقالت وآغوثاه بالله فما زلت اسأل ربي في قبرها حتى فتح لها روضة من قبرها إلى الجنة وروضة من رياض الجنة [(١)].

وعن الكافي يقول: فبينما هو ذات يوم قاعد (أي رسول الله) إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟

فقال: ماتت أمي فاطمة، فقال رسول الله: وأمي والله وقام مسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى، ثم أمر النساء أن يغسلنها وقال صلى الله عليه وآله: إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلما فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهن أن يكفنها فيه وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لم فعلته، فلما فرغن من غسلها وكفنها دخل صلى الله عليه وآله فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص ٣٠٧.

فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك [ابنك] ثم خرج وسوى عليها، ثم انكب على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا الله، اللهم إني أستودعها إياك ثم انصرف، فقال له المسلمون: إنا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم فقال: اليوم فقدت بر أبي طالب، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها وإني ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة، فقالت: وآسوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت وآضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقنتها ما تسأل عنه، فإنها سئلت عن ربها فقالت وسئلت عن رسولها فأجابت وسئلت عن وليها وإمامها فارتج عليها، فقلت: ابنك، ابنك [١].

وعن مستدرك الوسائل: أنه لما أهيل عليها التراب، وأراد الناس الانصراف، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول لها: «ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، ابنك ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام»،... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: وأمّا قولي لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت: الله ربي، وقالا: من نبيك؟ قالت: محمد نبيي فقالا: من وليك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول ولدي، فقلت لها: قولي: ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام: فأقر الله بذلك عينها [٢].

---

(١) الكافي، الكليني، ج١ ص٤٥٣.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٢ - ص ٣٤٢.

زيارة خاصة لفاطمة بنت أسد

بلا شك أن صاحب المكانة السامية والمنزلة الرفيعة عند الله هو الذي يحظى بالتكريم والترحيب ويبقى ذكره خالداً في الدنيا والآخرة، فهذه الزيارة شاهد آخر يدل على عظمة أُم أمير المؤمنين ومربية خاتم النبيين. فعندما تقف على قبرها تقول:

السلام على نبي الله، السلام على رسول الله، السلام على محمد سيد المرسلين، السلام على سيد الأولين، السلام على سيد الآخرين، السلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام على فاطمة بنت أسد الهاشمية، السلام عليك أيتها الصديقة المرضية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها الكريمة الرضية، السلام عليك يا كافلة محمد خاتم النبيين. السلام عليك يا من ظهرت شفقتها على رسول الله خاتم النبيين، السلام عليك يا من تربيتها لولي الله الأمين، السلام عليك وعلى روحك وبدنك الطاهر، السلام عليك وعلى ولدك ورحمة الله وبركاته. اشهد انك أحسنت الكفالة وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضاة الله، وبالغت في حفظ رسول الله، عارفة بنبوته، مستبصرة بنعمته، كافلة بتربيته، مشفقة على نفسه، واقفة على خدمته، مختارة رضاه، مؤثرة رضاه. واشهد انك مضيت على الإيمان والتمسك بأشرف الأديان، راضية مرضية، طاهرة زكية، تقية نقية، فرضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك ومأواك. اللهم صل على محمد وآل محمد وانفعني بزيارتها، وثبتني على محبتها، ولا تحرمني شفاعتها وشفاعة الأئمة من ذريتها، وارزقني مرافقتها،

واحشرني معها ومع أولادها الطاهرين. اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي إياها، وارزقني العود إليها أبداً ما أبقيتني، وإذا توفيتني فاحشرني في زمرتها، وأدخلني في شفاعتها، برحمتك يا ارحم الراحمين. اللهم بحقها عندك ومنزلتها لديك اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار. ثم تصلي ركعتين للزيارة قربة إلى الله تعالى[١].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٧ ص٢١٩.



الفصل الثالث

خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام

النسب الطاهر

هي السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. وفي قصي يجتمع نسبها مع نسب النبيﷺ.

وأمها: فاطمة بنت زيد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر[1].

فهي (خديجة) تلتقي بالرسولﷺ بالجد الرابع لها (قصي بن كلاب) الذي هو الجد الخامس للنبيﷺ، وتلتقي به أيضاً بالجد الثامن لها من ناحية أمها (الذي هو لؤي بن غالب).

ومن هذا النسب الزاهر الشامخ الطاهر ذكر الرواة في أنّها ولدت في بيت مجد وسؤدد، وكانت خديجة بنت خويلد تسمّى الطاهرة في الجاهلية والإسلام. وقال البعض إنها كانت تسمّى سيدة نساء قريش[2].

(١) الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابي، ص ٤٤. سيرة ابن هشام ج١ ص٢١٤.

(٢) أنظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج١ ص٢١٢.

نعم لم تحدد لنا الروايات السنة التي ولدت فيها السيدة خديجة عليها السلام، بل تعرضت لعمرها عند زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

واما إخوانها فأكبرهم عدي بن خويلد، والعوام بن خويلد، قد تزوج من صفية بنت عبد المطلب فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب وعبد الكعبة الذي سماه الرسول صلى الله عليه وآله عبد الرحمن[١]. وأيضاً من إخوانها حزام بن خويلد، وقد تزوج فاحتة بنت زهير بن الحارث بن أسد فأنجبت له حكيماً وخالداً وهشاماً. قتل هو وأخوه العوام في حرب الفجار[٢].

ومن إخوانها أيضاً نوفل بن خويلد، كان له ولدٌ يسمى الأسود ابن نوفل مع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، بخلاف أبيه فقد روي أنّه كان مشركاً وكان شجاعاً ويسمى أسد قريش وكان شديد العداء للإسلام، وقد قُتل بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة بدر، كما جاء في الإرشاد بسنده عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: لما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضور نوفل بن خويلد بدراً قال: (اللهم اكفني نوفلاً) فلما انكشفت قريش رآه علي بن أبي طالب عليه السلام وقد تحير لا يدري ما يصنع، فصمد له ثم ضربه بالسيف فنشب في حجفته (أي

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج١٨ ص٩٥.

(٢) سُمّي الفجار لأنهم فجروا في شهر حرام، حيث اقتتلوا في رجب، وكان عندهم من الأشهر الحرم الذي لا تسفك فيه الدماء، راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ١ص ٣٠٤. وقيل: استحلت كنانة وقيس عيلان في الحرب من المحارم بينهم، فسميّ حرب الفجار، راجع: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١ ص٦١.

الترس) فانتزعه منها، ثم ضرب به ساقه (وكانت درعه مشمرة) فقطعها، ثم أجهز عليه فقتله. فلما عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله، فكبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه[1].

ولها أيضا أخت تسمى هالة بنت خويلد زوجة أبي هند التميمي.

الأسرة الكريمة

كانت خديجة بنت خويلد من أسرة أصيلة، لها مكانة وشرف في قريش، عرفت بالعلم والمعرفة، والتضحية والفداء، وحماية الكعبة، وحينما جاء تُبّع (ملك اليمن) ليأخذ الحجر الأسود من المسجد الحرام إلى اليمن، هبت قريش ومنهم خويلد لحمايته ومنعه عن ذلك وكان أسد بن عبد العزى (جد خديجة) من المبرزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت**» وقد سماهم ابن إسحاق بن يسار قال: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو أسد ابن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، فسموا ذلك الحلف حلف الفضول تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جرهم على

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج١ ص ٧٦.

التناصف والأخذ للضعيف من القوى وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم يقال لهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعاً لأسماء هؤلاء[١].

وكان ورقة بن نوفل (ابن عم خديجة) أحد الأربعة الذين رفضوا عبادة الأوثان، وبحثوا عن الدين الحق وكانوا من الأحناف، يدينون الله على ملة إبراهيم. وهم: ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، وابن أبي السلط، وقس ابن ساعدة وغيرهم ممن سخروا بالأصنام وعبادتها، واعتبروا ذلك جهلاً وضلالاً قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، فخلص منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا: أجل (وهم ورقة بن نوفل وثلاثة آخرون) كما سبق ذكرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلموا (والله) ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟ فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم، فاما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم في النصرانية وتعلم الكتب[٢].

ففي ظل هذه العائلة عاشت السيدة خديجةعليها السلام حياة أبناء العوائل الشريفة الكبيرة، مع ما لأبيها وأجدادها من مكانة في قريش، ومما لاشك فيه أنّ قوة شخصيتها ومكانتها جاءت نتيجة لتأثير هذه العائلة فيها، فضلا عن مميزاتها الذاتية.

---

(١) أنظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج ٦ ص٣٦٧.

(٢) إمتاع الأسماع، المقريزي، ج٦ ص٢٥٥.

فنستطيع أن نعرف أنّ تأثير الأسرة كان كبيراً فيها؛ لأنّها خير قاعدة يبدأ منها الإنسان حياته وتقرر معالم شخصيته.

دور آباء خديجة

بعدما رجع قصي (الجد الرابع لخديجة عليها السلام) إلى وطنه ومسقط رأسه مكة (كما تقدم) آلت إليه زعامة قريش من دون منازع وأصبح زعيم مكة، وقد قام في عدة مشاريع في جميع الأصعدة لاسيما الاجتماعية منها والسياسية، فقد شرع في تنظيم الحياة في مكة فكان أول إجراءاته أن نظم سكن القرشيين في مكة، فقسم المناطق المحيطة بالكعبة على بطون قريش فأنزلها على قسمين.

الأول: قريب من الكعبة، وهم بنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، وبنو مخزوم بن مرة، وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي بن كعب، إضافة على قصي وأبنائه.

القسم الثاني: أنزله في مناطق بعيدة عنها [١]. ويبدو من هذا التقسيم السكاني الذي قام به قصي حيث أنزل البطون القريبة منه قريب مكة والبطون البعيدة منه بعيد عنها، ربما يكون الهدف من وراء ذلك التقسيم إيجاد قوة يستطيع من خلالها حماية ما حققه من إنجازات في مكة، كما يستفاد من قول ابن إسحاق (وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة) [٢].

كما قام قصي بعد ذلك بتنظيم إدارة مكة حيث بنى دار الندوة قريب الكعبة

---

(١) أنظر: حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد الى اللحد، حسين علي الشرهان، ص٤٦.

(٢) أنظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢ص٢٦٣.

لتكون بمثابة مبنى للحكومة يتشاورون فيها هو وقومه في الأمور الخاصة بهم. وعمل أيضاً على الاهتمام بالكعبة والوظائف التابعة لها وهي الحجابة: أي قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين. والسقاية: وهي توفير مياه الشرب للحجاج في موسم الحج. والرفادة: وهي توفير الطعام للحجاج واستضافتهم. واللواء: وهي راية قريش في الحرب [١].

إمّا جد خديجة الثالث عبد العزى فقد نال جزءاً من وظائف الكعبة وهي الرفادة، وذلك بعد وفاة قصي لم يتمكن أحد من أبنائه الأربعة (عبد الدار وعبد العزى وعبد مناف وعبد قصي) أن يجمع كل السلطان بيده كما كان عليه الحال في عهد أبيهم قصي، بل توزعت الزعامة بينهم، كما ذكر ذلك اليعقوبي «أنّ قصياً قسم بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي لعبد قصي» [٢]. ومن ثمة حصل نزاع بين الأبناء والأحفاد استمر فترة طويلة، ويبدو من هذا النزاع حول وظائف الكعبة جعل أسد (جد خديجة) بن عبد العزى يتنبه إلى ضعف موقفه في قريش لذلك تزوج العديد من النساء وصل عددهن إلى ست نساء، أولهن زهرة بنت عمر (أم خويلد والد خديجة) وهذه الزيجات حققت لأسد ما أراد حيث أنجبن عددا كثيراً من الأبناء تجاوزوا العشرة استطاعوا أن يثبتوا مكانة هذه الأسرة في مجتمع مكة قبل الإسلام.

---

(١) أنظر: السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج ١ص٨١.

(٢) أنظر: تاريخ اليعقوبي، ج ١ص٢١١.

مميزات خويلد والد السيدة خديجة عليها السلام

من الوظائف المهمة التي شغلها خويلد بن أسد وحصلت عليها أسرته هي وظيفة المشورة: وهي من أهم الوظائف الثانوية، حيث أنّ صاحبها كالمستشار العام التي تُعرض عليه القرارات التي يتوصل إليها الملأ المكي، فهي إنْ اجتمعت قريش على أمر عرضته عليه فإن وافق رأيهم سكت وإلا أعترض أو اختار.

وهذا المنصب ليس من صلاحية كل أحد يستطيع أن يتصدى له، إلا من كان ذا كفاءة عالية وله أساس عائلي متين في قريش، من جملتها أن ينتسب إلى قصي كما هو الحال في خويلد بن أسد. ولم تقتصر هذه الاستشارة على مجال معين بل في شتى المجالات سواء كانت على الصعيد الاجتماعي أم غيره. وقد أورد ابن إسحاق رواية حول تولي خويلد هذا المنصب الرفيع والتي تكون بمثابة التطبيق لما كان يتصدى له. حيث قال: فلما أراد (تبع) الشخوص إلى اليمن أراد أن يخرج حجر الركن فيخرج به معه فاجتمعت قريش إلى خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فقالوا ما دخل علينا يا خويلد إن ذهب هذا بحجرنا قال وما ذاك قالوا تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه فقال خويلد الموت أحسن من ذلك، ثم أخذ السيف وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعا فقالوا: ماذا تريد يا تبع إلى الركن فقال أردت أن أخرج به إلى قومي فقالت: قريش الموت أقرب ذاك ثم خرجوا حتى أتو الركن فقاموا عنده فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك. فقال خويلد في ذلك شعرا:

دعـــيني أم عمـــرو ولا تلـــومي ومهـــلا عـــاذلي لا تعـــذليني

دعيني لا أخذت الخشف منهم وبيت الله حتى يقتلوني

فما عذري وهذا السيف عندي وعضب نال قائمه يميني

ولكن لم أحد عنها محيدا واني راهق ما أرهقوني [١]

بالإضافة إلى هذا المنصب فقد مارس خويلد أعمالاً أخرى لا تقل أهمية عن غيرها، ومن أهمها تهنئة انتصار سيف بن ذي يزن على الأحباش وطردهم من اليمن، ووقوع حرب الفجار. أما الحدث الأول فقد خرج مع وفد من مكة مكون من أربع شخصيات لتهنئة سيف على الانتصار وكان هذا الوفد يضم عبد المطلب ابن هاشم وخويلد بن أسد وأمية بن عبد شمس، وعبدالله بن جدعان، وكان لهم كلام مع الملك واستضافهم ما يقارب الشهر، ثم أرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به. ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره. إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اختزناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سر وبر، فما هو، فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبت بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما أزداد به سروراً.

---

(١) أنظر: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، ج ١ – ص ٣١.

قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أوقد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله [١].

والذي يهمنا من الكلام هنا، أولاً: أنّ خويلد من الشخصيات التي لها الثقل الأكبر سواء في العلاقات أم في صنع القرار. وثانياً: أنّ هذا التحرك فيه نوع من تحسين العلاقات مع الدول المجاورة من أجل استمرار العمل التجاري أو غيره. وثالثاً: يؤكد لنا أيضا أنّ خويلد بن أسد لا يزال إلى جنب بني هاشم في خط الأحلاف، وكونه أحد زعماء مكة المعروفين.

وأما دور خويلد بن أسد في حرب الفجار التي دارت رحاها بين قريش وكنانة مع هوازن، وقد شاركت جميع البطون القرشية بدون استثناء، وذلك يشعر بأنّ هناك خطراً محدقاً يهدد مصالحهم التجارية وغيرها، حتى أنّ بني أسد تحملوا دوراً كبيراً في هذه الحرب، وكان زعيم هذه العائلة في الحرب خويلد بن أسد، حيث فقد في هذه الحرب أربعة إخوان وأثنين من أبنائه إضافة إلى نفسه على أحد الأقوال المرجحة. أما الأخوان: فهم نوفل بن أسد، وحبيب بن أسد، وطالب بن أسد، وطليب بن أسد، وأبناؤه، العوام بن خويلد، وحزام بن خويلد.

---

(١) أنظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ج ١ ص ٣٣٥.

خويلد على خط الأنبياء

من خلال تتبع التاريخ والسيرة الخاصة بخويلد بن أسد وأسرته يظهر لنا جلياً أنّ خويلد وعائلته كانوا من المتدينين الملتزمين المتبعين لخط الأنبياء، كما يؤكد ذلك اعتناق اثنين من أبناء هذه الأسرة للديانة النصرانية، وهم ورقة، وعثمان، وهذا الاتجاه والسلوك لا يأتي من فراغ بل هناك توجه ديني وواعز خلقي في العائلة أثر على هؤلاء وجعلهم يسلكون طريق الأنبياء. هذا بالإضافة إلى بعض الشواهد التاريخية التي وردت بحق خويلد بن أسد وهي تؤكد تدينه والتزامه بطريق الأنبياء وخط التوحيد. منها ما ذكره ابن أبي الحديد: عن عبد الله ابن عثمان بن سليمان قال: سمعت أبي يقول: لما حفرت زمزم، وأدرك منها عبد المطلب ما أدرك، وجدت قريش في أنفسها مما أعطي عبد المطلب، فلقيه خويلد ابن أسد بن عبد العزى فقال: يا بن سلمى، لقد سقيت ماءً رغداً، ونثلت عادية حسدا، فقال: يا بن أسد، أما إنك تشرك في فضلها، والله لا يساعدني أحد عليها ببر، ولا يقوم معي بارزاً إلا بذلت له خير الصهر، فقال خويلد بن أسد:

أقول وما قولي عليهم بسبة ... إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر ... وركضه جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب: ما وجدت أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد[1].

وقد أسلفنا أنّ خويلد كان مع بني هاشم وحليفهم وأفكارهم متقاربة لاسيما في الأمور المعنوية، وهذا أيضا يمكن أنّ يكون من الشواهد الذي يؤكد تدينه.

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٥ ص ٢١٧.

دين السيدة خديجة قبل الإسلام

من الأديان السائدة في الجزيرة العربية حينذاك وخاصة في مكة عبادة الأوثان ويقال لعبدتها المشركون، ويليهم في الكثرة الأحناف الذين بقوا على دين أبيهم إبراهيم الخليل ويدينون الله سبحانه وتعالى به، ويليهم النصارى، واليهود، والصابئة، وقليل منهم يدينون بالركوسية: وهي خليط من عقائد الصابئة والنصرانية، كما كانت تدين بها قبيلة طي، هذا ما كان من الأديان السائدة حينذاك، ومن الذين يدينون الله بملة إبراهيم من قريش هم بنو هاشم بن عبد مناف إلا ما شذ منهم مثل (أبي لهب) عبد العزى بن عبد المطلب، حيث صاهر بني أمية ودان بدينهم. وكثير من بني زهرة، وبني أسد، كانوا من الأحناف يدينون الله بدين إبراهيم الخليل، ومنهم السيدة خديجة بنت خويلد كانت تدين الله بالحنيفية، وكذلك ابن عمها ورقة بن نوفل الذي دان بالنصرانية بعد أن كان حنيفياً، وكذلك السيدة آمنة بنت وهب وأهلها من بني زهرة والدة النبي الأقدسﷺ، والسيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية وأهلها والدة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام[١].

الصفات الكمالية للسيدة خديجة

إضافة إلى الروايات التي تكشف عن بعد إيمان خديجة وتكامل صفاتها، شهادة التاريخ لها وأنها تتمتع بصفات ومؤهلات تمتاز بها عن غيرها من النساء، فقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً. وكانت تدعى في الجاهلية بـ(الطاهرة) ويقال لها: (سيدة قريش). وكل

(١) أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام، حسين الشاكري ص ٨٧.

أفراد قومها كانوا حريصين على الاقتران بها لو يقدر عليه وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال، وممن خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان فرفضتهم جميعاً، واختارت النبيﷺ، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية. ونكاد نقطع (بسبب تضافر النصوص) بأنها هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران بهﷺ[١]. وإنما تفعل الحرة العاقلة اللبيبة ذلك، فلا تغرها زبارج الدنيا وبهارجها، ولا تبحث عن اللذة لأجل اللذة، وعن المال للشهرة، إنما تبحث عمن يخدم هدفها الأسمى في الحياة، وعن الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، والواقعية في التعامل والسمو في الهدف، لأن كل ذلك هو الذي يسخر المال والجاه والقوة وكل شيء لخدمة الإنسان والإنسانية، وتكاملها في الدرجات العليا، لم يحفظ التاريخ في أوراقه أن امرأة من فضليات النساء في دنيا النساء قد فاحت سيرتها بالعطاء كما كانت أم المؤمنين خديجة الطاهرة، لقد تناول التاريخ سيرة نساء كثيرات، اشتهرن بجانب أو أكثر من العبقريات ولكنه لم يحدثنا كما حدثنا عن السيدة خديجة من بلوغ قمم المكارم في كل الفضائل، ولم يستطع أن يحصر تلك الفضائل بين دفتيه.

أصبحت خديجة سيدة نساء قريش قبل أن تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها، وكانت امرأة عالية الهمة، جياشة العواطف واسعة الأفق، مفطورة على التدين والنقاء والطهر، حتى عرفت بين أترابها وبين نساء قريش بالطاهرة وناهيك

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٢ ص ١٠٧.

بهذه الصفة التي حلقت بها فجعلتها في سماء السبق إلى ساحة المعالي، وجدير بنا أن نذكر بعض صفاتها.

من صفاتها السخاء

لقد كانت عليها السلام من أهل الجود والكرم وكانت معروفة بهذا الوصف، ولذا قال أبو طالب عليه السلام في خطبته حين خطب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله (خاطب كريمتكم الموصوفة بالسخاء والعفة)[1].

ويدل على هذا أيضا ما رواه ابن الأثير: قدمت عليه حليمة فشكت إليه جدب البلاد فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة[2].

وعن البيهقي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأيت من صاحبة أجيد خيراً من خديجة ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبوه لنا[3].

ويكفيها شاهداً أنّها وهبت كل ما تملك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلته تحت تصرفه، حتى قال صلى الله عليه وآله: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة عليها السلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك من مالها الغارم والعاني ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة[4].

---

(١) راجع: بحار الأنوار، المجلسي، ج٦ ص ٧٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ج ٥ ص ٢١٥. الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١١٣. الموقع: الذي بظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب فهو ذلول مجرب. والظعينة: الهودج.

(٣) دلائل النبوة: ج ١ ص ٩٠.

(٤) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٤٦٨.

من صفاتها العلم

لم تؤثر على خديجة الأجواء السائدة آنذاك (حيث كانت تحكم الجزيرة العربية البداوة والتخلف والانحطاط وإشاعة الأمية) فقد كانت تحوي كثيراً من العلوم، ومن تلك العلوم التي كانت تحويها خديجة عليها السلام هي علومها ومعرفتها بالأديان والرسالات، وذلك أنّ عمها وعلى قول آخر ابن عمها ورقة بن نوفل على ما في بعض الروايات كان من القسيسين، وكان قد قرأ الكتب كلها، وكان عنده كتاب من عهد عيسى عليه السلام فيه طلاسم وعزائم وأنّ خديجة عليها السلام قد تعلمت منه هذه العلوم. ومضافا إلى هذا كله فهي قرينة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأول الناس قرباً منه.

وبعبارة واضحة هي قريبة من معدن العلم ومخزنه وفي بيتها يهبط الوحي والملائكة، فأول ما يصدر الحكم تكون هي عليها السلام على اطلاع به وتأخذه من المصطفى صلى الله عليه وآله.

قال ابن المغازلي: أنزل الله على رسوله القرآن والهدى وعنده خديجة [١].

ومن علومها عليها السلام أنها كانت عالمة بتعبير الأحلام وهذا العلم من العلوم الصعبة جداً والخفية بحيث لا يتمكن الإنسان العادي أن يصل إلى مطالبه العالية إلا بفضل من الله ورحمته. ولذا نرى بالوجدان أن أهل هذا العلم بالدرجة الأولى هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومن بعدهم التالين من بعدهم في العلم والعمل [٢].

هذا بالإضافة إلى علمها بالتجارة ومستلزماتها، والتي لا تقل أهمية عن

---

(١) الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلاوي، ص ٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

غيرها من العلوم، بل تحتاج إلى حنكة وخبرة وتدبير وإتقان، وخديجة كانت المشرف العام على الصفقات التجارية وما يلازمها.

رؤيا نورانية صادقة

في ليلة غارت نجومها، واحلولك ظلامها، جلست خديجة في بيتها، بعد أن طافت مراراً حول الكعبة، كعادتها كل ليلة، وما أن أسلمت جنبها للرقاد حتى استسلمت للنوم وراحت في سبات عميق، ورأت فيما يرى النائم شمساً عظيمة تهبط من سماء مكة لتستقر في دارها، وتملأ جوانب الدار نوراً وبهاءً، ويفيض من دارها ليغمر كل ما حولها بضياء يبهر النفوس، قبل أن يبهر الأبصار، هبت خديجة من نومها، وراحت تدير عينيها فيما حولها بدهشة فإذا بالليل ما يزال يسربل الدنيا بالسواد عندما غادر الليل الدنيا، غادرت خديجة فراشها، مع إشراقة الشمس وتسربلت جلبابها وغادرت البيت في طريقها إلى دار ابن عمها ورقة بن نوفل، لعلها تجد عنده تفسيراً لحلمها، فألفته قد عكف على قراءة صحيفة من صحف السماء التي شغف بها، وما أن سمع صوتها حتى هب مرحباً، وقال متعجباً: خديجة الطاهرة؟ قالت: هي، هي، قال في دهشة: ما جاء بك الساعة؟ جلست خديجة، وراحت تقص عليه ما رأت في منامها حرفاً حرفاً، ومشهداً مشهداً. وكان ورقة يصغي إليها باهتمام، وما أن انتهت من كلامها، حتى تهلل وجهه بالبشر، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا، ثم قال لخديجة في هدوء ووقار، أبشري يا ابنة العم. وهذا يدل على أنّ خديجة عرفت مضمون رؤيتها ولكن جاءت للتأكيد

والاطمئنان [(١)]. والرؤى الصادقة أمر ثبت في القرآن والسنة بشكل لا يقبل التشكيك، كما سيأتي الكلام عنها.

من صفاتها الرواية

ذكر الرجالي المعروف السيد الميرزا محمد الأستر آباديرحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية خديجة بنت خويلد زوجة النبيصلى الله عليه وآله. وذكر الرجالي الخبير الشيخ محمد الحائريرحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية أو صحبة خديجة بنت خويلد زوجة النبيصلى الله عليه وآله.

وذكر المرحوم الخبير الرجالي الأردبيلي فصل في ذكر نساء لهن رواية: خديجة بنت خويلد زوجة النبيصلى الله عليه وآله. وذكر ابن حزم الأندلسي في أصحاب الواحد خديجة أم المؤمنين.

وعن الحافظ محمد بن حبان أبي حاتم التميمي ممن روى عن النبي من النساء: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى.

ذكر البيهقي أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا المثنى بن معاذ، حدثنا أبي عن المسعودي، حدثني عبد الأعلى التيمي قال: قالت خديجة بنت خويلد: يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت، قال: قولي اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاي وعمدي وإسرافي في أمري إنك إنْ لا تغفر لي تهلكني [(٢)].

(١) أم المؤمنين، خديجة الطاهرة، الحاج حسين الشاكري، ص١٣٣.

(٢) راجع قي ذلك كتاب الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلاوي، ص ٣٢٦.

من صفاتها الشعر

يتضمن شعرهاعليها السلام الحكمة والإيمان بالله والنبيصلى الله عليه وآله وأيضا كثير من أشعارها في بحث زواجها من الرسولصلى الله عليه وآله ولا يخفى أن الشعر كان وسيلة للإعلام آنذاك.

فقد ذكرها المرحوم الأمينيرحمه الله في موكب الشعراء حيث قال: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي الطاهرصلى الله عليه وآله وكانت رقيقة الشعر جداً، ومن شعرها في تمريغ البعير وجهه على قدمي النبيصلى الله عليه وآله ونطقه بفضله كرامة لهصلى الله عليه وآله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبرا ... هذا الذي شرفت به أم القرى

هذا محمد خير مبعوث أتى ... فهو الشفيع وخير من وطئ الثرى

يا حاسديه تمزقوا من غيضكم ... فهو الحبيب ولا سواه في الورى [(١)]

ومن شعرها للنبيصلى الله عليه وآله:

فلو أنني أمسيت في كل نعمة ... ودامت لي الدنيا وملك الأكاسرة

فما سويت عندي جناح بعوضة ... إذا لم تكن عيني لعينك ناظرة [(٢)]

إيمانها برسول الله قبل زواجها منه

عند مراجعة تاريخ السيدة خديجة قبل زواجها برسول اللهصلى الله عليه وآله، إضافة إلى ما تحويه من كمال مادي ومعنوي، نرى أنّها تتمتع ببعد إيماني إلهي، وقد أيقنت

---

(١) الغدير، الاميني: ج ٢ ص ١٧.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ج ١٦ ص ٥٢.

أنه ارتسم في ذات محمدﷺ، فمن خلال قراءتها الفاحصة ونظرتها الدقيقة والأجواء الإيمانية التي تعيشها جعلتها أن تصل إلى معرفة منقذ البشرية وهاديها حتى آمنت به وبكل الآيات التي أجريت على يده، ومما يؤيد هذا ما ورد عنها إزاء الكرامات التي صدرت من النبيﷺ، والتي منها: إنّ العباس جاء إلى النبيﷺ وقال: سر معي إلى دار خديجة بنت خويلد تكون أميناً على أموالها، تسير بها حيث شئت، قال: أريد الشام، قال: ذلك إليك، فسار النبيﷺ والعباس إلى بيت خديجة، وكان من عادتهﷺ إذا أراد زيارة قوم سبقه النور إلى بيتهم، فسبقه النور إلى بيت خديجة، فقالت لعبدها ميسرة: كيف غفلت عن الخيمة حتى عبرت الشمس إلى المجلس؟ قال: لست بغافل عنها، وخرج فلم يجد تغير وتد ولا طنب، ونظر إلى العباس فوجده قد أقبل هو والنبيﷺ معه، فرجع وقال لها: يا مولاتي هذا الذي رأيته من أنوار محمدﷺ، فجاءت خديجة لتنظر إلى محمد، فلما دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له، وأجلسوه في أوساطهم، فلما استقر بهم الجلوس قدمت لهم خديجة الطعام فأكلوا، ثم قالت خديجة: يا سيدي أنست بك الديار، وأضاءت بك الأقدار، وأشرقت من طلعتك الأنوار، أترضى أن تكون أميناً على أموالي تسير بها حيث شئت؟ قال: نعم رضيت، ثم قال: أريد الشام، قالت: ذلك إليك، وإني قد جعلت لمن يسير على أموالي مائة وقية من الذهب الأحمر، ومائة وقية من الفضة البيضاء، وجملين وراحلتين، فهل أنت راض؟ فقال أبو طالب رضي الله عنه، رضي ورضينا، وأنت يا خديجة محتاجة إليه، لأنه من حين خلق ما وقف له العرب على صبوة، وأنه مكين أمين، قالت

خديجة: تحسن يا سيدي تشد على الجمل وترفع عليه الأحمال؟ قال: نعم، قالت: يا ميسرة: ايتني ببعير حتى أنظر كيف يشد عليه محمد، فخرج ميسرة وأتى ببعير شديد المراس، قوي الباس، لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرجه من بين الإبل لشدة بأسه، فأدناه ليركبه فهدر وشقشق واحمرت عيناه، فقال له العباس: ما كان عندك أهون من هذا البعير؟ تريد أن تمتحن به ابن أخينا؟ فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: دعه يا عم، فلما سمع البعير كلام البشير النذير برك على قدمي النبي صلى الله عليه وآله، وجعل يمرغ وجهه على قدمي النبي صلى الله عليه وآله ونطق بكلام فصيح وقال: من مثلي وقد لمس ظهري سيد المرسلين؟ فقلن النسوة اللاتي كن عند خديجة: ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم، قالت لهم خديجة: ليس هذا سحراً، وإنما هو آيات بينات، وكرامات ظاهرات، ثم قالت: **نطق البعير بفضل أحمد مخبرا**... إلى آخر الأبيات التي تقدم ذكرها [1].

زواجها من رسول الله

لم يكن اقتران خديجة بنت خويلد بالنبي الأكرم إلا شاهد على إيمانها وعظمة مكانتها وإنها جامعة للصفات التي تؤهلها لأن تكون شريكة حياة النبي صلى الله عليه وآله لاسيما في الأوقات الصعبة والحرجة والإسلام يكاد أنْ تنبثق بذرته وتعم إرجاء قريش، فكانت خديجة تشاطر النبي صلى الله عليه وآله في هذا الشعور وتنظر إلى مستقبل الازدهار والعدالة، فكانت شريكته قبل كل شيء بالهدف والطموح، حتى

---

(١) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٦ ص ٢٦.

بلغ خضوعها لرسول الله وحبها له، أنّها بعد أن تم عقد زواجها برسول الله صلى الله عليه وآله قالت له: إلى بيتك فبيتي بيتك وأنا جاريتك [١]. وذلك يعبر عن مدى معرفتها وإيمانها برسول الله صلى الله عليه وآله.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله) ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلاً في المال فإن المال رفد جار [٢] وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج [٣]، وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبُهر [٤]، وكان رجلاً من القسيسين فقالت خديجة مبتدئة: يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي، والمهر عليّ في مالي فأمر عمك فلينحر

---

(١) أنظر: الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج١ ص١٤١.

(٢) رفد جار: أي عطاء الله تعالى، أجراه على عباده بقدر ضرورتهم واحتياجهم.

(٣) التلجلج: التردد في الكلام.

(٤) البهر (بالضم): النفس من الاعياء.

ناقة فليولم بها وادخل على أهلك قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلا الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي، ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله ﷺ بأهله. وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت	لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوجته خير البرية كلها	ومن ذا الذي في الناس مثل محمّد
وبشر به البر إنّ عيسى ابن مريم	وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرت به الكتاب قدماً بأنه	رسول من البطحاء هاد ومهتد [١]

أبو طالب خاطب خديجة للنبي ﷺ

اختلف المؤرخون في الشخصية التي قامت في إجراء مراسيم الخطبة من خديجة إلى النبي ﷺ، المشهور والذي هو الصحيح، أنّ أبا طالب قد ذهب لخطبة خديجة، وليس حمزة الذي اقتصر عليه ابن هشام في سيرته [٢]؛ لأن ذلك لا ينسجم مع ما كان لأبي طالب من المكانة والسؤدد في قريش، من جهة؛ ومن جهة أخرى لأن حمزة كان يكبر النبي ﷺ بسنتين أو بأربع كما قيل.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥ ص ٣٧٤.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٠١.

هذا بالإضافة إلى مخالفة ما يذكره عامة المؤرخين في المقام.وقد اعتذر البعض عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون حمزة قد حضر مع أبي طالب، فنسب ذلك إليه وهو اعتذار واه، إذ لماذا لم ينسب ذلك إلى غير حمزة، ممن حضر مع أبي طالب من بني هاشم وغيرهم من القرشيين. ويظهر: أن ثمة من يهتم بسلب هذه المكرمة عن أبي طالبعليه السلام، وإعطائها لأي كان من الناس سواه، حتى لحمزة، ولا ضير في ذلك عنده ما دام أنه قد استشهد في وقت مبكر. وعلى كل حال فقد خطبها أبو طالب لهصلى الله عليه وآله قبل البعثة بخمس عشرة سنة، على المشهور[1].

هل تزوجت خديجة قبل النبيصلى الله عليه وآله

اختلف المؤرخون في مسألة زواج السيدة خديجة قبل النبيصلى الله عليه وآله بين النفي والإثبات، قال القرطبي قد تزوجها (النبيصلى الله عليه وآله) قبل النبوة ثيباً بعد زوجين، بعد ابن هالة التميمي، وبعد عتيق المخزومي، ثم تزوجها النبيصلى الله عليه وآله، وهي بنت أربعين سنة وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين، سنة وستة أشهر وسن رسول اللهصلى الله عليه وآله حين تزوجها إحدى وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وقيل ثلاث وثلاثون سنة [2].

وعن القاضي النعمان كانت خديجة قبل النبي عند عتيق بن عامر المخزومي، وولدت له حارثة، ومات عنها بمكة، وتزوجها بعده أبو هالة زرارة بن

(١) انظر: الإصابة، ابن حجر، ج٨ ص٩٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ج١٤ ص١٦٤.

ساس الأسدي، ومات عنها بمكة وولدت له هند بنت أبي هالة [١].

والصحيح أنها (خديجة) لم تقترن بزوج قبله والدليل على ذلك:

أوّلاً: ذكر ابن شهر آشوب وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص، أنّ النبيﷺ تزوج بها، وكانت عذراء. وكما يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أنّ رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة [٢]، كما سيأتي بيانه.

وثانياً: قال أبو القاسم الكوفي: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الآثار ونقلة الأخبار، على أنه لم يبق من أشراف قريش، ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم، إلا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول اللهﷺ غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً، لا مال له؟ فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرافها على ما وصفناه؟

وأما الرد على ذلك بأنّه لا يمكن أن تبقى امرأة شريفة وجميلة هذه المدة الطويلة بلا زواج فليس على ما يرام؛ لأنّ ذلك لا يبرر رفضها لعظماء قريش وقبولها بأعرابي من بني تميم. وأما كيف يتركها أبوها أو وليها بلا تزويج؟ ذلك أنّ أباها قد قتل في حرب الفجار، وأما وليها، فلم يكن له سلطة الأب ليجبرها على الزواج ممن

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ ص ١٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١ ص١٣٨.

أراد وبقاء المرأة الشريفة والجميلة مدة بلا زواج ليس بعزيز، إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذي كان يعز وجوده في تلك الفترة [(١)].

وثالثاً: كيف لم يعيرها زعماء قريش الذين خطبوها فردتهم، بزواجها من أعرابي. فهكذا كانت السيدة خديجة حين زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله بكراً غير ثيب وأجمل نسائه ولم يتزوج عليها الى أن فارقت الحياة احتراماً لها وتعظيماً لشأنها.

سبب زواجها من النبي صلى الله عليه وآله

ليست كل امرأة تنظر الى مستقبل حياتها لاسيما في اختيارها الشريك الذي يشاطرها ويواكبها الحياة في طيلة ما تبقى من عمرها وبه تنتقل الحياة من مرحلة الى أخرى فيها يحدد المصير في الدنيا بين السعادة والشقاء ربما تأخذها العواطف والأهواء وتقع في الفخ المؤلم، فخديجة هنا تعطي درساً للفتيات اللاتي يصلن مرحلة الزواج أن تتأن في اختيارها الزوج وأن تنظر به الصفات التي تضمن بها سعادتها وحسن المعاشرة معه، فكان اختيار خديجة للنبي صلى الله عليه وآله لم يكن متسرعاً وانّما بعد المتابعة والسؤال وما وجدت من صفات كمالية عالية يتمتع بها نبي الإنسانية، حيث كانت خديجة ذات مال كثير وعبيد ومضاربين لها يتجرون في مالها، ويسافرون به لها إلى الشام، فلما اتصل بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو عليه من الأمانة والطهارة والصدق والعفاف أرسلت إليه، وسألته أن يخرج ببضاعة إلى

(١) الاستغاثة، أبو القاسم الكوفي، ج١ ص١٧.

الشام، ففعل وأرسلت معه غلاماً يقال له: ميسرة فجاءها بفضل واسع لم يأتها غيره. وأخبرها غلامها بما شاهده من فضله وآيات رآها فيه. وكان لها ابن عم يقال له ورقة بن نوفل على دين النصرانية قد قرأ الكتب، وكان يذكر لها أن نبياً إن بعثه يبعث من قريش، فلما أخبرها غلامها بما شاهد منه مع ما اتصل بها من آياته وعلامات النبوة فيه ذكرت ذلك لابن عمها ورقة، فقال: والله ما أشك، إنه هو النبي المنتظر. وكان ورقة هذا قد خطب خديجة، وهمت بتزويجه لما تبين لها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأراد الله كرامتها ألهمها أن أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعرض بنفسها عليه، فتزوجها وبنى بها صلى الله عليه وآله وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها غيرها، ولا تزوج امرأة إلا بعد أن ماتت. وكانت من أفضل نسائه وأحبهن إليه، وكانت تنتظر نبوته، ويسألها ابن عمها عن ذلك، وعن دلائل تعرفها فيه، فتخبره بذلك، فيقول: هو والله النبي المنتظر، وله في ذلك أشعار كثير قالها، ومات قبل أن يبعث الله نبيه صلى الله عليه وآله. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعارض خديجة ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينبأ به، وما يراه في منامه، وتخبره هي بقول ورقة، فلما أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت، فكانت أول من أسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء أمره إذا دعا قومه فكذبوه، ونالوا منه وهموا به، منعه منهم عمه أبو طالب. وكان سيداً مطاعاً فيهم، وكان يأتي خديجة مغموماً لما يناله منهم، فتهدئه، وتصبره، وتهون عليه، وبذلت مالها له، فكان ذلك مما يعز به [1].

---

(١) انظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ ص ١٧.

عمر خديجة حين زواجها

ويلاحظ هنا مدى الاختلاف والتفاوت في عمر خديجة حين اقترانها بالرسول الأكرمﷺ وهي تتراوح ما بين الـ(٢٥) سنة إلى الـ(٤٦) سنة وهي على النحو الآتي:

ألف- ٢٥ سنة، وصححه البيهقي. ب - ٢٨ سنة. هو ما رجحه كثيرون. ج - ٣٠ سنة د- ٣٥ سنة. هـ - ٤٠ سنة. و- ٤٤ سنة. ز- ٤٥ سنة. ح- ٤٦ سنة.

ولا يخفى أنّ الكثيرين قد رجحوا القول الثاني، كما ذكره ابن العماد. أما البيهقي فقد صحح القول الأول، حيث قال: بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال: خمسين سنة، وهو أصح فإذا كانت رحمها الله قد تزوجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقي نفسه فإن ذلك معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمساً وعشرين سنة. ورجح هذا القول غير البيهقي أيضا أما الحاكم، الذي روى لنا القول الثاني المتقدم عن ابن إسحاق، فإنه لم يوضح لنا حقيقة ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروة قوله: إن خديجة قد توفيت وعمرها خمس وستون سنة. هذا قول شاذ، فإن الذي عندي: أنها لم تبلغ ستين سنة، فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبي وعمرها أربعون سنة، شاذ. ويرى أنّ عمرها كان أقل من خمس وثلاثين حينئذ، ولكنه لم يبين القول الذي يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان وعشرون؟ أو خمس وعشرون[1].

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى ج٢ - ص ١١٧.

روى الدولابي في كتابه: (الذرية الطاهرة) بسنده عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس... ثم قال: وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذ ابنة ثمان وعشرين سنة [(١)].

وعن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتا عشرة أوقية [(٢)].

مقدار مهر السيدة خديجة

من الضروري أن يتعرف المسلمون على مهر زوجات النبي صلى الله عليه وآله ومهر ابنته فاطمة عليها السلام لتكون سنة يُقتدى بها، ويرتفع الحجر الذي وقع في طريق الشباب من التنافس في غلاء المهور وارتفاعه، فالنبي صلى الله عليه وآله بُعث لإسعاد البشرية وحل العقد التي يواجهونها بشتى المجالات لاسيما الاجتماعية، فينبغي أن تدرس سيرته المباركة بشكلها العملي وتقنن دستوراً ومنهاجاً للمسلمين، من هنا جاءت الآيات والروايات تحث على الإتباع والاقتداء بأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[(٣)]. وعليه هناك جملة من الروايات الواردة في تعيين مقدار مهر السيدة خديجة عليها السلام. فقد روى الصفار عن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال أبي: ما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية

---

(١) راجع: الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابي، ص٥٢.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٨ ص١٧.

(٣) الأحزاب: ٢١.

ونش، يعني نصف أوقية [(١)].

وروى الخبر الكليني بسنده عنه قال: سمعته يقول: قال أبي: ما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله ساير بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش. والأوقية: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً. ثم روى عن حماد عن إبراهيم بن أبي يحيى عن الصادق عليه السلام قال: وكانت الدراهم وزن ستة يومئذ [(٢)].

وروى بسنده عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ساق رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: نصف الأوقية: عشرون درهماً، فكان ذلك خمسمائة درهم. قلت: بوزننا؟ قال: نعم [(٣)].

وروى بسنده عن أبي العباس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصداق هل له وقت (يعني الحد للمهر) قال: لا، ثم قال: كان صداق النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والنش نصف الأوقية، والأوقية: أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم [(٤)].

أقول: لم يتضح من الروايات المتقدمة مقدار مهر خديجة بالذات فالروايات في هذا المورد عامة تشير إلى صداق أزواج النبي صلى الله عليه وآله بشكل عام ليس بما قدمه النبي صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام، نعم خديجة واحدة من أزواجه فينطبق عليها العنوان.

---

(١) رسالة المهر، الشيخ المفيد، ص٣٦.

(٢) الكافي، الكليني، ج٥ ص٣٧٦.

(٣) الحدائق الناضرة، البحراني، ج٢٤ ص٤٣٢.

(٤) الكافي، الكليني، ج٥ ص٣٧٦.

من هو الذي عَيَّنَ مهر خديجة

لا يخفى مما تقدم أنّ أبا طالب هو الذي قد ضمن المهر في ماله، كما هو صريح خطبته، ولكن خديجة رضوان الله تعالى عليها عادت فضمنت المهر في مالها من دون أن تعين مقداره، فقال البعض: يا عجبا؟ المهر على النساء للرجال؟ فغضب أبو طالب، وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي.

اللهم إلا أن يكون المراد: أنهﷺ قد أمهرها بواسطة أبي طالب. أو قيده بعدد معين ليكن أسوة وسنة، كما يبدو ذلك من الروايات أنّ النبيﷺ عيّن مقدار مهرها إلا أنّ أبا طالب قد ضمن المهر في ماله كما هو صريح خطبته، كما ذكر ذلك الحلبي في سيرته: «... وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ونشاً (أي وهو عشرون درهماً والأوقية أربعون درهماً أي وكانت الأواقي والنش من ذهب كما قال المحب الطبري أي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي» [(١)].

وقيل: كما عن ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة [(٢)]. والبكرة: الأنثى من الإبل. ويؤيده: ما ذكره ابن عباس، والدولابي. أنّ رسول اللهﷺ تزوج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذ ابنة ثمان

---

(١) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي ج ١ ص ٢٢٦.

(٢) راجع: السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج ١ ص١٢٢.

وعشرين سنة [(١)].

وعن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول اللهﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتي عشرة أوقية [(٢)].

ولما رأت خديجة ذلك سخت نفسها بضمانها المهر كله من مالها، وهذا يعبر عن مدى الخلق الذي تتمتع به السيدة خديجة وخضوعها وتواضعها لمراسم السنة الإلهية.

أولادها

خديجة هي المرأة الوحيدة التي رزق منها النبيﷺ الأولاد دون غيرها من نسائه اللاتي يتجاوز عددهن أربع عشرة امرأة ماعدا مارية القبطية فقد ولدت له إبراهيم. وقد اختلف أهل النقل في عدد أولاد خديجة، فقالوا إنّها (خديجة) ولدت له أربع بنات وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم، وأجمعوا أنها ولدت له ولداً سماه القاسم وبه كان يكنى.

واختلفوا أيضا هل ولدت له ذكراً غيره فقيل: ولدت ثلاثة عبد الله والطيب والطاهر، والخلاف في ذلك كثير ومات القاسم بمكة صغيراً قبل أن يمشي وقيل: إنّه لم يعش إلا أياماً يسيرة ولم يكن لهﷺ من غير خديجة ولد غير إبراهيم ولدته مارية القبطية بالمدينة وبها توفي وهو رضيع وتوفي جميع أولاده في حياته

---

(١) راجع: الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابي، ص٥٢.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٨ ص١٧.

إلا فاطمةعليها السلام فإنها توفيت بعده [(١)].

وقول آخر: إنّه ولد له من خديجة القاسم وبه كان يكنى، والطاهر والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، فأما القاسم والطيب فماتا بمكة صغيرين، ومات الطاهر كذلك صغيراً، وأما إبراهيم من مارية فولد بالمدينة بعد ثمان سنين من مقدمهصلى الله عليه وآله، وعاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ومات بالمدينة [(٢)].

فاطمة البنت الوحيدة للنبيصلى الله عليه وآله

المتتبع للسيرة النبوية بما فيها أفعال النبيصلى الله عليه وآله وأقواله يدرك بوضوح أنّه لم تكن في البين ابنة للنبيصلى الله عليه وآله غير الزهراءعليها السلام، وأما ما ذكر من أنّ رقية وزينب وأم كلثوم (قالوا أم كلثوم كنية لرقية) فهن بنات هالة بنت وهب أخت خديجة، كما روى مشايخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيتعليهم السلام، وكما يقول أبو القاسم الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ: أنّه كان لخديجة بنت خويلد زوجة رسول الله الكبرى أخت لأمها يقال لها: هالة قد تزوجها رجل من بني مخزوم فولدت له بنتاً اسمها هالة ثم خلف عليها بعد أبي هالة رجل من تميم يقال له أبو هند فأولدها ابناً كان يسمى هندا بن أبي هند وابنتين فكانتا هاتان الابنتان منسوبتين إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله زينب ورقية ومات أبو هند وقد بلغ ابنه مبلغ الرجال والابنتان طفلتان، فكان ذلك في حدثان تزويج رسول الله بخديجة بنت خويلد، وكانت هالة أخت خديجة فقيرة وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال.

---

(١) راجع: شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج٧ ص١٤٤.

(٢) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ ص ١٥.

فأما هند بن أبي هند فإنه لحق بقومه وعشيرته بالبادية وبقيت الطفلتان عند أمهما هالة أخت خديجة فضمت خديجة أختها هالة مع الطفلتين إليها وكفلتهن جميعاً وكانت هالة أخت خديجة هي الرسول بين خديجة وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في حال التزويج فلما تزوج رسول الله خديجة ماتت هالة بعد ذلك بمدة يسيرة وخلفت الطفلتين زينب ورقية في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وحجر خديجة فربياهما، وكان من سنة العرب في الجاهلية من يربي يتيماً ينسب ذلك اليتيم إليه ويدعى باسمه فلم يستحل لمن يربيها تزوجها لأنها كانت عند العرب بزعمهم بنت المربي لها ولذلك كانوا يقولون زيد بن محمد صلى الله عليه وآله ويدعون يا زينب بنت محمد ويا رقية بنت محمد وهكذا نسبتا إليه صلى الله عليه وآله.

ولم تزل العرب على هذا الحال إلى أن جاء الإسلام وربى بعض الصحابة يتيمة بعد الهجرة وسأل رسول الله هل يجوز في الإسلام تزويج اليتيمة ممن رباها فأنزل الله تعالى قوله: **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾**[١].

وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ...الخ﴾**[٢]، وهكذا سقط عن المربي للأيتام

---

(١) النساء: ١٢٧.

(٢) النساء: ٣.

انتسابهم إليه شرعاً وبقي بعض العامة على بعض السنن إلى اليوم. وكذلك نسب هند أخو زينب ورقية إلى خديجة ولو لم يلتحق بعشيرته في البادية لنسب إلى رسول الله أيضاً. ومن هنا ظن العامة لما غلب اسم خديجة على اسم هالة أختها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومما يدل على توهم العامة: أن هنداً بن أبي هند عمّر حتى لحق أيام الحسين عليه السلام فقتل بين يديه وهو شيخ فقال الناس: قتل خال الحسين هند بن أبي هند التميمي، فجهلوا أمه وعرفوا أباه. قلت: لو رباه رسول الله لجهلوا أمه وأباه. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في نسب ابنتي أبي هند على ما وصفناه من سنة العرب في الجاهلية فدرج نسبهما عند العامة كذلك، ثم نسب أخوهما أيضا هند إلى خديجة إذ كان اسم خديجة ثابتاً معروفاً وكان اسم أختها هالة خاملاً مجهولاً فظنوا لما غلب اسم خديجة على اسم هالة أختها في نسب ابنها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله فانتسبوا إليها لذلك وتحقق في ظنهم بجهلهم بأمهم أخت خديجة، أنّ هنداً كان قد عمّر حتى لحق أيام الحسين عليه السلام فقتل بين يديه وهو شيخ فقال الناس قتل خال الحسين عليه السلام هند ابن أبي هند التميمي وأنه كان هند ابن خالة فاطمة أم الحسين عليهما السلام على ما شرحناه فلم يميز العوام هذا القول وقدر السامع له أن هنداً كان ابن خديجة ولم يجعلوا أبا هند التميمي أنه والد هند لبلوغ هند قبل موت أبي هند وجهلوا اسم هالة أختها أم هند بن أبي هند التميمي [1]، هذا **أولاً**.

وثانياً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زوجهن في الجاهلية من رجال كافرين فزوج

(١) راجع: الاستغاثة، أبو القاسم الكوفي، ج ١ ص ٦٩.

زينب من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن مناف بـن قـصي القرشي العبشمي، وزوج رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أم كلثوم من عتيبة بن أبـي لهـب علـى القـول بـه وبهـا. وعليـه لـم يخـل الحـال فـي ذلـك مـن أن يكـون الرسولﷺ في زمن الجاهلية على دين الجاهلية أو كان مخالفاً لهم بالإيمان بالله فإن قال قائل: إنه كان على دين الجاهلية كفر بالله ورسوله لأن الله يقول في كتابـه الحكيم ما نصه في شأن الإمامة من قصة إبراهيمعليه السلام: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1].

ومن كان كافراً مشركاً كان أكبر الظالمين لقوله تعـالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَـانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2]. ومـن كـان كذلك كان عابداً للأصنام ومن كان عابداً للأصنام كـان محـالاً أن يتخـذه الله عـز ذكره نبياً أو رسولاً أو إماماً بحكم هذا الوجه. ولو جاز على الله أن يتخذ كـافراً أو مشركاً نبياً أو رسولاً أو إماماً لجاز في حكم النظر أن يرسل كفاراً مشركين، وكما أنه جاز أن ينقل الكافر إلى الإيمان والمؤمن إلى الكفـر كـذلك يجب فـي حكـم النظر أن يكون حال الأنبياء والأوصياء لو جاز على الله ذلك. فلمـا فـسد ذلـك فـي حكمـة الله جـل اسـمه كـان محـالاً علـى رسـول الله أن يـزوج بناتـه مـن كـافرين مشركين من غير ضرورة دعت إلى ذلـك، وهـو مخـالف لهـم فـي ديـنهم عـارف بكفرهم وإلحادهم، مع ارتفاع المانع وتوفر الموجب حيـث إنّ أرض الحجـاز لـم

---

(١) البقرة: ١٤٢.

(٢) لقمان: ١٣.

تعدم القلة من أهل الفطرة استمراراً للبقية المتبقية من حنيفية إبراهيم الخليل ولما فسد هذا بطل أن يَكُنَّ بناته.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [(١)]، فالمقصود من بناته بنات المؤمنين بدليل أنه تعالى لم يذكر هنا بنات المؤمنين، وإلا فلو كان المقصود بناته حقيقة يكون المعنى أن الله أمر نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين بالتستر وترك بناتهم، ولا قائل به من المسلمين [(٢)].

وثالثاً: لم نجد من خلال سيرة النبي الأكرمﷺ أي رابطة عملية أو لفظية مع زينب ورقية وأم كلثوم، بخلاف ما صدر بحق ابنته فاطمةعليها السلام فهناك مئات الروايات، ولم نسمع يوما أنهﷺ مرّ ببيت إحداهن، بخلاف ما كان يصنعه مع الزهراءعليها السلام، فقد ورد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة [(٣)].

ورابعاً: لم يحتج عثمان في حياته بأنه صهر النبيﷺ أبدا، ولم يقل النبيﷺ: عثمان صهري؟ وقال رسول اللهﷺ لعليعليه السلام: يا علي أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي. وأوتيت صديقة مثل

(١) الاحزاب: ٥٩.

(٢) انظر: دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة، السيد حسين الرجا، ص ٣٦٨.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٨ ص ٤٢.

ابنتي، ولم أوت مثلها زوجة. وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني، وأنا منكم [١]. وقال عمر لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: زوجه النبيﷺ ابنته (وولدت له). وسد الأبواب إلا بابه (في المسجد). وأعطاه الراية يوم خيبر. (أخرجه أحمد) [٢]. فهنا لم يقل الخليفة عمر: زوجه إحدى بناته بل قال زوجه ابنته.

وخامساً: عندما سُئل عبد الله بن عمر... فما قولك في علي وعثمان قال أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما عليٌّ فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، وأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون [٣]. اقتصر ابن عمر على وصف عليعليه السلام بختن رسول اللهﷺ، ولو كان عثمان ختنه أيضاً لذكره. وأعتقد أنّ هذا يكفي في إثبات أنّ الزهراءعليها السلام هي البنت الوحيدة للنبيﷺ، مع أنّه هناك شواهد وأدلة أخرى في المقام.

سبب تصدي السيدة خديجة للتجارة

الطابع العام الذي عرفت به السيدة خديجة الكبرى قبل زواجها بالنبيﷺ هو عملها بالتجارة، حتى أصبحت هذه الميزة الشائعة في سيرتها، ولم يكن نشاط السيدة خديجة بالتجارة بعيداً عن الطابع العام للحياة الاقتصادية والأعراف

---

(١) الغدير، الأميني، ج٢ ص٣١٢.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢ ص ١٦٩.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، ج ٥ ص ١٥٧.

الاجتماعية في مكة، حيث كانت التجارة تمثل العمود الفقري لمكة، ومنذ أن جمع قصي قريشاً أخذت تمارس مهنة التجارة وتستمد منها الحياة والعيش، ولذلك أجريت عدة معاهدات تجارية قام بها هاشم وإخوته تسمى الإيلاف، وذلك لتامين الطرق التجارية الداخلية والخارجية، وأصبح لقريش صلات مع العراق والشام واليمن والحبشة. وهذا إضافة إلى الانتعاش الاقتصادي الذي حظيت به قريش فقد أعطاها غطاءً واسعاً من التحضر والتعرف على الثقافات الأخرى، التي كانت تفد مع التجار الأجانب، فجعلتها تختلف عن مجتمعات الجزيرة العربية، وتبعاً لذلك تطورت مكانة المرأة نوعاً ما في هذا المجتمع في شتى المجالات فاشتركت النساء في كثير من النشاطات لاسيما الاقتصادية منها، ولم تبقَ حكراً على الرجال، كما يؤكد ذلك ورود عدة روايات تذكر جملة من النساء كن يمارسن التجارة، من تلك النساء أسماء بنت مخربه (أم أبي جهل) كانت تعمل ببيع العطور التي يجلبها لها ابنها عبدالله ابن ربيعة من اليمن [(١)]. وأيضا كانت قيلة (أم أنمار) تعمل بالتجارة. وهاله أخت خديجة. فهذا كان أمراً شائعاً في المجتمع المكي. وليس ممارسة السيدة خديجة للتجارة أمراً خارجاً عن الإطار العرفي والقانوني.

إما السبب الذي جعل السيدة خديجة تباشر هذا العمل بعد وفاة خويلد هو لم يبق احد يرثه سوى خديجة ونوفل ابن خويلد فلم يكن احد يقوم بإدارة هذه الأموال، لذلك قامت بنفسها في إدارة هذه الأموال وتنظيمها للتجارة، حيث كانت ترسل الأمناء الذين من ضمنهم ابن أخيها حكيم ابن حزام، وكان يعمل معها

---

(١) أنظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٨ ص٣٠١.

بشكل منظم ومستمر وأيضا غلامها ميسرة.

وكيف كان فإن السيدة خديجة وجدت بين يديها ثروة ومالاً بحاجة إلى عمل وتنمية وكانت ذات نضوج عقلي وقوة في شخصيتها الاجتماعية قد حفزها ودفعها لتحريك هذا المال في المجال الاقتصادي السائد آنذاك. ولكنها لم تباشر العمل بنفسها وإنما استعانت ببعض الأشخاص للعمل ومزاولة البيع والشراء والخروج مع القوافل، وهي بمثابة المشرف العام على رؤوس هذه الأموال.

مصادر أموال السيدة خديجة

لم يبين لنا التاريخ الموارد الأولية التي من خلالها حصلت السيدة خديجة على رأس المال حتى أصبحت تضارب وتتاجر به وحازت كل هذه الثروة العظيمة التي تنافس كبار التجار من قريش، وعليه حاول بعض الباحثين أن يحدد مصدر أموال السيدة خديجة بافتراض بعيد عن الواقع ولا ينسجم مع المنطق العام، حيث قال حصلت على المال من أزواجها قبل الرسول صلى الله عليه وآله قال: «وقد مات عن خديجة زوجان وترك كل منهما ثروة»[1]. وهذا الكلام غير صحيح ولا يصمد أمام النقاش من عدة أمور نستعرضها على شكل نقاط:

أولاً: ثبت عندنا أنّ السيدة خديجة لم تكن متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله، فالافتراض منتفٍ أصلاً، أو يكون بمثابة الموجبة بانتفاء الموضوع.

ثانياً: لو سلمنا جدلاً وقلنا لها زوج أو أزواج قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهم

(١) نقلاً عن كتاب حياة خديجة من المهد الى الحد، ص١١٨.

كانوا فقراء لا يملكون أموالاً ولا هم من التجار، ولم توجد رواية أو نص تاريخي يؤيد ذلك، بل هناك شواهد تدل على عكس ذلك وتثبت أنهم كانوا فقراء، كما جاء عن ابن إسحاق في أسراء بدر: (قال: وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم) [(١)]. فلو كان عتيق المخزومي تاجر وذا مال لكانت ابنته هند بنت عتيق أرسلت فداءً لزوجها عندما أسر في معركة بدر بدلاً من بقائه في الأسر لأنه لا يمتلك فدية.

ثالثاً: إنّ القوانين الوراثية السائدة في أغلب المجتمعات الجاهلية ما قبل الإسلام كانت لا تورث الزوجة حيث يأخذ أهل الزوج أو أقرباؤه كل المال الذي يتركه زوجها، بل كانوا لا يورثون النساء والأطفال، حتى نزلت آية المواريث لتعالج هذه المعضلة التي كان يعانيها المجتمع الجاهلي ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ [(٢)]، وهذه الآية نزلت في أوس بن مالك الأنصاري، وذلك أن أوس بن مالك الأنصاري توفي وترك امرأته أم كحة الأنصارية، وترك ابنتين إحداهن صفية، وترك ابني عمه عرفطة وسويد ابني الحارث، فلم يعطياها ولا ولداها شيئاً من الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئاً، ويجعلون الميراث لذوي الإنسان منهم، فانطلقت أم كحة وبناتها إلى

---

(١) أنظر: البداية والنهاية ابن كثير، ج ٣ ص ٣٨٠.

(٢) النساء: ٧.

النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنّ أباهن توفي، وإنّ سويد بن الحارث وعرفطة منعاهن حقهن من الميراث، فأنزل الله عز وجل في أم كحة وبناتها: قوله ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ...**﴾[1]. بل كان الحال أسوء من ذلك، وهو إذا كان للرجل زوجة ومات عنها فأولياؤه أحق بها، كما ورد عن ابن عباس قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وان شاؤوا زوجوها وان شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، حتى نزلت هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ**﴾[2].

رابعاً: لو فرضنا أنّها ورثتهم فإنّ لأولادهم حصة في هذا المال، ولا يحق لها أن تستأثر بالأموال دونهم، مع أنّه كيف نتصور أنّ النبي صلى الله عليه وآله قبل هذه الأموال منها وعمل بها واستفاد منها في نشر الدعوة الإسلامية وهي في الواقع بحكم المغصوبة.

فتحصل من كل ذلك أنّ السيدة خديجة لم ترث من أزواجها الذين لا يعرف عنهم شيء سوى أسمائهم.

والصحيح أو الذي هو أقرب للواقع أنّ السيدة خديجة ورثت هذا المال من عائلتها حيث إنّ أباها خويلد واثنين من أخوتها قتلوا في حرب الفجار، فنالت جزءاً من هذه الأموال مع بقية الورثة، أو أهداها أبوها في حياته ثم عملت به فنمى، مع أنّ أباها كان من الشخصيات المرموقة والمعروفة ومرجع الناس إليه كما تقدم.

(١) أنظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ج ١ ص ٢١٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، ج ٨ ص ٥٨. وانظر: أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري، ص٩٧.

هل كان النبي أجيراً عند خديجة

لا يسمح المقام الذي يتمتع به النبيصلى الله عليه وآله ولا العائلة الهاشمية حينذاك أن يكون النبيصلى الله عليه وآله أجيراً بهذه الصفة لأحد كيف ما كان لاسيما وهو مؤهل لأن يكون منقذاً للبشرية، بالإضافة إلى العرف الجاهلي الذي يستهجن أن يكون أجيراً عند امرأة كيف ما كانت ولذلك لم نلحظ من التاريخ أنّ أعداء الإسلام عابوا عليه بذلك. وعليه إنّه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً لأحد قط ولعل إضافة لما تقدم في عزة نفس النبيصلى الله عليه وآله وإبائها. وأيضاً في تسديد الله تعالى له. وأيضا في شرف أبي طالب وسؤدده، ما يبعد كثيراً أن يكون قد صدر شيء مما نسب إلى أبي طالب منه وعلى هذا، فقد يكون سفرهصلى الله عليه وآله إلى الشام، لا لكونه كان أجيراً لخديجة، وإنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكاً لها.

وأمّا ما جاء في رواية اليعقوبي عن عمار بن ياسر ما يفيد أن خبر سفر النبي بأموال خديجة إلى الشام وأن خديجة أحبته حيث حدثها غلامها ميسرة بأخباره، وأنها بعثت إلى النبيصلى الله عليه وآله فعرضت نفسها عليه... كان هذا قد شاع في الناس يوم ذاك فكانوا يقولون: إنها استأجرته بشيء من أموالها، وكان عمار بن ياسر يقول: «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد... إنّه ما كان مما يقول الناس أنّها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً لأحد قط... بل كنا نمشي يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري.

فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه، ففعلت. فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمرو بن أسد (عمها) وطرحت عليه حبراً ودهنت لحيته بدهن أصفر... ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أعمامه، يتقدمهم أبو طالب، فخطب أبو طالب فقال: ثم روى الخطبة المذكورة ثم قال: فتزوجها وانصرف»[(١)].

بالإضافة إلى ما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادي عليه السلام يصرح بذلك فيقول: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد»[(٢)]. وكذلك ابن إسحاق يقول:«كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات مال وشرف، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه...الخ»[(٣)]. وعلى هذا فقد يكون سفره صلى الله عليه وآله إلى الشام لا لكونه أجيراً لخديجة بل مضارباً بأموالها، أو شريكاً.

والعمل لا يتنافى مع العبقريات والنبوات، ولا يضع من شأن الإنسان مهما كان، بل هو من أفضل الطاعات إذا كان في سبيل العيال والأولاد وخير الناس، ولكن تأريخ النبي صلى الله عليه وآله منذ ولادته إلى أن بلغ سن الرجولة وأصبح زوجاً لخير امرأة عرفها تأريخ المرأة، ومواقف جده ثم عمه والمراحل التي عاش فيها معهما عزيزاً موفور الكرامة، لا يفارقهما في ليل أو نهار، يبذلان في سبيل راحته واطمئنانه الغالي ومن تتبع ذلك وأدرك أنهما منذ طفولته كانا يترقبان له مستقبلاً

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٠.

(٢) راجع: تفسير الإمام العسكري، ص١٥٥.

(٣) راجع:سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، ج٢ ص٥٩.

يهز العالم من أقصاه إلى أقصاه ويحدث تحولاً في تأريخ البشرية، وأنهما كانا يخافان عليه دعاة الأديان وطواغيت العرب.

زيف القول

حاول أعداء الإسلام أو الحمقى والمغفلون تحريف مسار التاريخ واتهام نبي الإنسانية بما لا يعقل، فقد نقل الحلبي في سيرته أنّ النبيﷺ دخل على خديجة قبل التزويج فأخذت يده فضمته إلى صدرها [١]. وأيضا من جملة ما نقله أنّ عمها كان يأنف من أنّ يزوجها من محمد يتيم أبي طالب فاحتالت عليه حتى سقته الخمر فزوجها في حال سكره فلما أفاق وجد نفسه أمام الأمر الواقع، فلم يجد بداً من القبول [٢]؟.

والجواب

لا ريب إنّ هذا الهراء والافتراء يتناقض مع أخلاق الرسول الكريم وخديجة أم المؤمنين فهو ليس إلا كذباً موضوعاً لم يقصد به سوى الحط والوضع من كرامة النبيﷺ وتنقيصه. إضافة إلى قدح مكانة السيدة خديجة.

وكما أنّ كون خديجة هي التي عرضت نفسها على النبيﷺ، وأنه لم يكن هو الذي تقدم بطلب يدها، لخير جواب لما جاء في كلمات بعض المستشرقين من اتهام باطل بأنهﷺ إنّما تزوج خديجة طمعاً في مالها، مع أنّه لم

---

(١) انظر: السيرة الحلبية، الحلبي، ج١ ص١٤٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٣٨.

يبق هذا التقدير والحب من خديجة للنبيﷺ من طرف واحد، بل قابله النبيﷺ بالحب والتقدير لها في أيام حياتها وبعد مماتها، حتى لقد كان ذلك يثير حفيظة بعض أزواجه اللواتي ما رأين، ولا عشن مع خديجة، دليل واضح على بطلان هذا الزعم. بل إن حياة النبيﷺ من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنّه ما كان يقيم للمال أي وزن وقد أنفقت خديجة أموالها برغبتها في سبيل الله والدعوة إلى دينه وليس على النبيﷺ وملذاته وهكذا تفعل الحرة العاقلة اللبيبة كما فعلت خديجة، فلا تغرها بهرجة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ولا تبحث عن المال والشهرة، ولا عن اللذة والشهوة، وإنمّا يكون نظرها إلى الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة، لأنّها هي التي تسخر المال والجاه والقوة في سبيل الإنسانية، والماديون الذين ينظرون إلى كل شيء من ناحية المال والمادة فإنّ حياة النبيﷺ من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنهﷺ ما كان يقيم للمال وزناً.

تصيد بالماء العكر

زعم بعض المغرضين أن خديجة بما أنها كانت ذات مال تتاجر به، كانت أحوج ما تكون إلى رجل أمين لإدارة أمور تجارتها، لذلك اندفعت للزواج بمحمد الصادق الأمين وكان النبيﷺ يعلم بوضعها المالي وحياتها الكريمة قبل خطوبتها مع ما بينهما من تفاوت العمر.

إلا أن الذي نراه في التأريخ هو أن دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية لا مادية.

والشاهد لذلك ما رواه ابن إسحاق قال: وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد (ابن عمها) ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه.

وكان ورقة نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس فقال لها: لئن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفت انّه كائن لهذه الأمّة نبي ينتظر وكانت أول امرأة آمنت به، لما يشهد في صفحات التأريخ بأن زواجها كان منبعثاً من إيمانها بطهارة الصادق الأمين، وان حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات والأحاديث لما يوضح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أي شبهة، على من أراد التفصيل في ذلك أن يراجع الروايات الواردة في فضلها وفضيلتها [١].

منزلة خديجة عند الله

حظيت خديجة بنت خويلد بمكانة عالية ومقام رفيع عند الله، وهذا ما كشف عنه الوحي الإلهي الذي طالما يوصل لها التحية والسلام المباشر من قبل الله تعالى ويبشرها بما أعد لها من النعيم في الآخرة. كما ورد بطرق مختلفة، أتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب [٢].

(١) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ١ ص ٣٣١

(٢) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٢٣١. والسيرة النبوية، ابن كثير، ج ٢ ص ١٣٣.

وأيـضا ورد عـن زرارة وحمـران بـن أعـين ومحمـد بـن مـسلم عـن أبـي جعفر عليه السلام قال: **حدث أبو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ جبرئيل قال لي ليلة أُسري بي وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ فقال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عند ذلك انها قالت حين لقيها نبي الله عليه وآله السلام فقال لها الذي قال جبرئيـل، قالت: ان الله هو السلام، ومنـه الـسلام، وإليـه الـسلام، وعلـى جبرئيـل السلام**[1].

وعن وكيع، بإسناده، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لخديجة: **يـا خديجـة، هـذا جبرائيل يخبرني أن الله عز وجل أرسله إليك بالسلام. فقالت خديجـة: الله السلام ولله السلام وعلى جبرائيل السلام**[2].

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله أربعـة خطـوط فـي الأرض وقـال: أتدرون ما هذا: قلنا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أفضل نـساء [أهـل] الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمـران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**[3].

وغيرها من الروايات الكثيرة التي تشير إلى عظمة مكانة السيدة خديجة عند الله.

---

(١) شرح الأخبار، القاضي النعماني المغربي، ج٣ ص٢١. ينابيع المودة، القندوزي، ج٢ ص٤٨.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج ٢ ص ٢٧٩.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٠٥.

مكانتها عند النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ

انفردت خديجة عن غيرها من زوجات النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ في حبه لها، فقد نالت حب النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ ورضاه وشغفه بها وما كان يقدم عليها امرأة وبقيت هي زوجته الوحيدة وشريكة حياته إلى أن وافاها الأجل، وهذا الحب وهذه العلاقة لم تنقطع عند الموت وإنّما ظلت في ذاكرته وهواجسهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، وكان يؤنسه الحديث عنها حتى أنّهُ كان يقصد صويحباتها يحدثنه عنها وعن ذكرياتها، وكان يكثر ذكرها، ويحسن الثناء عليها، ويقول: ما نفعني مال كمالها، ورزقه الله الولد منها، ولم يتزوج في حياتها إكراماً منه لها. ذات يوم اجتمعن عنده نساؤه، قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتني حين كذبني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب [الزمرد] لا صخب فيه ولا نصب [(١)]. ولكثرة ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً: تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلك الله من هو خير منها؟ فقالصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ: كلا والله ما بدلت بها من هو خير منها، صدقتني إذ كذبني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها، ولم ارزق من غيرها [(٢)].

وعن عائشة قالت ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت فأغضبته يوماً فقلت خديجة فقال

(١) أنظر: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ٤ ص ٤٨٠. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٣ ص ١٣١.
(٢) التعجب، أبو الفتح الكراجكي، ص ١٠٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّي قد رزقت حبها [(١)].

وجاء عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بالشيء قال اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة. وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم واحتملتني الغيرة إلى أن قلت قد عوضك الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضباً سقط في جلدي فقلت في نفسي اللهم إنك إن أذهبت عني غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أذكرها بسوء ما بقيت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قد لقيت قال كيف قلت والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ورزقت مني الولد إذ حرمتيه مني فغدا بها علي وراح شهراً[(٢)].

وأيضا عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة اثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها قال ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء [(٣)]. وغير ذلك من الروايات المستفيضة عند الفريقين، ويكفيها أنّهﷺ بعد ما فارقت الحياة ومن ثم أبي طالب سمى ذلك العام عام الحزن؛ لأنه فقد عزيزين يصعب فراقهما.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج ٧ ص ١٣٤.

(٢) المعجم الكبير،الطبراني، ج ٢٣ ص ١٢.

(٣) انظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج ٦ ص ١١٧.

سبق إسلامها

امتازت خديجة عن غيرها في جملة من المواقف النبيلة التي أعطتها صبغة مميزة أشخصتها عن أقرانها ومعاصريها من جملتها أنّها أوّل النساء اللاتي أسلمت وآمنت وضحّت وقدمت الغالي والنفيس من أجل الدين والرسالة، وقد أظهرت ما كان يختلج صدرها من إيمانها بالنبي الأكرم وما رسمه من مستقبل زاهر في إحياء البشرية ومجابهة الطاغوت الغاشم، مع أنّ دخول خديجةعليها السلام في الإسلام يختلف عن غيره بكثير إذ أكثر أهل الإسلام كان إسلامهم بطيئاً ومتأخراً وربما يكون خجولاً عند بعض الأشخاص، بل متزلزلاً عند البعض الآخر، لذا نلاحظ البعض يدخل دائرة الإسلام بعد المشاورة أو بعد التأمل، أو هناك ثمة ضغوط سياسية أو اجتماعية، وغير ذلك، وأمّا خديجةعليها السلام فقد كان إسلامها سريعاً وفورياً ومنشأ هذه السرعة والفورية في إسلامها أمران:

الأمر الأول: علمها ومعرفتها بالأديان والكتب وعلامات الرسل، فقد تعلمتها من عمها ورقة بن نوفل كما سوف يأتي في الكلام حول علمها فهي على اطلاع بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله سوف يكون هو النبي لهذه الأمة، وكان هذا العلم يلازمه الإيمان بالله تعالى فإنهاعليها السلام كانت على ملة إبراهيم الخليلعليه السلام كما تقدمت الإشارة إليه.

الأمر الثاني: هو علمها بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله أهل لذلك وليس أحد في أمته من هو أفضل منه، وعليه فقد ذكروا أن خديجة أوّل من أسلم حيث بُعثصلى الله عليه وآله يوم الاثنين فأسلمت هي في ذلك اليوم، وكانت له عوناً على حاله كله تثبته على أمره

وتصبره على ما يلقى من أذى قومه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها ويقول: رزقت حبها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بسبع سنين، وقيل بخمس، وقيل بأربع، وقيل بثلاث، وهو أصح وأشهر وتوفيت هي وأبو طالب في سنة واحدة. قيل: كان بينهما ثلاث أيام، وسيأتي الكلام عن تاريخ وفاتها إنْ شاء الله.

النبي يعلّم خديجة الوضوء والصلاة

بعد ما علّم جبرائيل الوضوء والصلاة للنبي صلى الله عليه وآله من قبل الله، فجاء رسول الله إلى خديجة فتوضأ لها ليريها كيفية الطهور للصلاة كما أراه جبرائيل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وآله كما صلى به جبرائيل فصلت بصلاته [١]. وكانت هذه الصلاة في نفس يوم الوحي كما ورد. صلى النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وأيضا ورد عن عفيف قال: جئت في الجاهلية حتى قدمت مكة لابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها وآويت إلى العباس وكان رجلاً تاجراً فأنا جالس عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء إذ اقبل فتى شاب حتى رمى ببصره إلى السماء فنظر ثم اقبل إلى الكعبة فدنا منها فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء شاب فصنع كما صنع ثم قام إلى جنبه فما مكث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فأهوى الشاب فركع فركعا فرفع فرفعا ثم أهوى إلى الأرض ساجداً (فسجدا) فقلت: يا عباس أمر والله عظيم؟ فقال: أمر والله عظيم؟ هل تدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا محمد ابن عبد الله هذا ابن أخي، هل تدري من هذه المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج١ ص١٦١.

بنت خويلد زوجة ابن أخي. هل تدري من هذا (الفتى؟) هذا علي بن أبي طالب ابن أخي، هذا الذي ترى ذكر أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين فهو عليه ولا والله (ما) أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة [(١)].

خديجة وعاء لأم الأئمة

تقدم أنّ أم المعصوم لا بد وأن تحتوي على مؤهلات وصفات كمالية عالية بحيث تؤهلها لأن تكون وعاءً للمعصوم وتنال هذا الوسام الرفيع، ولذلك دخل هذا الوعاء تحت الرعاية والتربية الإلهية وكان ذلك بمثابة الاصطفاء وأم المعصوم قد اصطفيت من قبل الله عزّ وجل. والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تكن حجة ومعصومة فحسب وإنما بحسب الأحاديث الثابتة أنها حجة على الحجج الطاهرة والبراهين الزاهرة، كما أكده المعصوم عليه السلام بعبارة صريحة لا تقبل التأويل: نحن حجج الله على الخلق وفاطمة حجة الله علينا [(٢)]. من هنا أخذت فاطمة عليها السلام تعرّف علياً عن نفسها وعن عظم مكانتها وذلك من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، وإلا أهل البيت عليهم السلام أعلم وأعرف ببعضهم البعض، فراحت مخاطبة علياً عليه السلام قائلة: اعلم يا أبا الحسن إنّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبح الله جل جلاله ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت فلما دخل أبي صلى الله عليه وآله إلى الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وادرْها في لهواتك ففعل

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ج ١ ص ٢٧١

(٢) انظر: الانتصار، العاملي، ج٧ ص١٩٣.

فأودعني الله تعالى صلب أبيﷺ ثم أودعني خديجة بنت خويلدعليها السلام فوضعتني وأنا من ذلك النور، اعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى[(١)].

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال: لما تزوجت خديجة بنت خويلد، رسول اللهﷺ هجرها نسوان مكة، وكن لا يكلمنها، ولا يدخلن عليها، فلما حملت بالزهراءعليها السلام كانت إذا خرج رسول اللهﷺ من منزلها تكلمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدثها وتؤانسها، فدخل رسول اللهﷺ فقال لها: يا خديجة من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله، إن الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلمني، وحدثني من ظلمة الأحشاء، فتبسم رسول اللهﷺ ثم قال: يا خديجة، هذا أخي جبرائيلعليه السلام يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهرة، وأن الله تعالى أمرني أن أسميها (فاطمة) وسيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون. ففرحت خديجة بذلك[(٢)]. ولم نسمع بمثل هذا من أبناء السيدة خديجة غير السيدة الزهراءعليها السلام أنه كلمها وحدثها وهو في بطنها فهذه الكرامة من اختصاص السيدة الزهراء عليها السلام بما لها من مكانة عند الله.

نساء الجنة يحضرن خديجة في مخاضها

نالت خديجة مرة أخرى وسام الشرف والافتخار حيث حضرن خير نساء أهل الجنة لخدمتها والقيام بشأنها وهذا الأعجاز لا يتأتى لكل أحد إلا من خصه

(١) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص ٤٧.

(٢) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص ٢٨٥.

الله عز وجل بالفضل والاصطفاء.فلما أن حضر وقت ولادتها أرسلت إلى نسوان مكة أن يتفضلن ويحضرن ولادتي ليلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: يا خديجة، أنت عصيتنا ولم تقبلي منا قولنا، وتزوجت فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء إليك، ولا نلي منك ما تلي النساء من النساء فاغتمت خديجة رضي الله عنها غماً (شديداً)، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة كأنهن من نسوة قريش، فقالت إحداهن: يا خديجة، لا تحزني فأنا آسية بنت مزاحم، وهذه صفية بنت شعيب وفي رواية أخرى: كلثم بنت عمران أخت موسىعليه السلام وهذه سارة زوجة إبراهيمعليه السلام، وهذه مريم بنت عمران، وقد بعثنا الله تعالى إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، وجلسن حولها، ووضعت الزهراء فاطمةعليها السلام طاهرة ومطهرة [١].

خديجة مربية لأمير المؤمنينعليه السلام

ومن فضائلها والخصوصيات التي اختصت بهاعليها السلام إنها ربت أمير المؤمنينعليه السلام ويكفيها هذا الفخر العظيم حيث احتضنت مولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام.

وبعبارة أخرى، يحتاج أمير المؤمنين إلى حاضنة خاصة طاهرة ومطهرة من كل شائبة ولا يحمل هذا الظرف الطاهر ولا يحتضنه أي محضن مهما كانت خصوصياته، بل لا بد أن يكون قابلاً لهذا المعصوم أرواحنا فداه فكما أن لفاطمة بنت أسد سلام الله عليها الفخر والفضل حيث ربت الرسولصلى الله عليه وآله

(١) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص ٢٨٦.

فكذلك لخديجة عليها السلام هذا الفضل العظيم ويدل على هذا ما ذكره ابن شهر آشوب حيث قال: كان أبو طالب وفاطمة بنت أسد ربيا النبي صلى الله عليه وآله وخديجة لعلي صلوات الله عليه، ونقل تاريخ الطبري، والبلاذري، وتفسير الثعلبي، والواحدي، وشرف النبي، وأربعين الخوارزمي، ودرجات محفوظ البستي، ومغازي محمد بن إسحاق، ومعرفة أبي يوسف النسوي، أنه قال مجاهد:... وأخذ رسول الله علياً وهو ابن ست سنين كسنه يوم أخذه أبو طالب فربته خديجة والمصطفى إلى أن جاء الإسلام، فكان مع النبي إلى أن مضى وبقي عليٌّ بعده [(١)].

وعن الباعوني الشافعي: أنّ أبا طالب قال لزوجته فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهم يا فاطمة ما لي لا أرى علياً يحضر طعامنا؟ فقالت: إن خديجة بنت خويلد قد تألفته [(٢)]، فقال أبو طالب: والله لا أحضر طعاماً لا يحضره علي، فأرسلت أمه جعفراً أخاه وقالت: جئني به وحدثته بما قال أبوه. قال: فانطلق جعفر إلى خديجة فأعلمها وأخذ علياً... [(٣)]. هذا وغيره يدل على مدى حبها لأمير المؤمنين عليه السلام وإيمانها به.

وذكر ابن حجر العسقلاني قوله: وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها... [(٤)].

---

(١) راجع: حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، ج٢ ص ٢٨.

(٢) وتألف فلان فلانا إذا داراه وآنسه وقاربه وواصله حتى يستميله إليه. تاج العروس، ج ٦ ص ٤٥.

(٣) راجع: جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام، ج ١ ص ٣٩.

(٤) فتح الباري بشرح البخاري، ج ٧ ص ١٠٩.

خديجة عند احتضارها

ذكر بعض المؤرخين حال السيدة خديجة عند احتضارها: وقد بدأت وطأة المرض تشتد على أم المؤمنين خديجةعليها السلام ولكن لم يكن يشغلها ما تعانيه من مرض بل كان كل شغلها رسول اللهصلى الله عليه وآله وأصحابه والدعوة إلى الله تعالى وتصبر على آلامها فتبتسم له حين يدخل عليها وهموم الدعوة إلى الله ترسم آثارها على وجه الحبيب فتشد خديجة رضي الله عنها عليه بيدها الحانية وتمسح عنه بهذا التأييد كل آثار التعب أو النصب.

ولبث الرسولصلى الله عليه وآله إلى جوار زوجته المريضة يرعاها ويؤنس وحشتها ويقف إلى جوارها لحظة الاحتضار هذه السيدة التي كان لها قصب السبق في الإسلام وهي التي احتضنت الدعوة الوليدة بقلبها المؤمن المستيقن وهي التي واست النبيصلى الله عليه وآله والمسلمين بمالها وجاهها وفوق هذا كله صاحبة البشرى الواعدة بأنّ لها بيتاً في الجنة.

لقد أتى الخاصة من الأهل والأقارب يهرولون ليهونوا على أم المؤمنين مرضها بإحاطتها بالرعاية والود وإسباغ مشاعر المحبة عليها واقترب منها المصطفىصلى الله عليه وآله أكثر أنه يرى وداعها قد حان وأنها الآن أوشكت على الفراق، ثم أسلمت الروح لبارئها وهي بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله وقام رسول اللهصلى الله عليه وآله وهو حزين يحاول مغالبة عبراته، وهو يقول لقد ماتت خديجة. ثم سرى الخبر في أرجاء مكة يحمل نبأ وفاة أعظم امرأة عرفها الناس في تلك الأرض الطاهرة ووقع الخبر على أهل مكة كالصاعقة لقد ماتت خديجة بنت خويلد الطاهرة سيدة نساء قريش.

وروي عن الصدوق قال: عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة وهي لما بها. فقال لها بالرغم منا ما نرى بك يا خديجة فإذا قدمت على ضرائرك فأقرئيهن السلام. فقالت: من هن يا رسول الله؟ قال: مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. قالت: بالرفاء يا رسول الله [١].

وروي لما مرضت مرضها الذي توفيت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: بالكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. قالت: بالرفاء والبنين [٢].

وذكر الطبرسي رحمه الله قريباً من رواية الصدوق والبحار إلا أنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة وهي تجود بنفسها، فقال: أكره ما نزل بك يا خديجة... الخ [٣].

وعن الخوارزمي: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة بنت خويلد امرأته وهي بالموت فشكت إليه شدة كرب الموت فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا لها ثم قال: أقدمي خير مقدم يا خديجة أنت خير اُمَّهات المؤمنين وأفضلهن وسيدة نساء العالمين [٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص ٨٤.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص٢١٨. وبحار الأنوار، ج ١٩ ص ٢٠.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٨٠٦.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام، ص ٣٣٤.

من وصايا خديجة للنبي صلى الله عليه وآله

لما اشتد مرضها قالت يا رسول الله اسمع وصاياي، أولاً فأني قاصرة في حقك فأعفني يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حاشا وكلا ما رأيت منك تقصيراً فقد بلغت جهدك وتعبت في داري غاية التعب وبذلت بذلك أموالك وصرفت في سبيل الله جميع مالك قالت: يا رسول الله الوصية الثانية أوصيك بهذه وأشارت إلى فاطمة فإنها غريبة من بعدي فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدها ولا يصحن في وجهها ولا يرينها مكروهاً.

الوصية الثالثة: فإني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإني مستحية منك يا رسول الله فقام النبي صلى الله عليه وآله وخرج من الحجرة فدعت بفاطمة وقالت يا حبيبتي وقرة عيني قولي لأبيك إن أمي تقول أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفنني فيه فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً[1].

اهتمامها بفاطمة عليها السلام

كان يشغل خديجة أمران النبي صلى الله عليه وآله وما يعانيه من مصاعب وآلام، ومستقبل ابنتها فاطمة عليها السلام حتى وهي في أحلك الظروف ومعاناتها سكرات الموت، فقد ورد عن أسماء بنت عميس قالت: لما حضرت وفاة خديجة عليها السلام

---

(١) شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ج٢ ص٢٣٤.

فبكت. فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه مبشرة على لسانه بالجنة، فقالت: ما لهذا بكيت ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تقضي إليها بسرها وتستعين لها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبى وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتي لك عليَّ عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر. فلما كانت تلك الليلة وجاء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأمر النساء فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادي فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس. فقال: ألم آمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي وما قصدت خلافك ولكني أعطيت خديجة عهداً وحدثته. فبكى فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله. فدعا لي[1].

النبي يجهزها

لما توفت خديجة أخذ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرئيل وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك يا محمد إنّ كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا فجاء جبرئيل بكفن وقال يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدى الله إليها فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً فكان لها كفنان كفن من الله وكفن من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٣ ص ١٣٨.

وفاتها ومحل دفنها

اختلف المحدثون والمؤرخون في تحديد زمن وفاة خديجة عليها السلام وسنذكر جملة من أقوالهم في ذلك:

ذكر ابن آشوب وغيره: أن أبا طالب رضي الله عنه توفي في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم توفيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام فسمى رسول الله ذلك العام عام الحزن. فقال: ما زالت قريش قاعدة عني حتى مات أبو طالب[1].

وذكروا عن ابن إسحاق قال: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتابعت على رسول الله المصائب بموتهما. وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام كان يسكن إليها.

وذكر الواقدي أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وأنهما توفيا في ذلك العام وتوفيت خديجة قبل أبي طالب بخمسة وثلاثين يوماً[2].

وعن قطب الدين الراوندي رحمه الله قال: وخرج النبي صلى الله عليه وآله ورهطه من الشعب وخالطوا الناس ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين وكانت خديجة رضي الله عنها بعد ذلك وورد على رسول الله صلى الله عليه وآله أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً[3].

وعن ابن المغازلي حدثنا سعيد عن قتادة قال: توفيت خديجة قبل الهجرة

---

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١ ص١٥٠.

(٢) أنظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص ٢٣٦. والسيرة النبوية، ج ١ ص ٢٦٨.

(٣) قصص الأنبياء، القطب الراوندي، ص٣٣٧.

بثلاث سنين.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فقال: ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس سنين ويقال: بأربع سنين ماتت قبل تزويج النبي صلى الله عليه وآله عائشة.

وقال ابن سعيد يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي ابنة خمس وستين فخرجنا بها من منزلها حتى دفنها بالحجون [١]، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها ولم يكن يومئذ صلاة على الجنازة. قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد. قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها [٢].

وذكر الشيخ النمازي رحمه الله أنها توفيت في سنة عشر من النبوة في عشر من شهر رمضان بعد أبي طالب بثلاثة أيام.

وعن الفقيه الكبير العلامة المامقاني: أنّ أهل السير ذكروا أن خديجة توفت في شهر رمضان قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع وقيل بثلاث واستصوب في أسد الغابة الأخير، فقال: ودفنت بالحجون [٣].

وعن المسعودي: وكان وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين. وعن أبي الفرج الأصفهاني: وتوفيت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين. ودفنت بالحجون. وعن اليعقوبي: وتوفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين [٤].

---

(١) الحجون: قيل جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(٢) أنظر: الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلاوي، ص٣٨٣.

(٣) تنقيح المقال، ج٣ ص٧٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٥.

التبرك بقبر خديجة ومنزلها

يمكن أن يستدل على عظمة الإنسان ومدى مكانته عند الله بانشداد الناس إلى زيارة قبره وسمو مقام ضريحه، وتأكيد السماء على زيارة قبره والتبرك به فكان لخديجة جزء من هذه الحبوة الإلهية. لذلك عده (ضريحها ومنزلها) بعضهم من المستحبات حيث قال: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزل خديجة، وزيارة قبر خديجة، والغار الذي بجبل حراء، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء الوحي يتعبد به، والغار الذي بجبل ثور، استتر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عن المشركين[1].

استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى

ذكر صاحب الأنوار الساطعة في زيارة السيدة خديجة عليها السلام جملة من الأقوال[2].

قال: ذكر سيدنا الأستاذ فقيه أهل بيت العصمة والطهارة السيد التقي القمي دام ظله ما يلي: لا ريب ولا إشكال في أن الإتيان بهذه الزيارة من القريب أو البعيد رجاء لا يكون فيه خلاف فإن باب الرجاء واسع ويمكن الاستدلال على رجحان زيارتها بأنها مقربة عند الله وعند الرسول وعند أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام ولكن مقتضى الاحتياط التام أن لا يقصد بزيارتها الورود، بل يقصد الرجاء والله العالم بحقائق الأشياء.

---

(١) أنظر: مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج٣ ص٩٥.

(٢) الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلاوي، ص ٤٠٤.

وعن فقيه أهل بيت العصمة والطهارة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء رحمه الله ويستحب زيارة خديجة بالحجون وعن الفقيه المقدس السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله: ويستحب زيارة قبر خديجة عليها السلام المعروفة بالمعلى لأنها أم المسلمين ومن بر الأولاد بأمهم زيارة قبرها بعد ارتحالها مع أنها بذلت نهاية جهدها في خدمة سيد المرسلين وما لها في نشر دعوة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من مفاخرها التي ملأت كتب الفريقين فمن شك بعد ذلك في رجحان زيارتها فهو عاق لأمه. وذكر الزيارة المرحوم السيد محسن الأمين رحمه الله: السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليك يا أول المؤمنات السلام عليك يا من أنفقت مالها في نصرة سيد الأنبياء ونصرته ما استطاعت ودافعت عنه الأعداء السلام عليك يا من سلم عليها جبرئيل وبلغها السلام من الله الجليل فهنيئاً لك بما أولاك الله من فضل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وذكرها في المنتخب الحسني[(١)].

وذكر السيد البطحائي زيارة أخرى: السلام عليك يا زوجة رسول الله سيد المرسلين السلام عليك يا زوجة نبي الله خاتم النبيين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين السلام عليك يا أم الأئمة الطاهرين السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا أم المؤمنات السلام عليك يا خالصة المخلصات السلام عليك يا سيدة الحرم وملكة البطحاء السلام عليك يا أول من صدقت برسول الله من النساء السلام عليك يا من وفت بالعبودية حق الوفاء

---

(١) المنتخب الحسني، ص٥٠٥.

وأسلمت نفسها وأنفقت مالها لسيد الأنبياء السلام عليك يا قرينة حبيب إله السماء المزوجة بخلاصة الأصفياء يابنة إبراهيم الخليل السلام عليك يا حافظة دين الله السلام عليك يا ناصرة رسول الله السلام عليك يا من تولى دفنها رسول الله واستودعها إلى رحمة الله أشهد أنك حبيبة الله وخيرة الله وأن الله جعلك في مستقر رحمته في قصر من الياقوت والعقيان في أعلى منازل الجنان صلى الله عليك ورحمة الله وبركاته[(١)].

أزواج النبي صلى الله عليه وآله

تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع، فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة والسني، وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سورة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية، ثم أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي بن أخطب. والتي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله خولة بنت حكيم السلمي، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية، وريحانة الخندفية والتسع اللاتي قبض عنهن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي بن أخطب، وجويرية بنت الحارث، وسورة بنت زمعة[(٢)].

(١) آداب الحرمين، ص٥٥.

(٢) انظر: الخصال، الشيخ الصدوق، ص٤١٩.



الفصل الرابع

فاطمة بنت محمد أم الحسنين عليهم السلام

مولدها المبارك

ولدت السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلبعليهم السلام بمكة يوم الجمعة، العشرين من جمادى الآخرة، بعد المبعث بسنتين، كما قاله الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد. وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث. وقال الكليني وابن شهر آشوب: ولدت بعد المبعث بخمس سنين وهو المروي عن الباقرعليه السلام وهو المشهور بين أصحابنا[1].

وفي كشف الغمة عن ابن الخشاب في مواليد ووفيات أهل البيتعليهم السلام مرفوعاً عن الباقرعليه السلام أنّها ولدت بعد النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت، ولعله اشتباه من الراوي أو سهو من النساخ فبناء الكعبة كان قبل النبوة لا بعدها ويدل عليه ما في مقاتل الطالبيين أنها ولدت قبل النبوة وقريش تبني الكعبة[2].

وروى الحاكم في المستدرك وابن عبد البر في الاستيعاب أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبيصلى الله عليه وآله. وفي الإصابة ولدت قبل البعثة بقليل[3].

(١) راجع: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج١ ص٣٤٧.

(٢) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج١ ص٣٤٧.

(٣) راجع: المستدرك، ج٣ ص١٦٢. الإصابة، ابن حجر، ج٨ ص٢٣٦.

وأكثر علماء أهل السنة تروي أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين[1]. ولعله وقع اشتباه من الرواة بين كلمتي قبل وبعد، حيث إنّ الذي يستفاد من الأخبار والأحاديث التي وصلت إلينا من طريق أهل البيت عليهم السلام ولا يقبل الشك والتغيير أنّ فاطمة عليها السلام ولدت على فطرة الإسلام وبعد نزول الوحي على أبيها صلى الله عليه وآله خلافا لما في بعض كتب العامة، فإليك بعض النصوص في ذلك:

قال علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام[2].

وعن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين، وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً[3].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولدت فاطمة في جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً[4].

وبالجملة كان زمان ولادتها عليها السلام أيام حكومة يزد جرد بن شهريار من ملوك العجم، الذي كان دار سلطنته قلعة الجولاء قرب بغداد دار السلام، وكان أمر سلطنته مستقرا في تلك الأيام إلى أن انهزم في عصر عمر من جيش الإسلام، ففر

---

(١) راجع: الإصابة، ابن حجر، ج٦ ص١٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي، ص١٣١.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣ ص٩.

(٤) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري الشيعي، ص٧٩.

بعد أن انهزم إلى بلاد العجم، وقتل بقلعة هرات أو بنيشابور أو غير ذلك على اختلاف الأقوال والروايات، كما سيأتي، وكان آخر ملوك العجم.

وأمّا يوم ولادتها، فقد ولدت عليها السلام يوم الجمعة وقت الصبح أي في آخر جزء من ليلة الجمعة، وهي الساعة الأخيرة التي هي أفضل الساعات ومحل استجابة الدعوات، ووجه اختصاص تولدها بتلك الساعة لعله أن تكون مستورة عن عيون الأجانب، وبها عليها السلام فسر قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[1]، أي إنا أنزلنا نور فاطمة عليها السلام في ليلة الجمعة، أو أنزلنا نور الإمامة في فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي الليلة المباركة، فالضمير في ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**﴾ راجع إلى نور الإمامة، ولذا ورد استحباب قراءة سورة القدر عشر مرات في تلك الساعة من كل ليلة خصوصاً ليلة الجمعة، وليلة القدر أيضاً هي تلك الليلة المباركة[2].

كيفية ولادة فاطمة عليها السلام

هناك جملة من الإرهاصات والكرامات التي حصلت متزامنة في حال ولادتها وحال حملها في بطن أمها وهذا يعبر عن السر الإلهي الذي شاءت حكمته تعالى أن يخرجه إلى المعمورة ويزهر به المشرق والمغرب، فقد ورد عن المفضل ابن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال:

---

(١) الدخان: ٣- ٤.

(٢) راجع: اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري، ص ٢٢٧.

نعم، إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله، فلما حملت بفاطمة كانت عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها أنت عصيتنا، ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئاً فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا

غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، فدر عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة [١].

انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة

من جملة الكرامات التي امتازت بها فاطمة الزهراء عليها السلام، أنها حظيت برعاية إلهية في بدء تكوينها المادي (إضافة إلى ما حظيت به من كرامات عالية روحية)، وهذا ما لم يحدُث عند أحد لا من الأنبياء ولا من الأولياء والصالحين فلم نسمع رعاية إلهية بهذا المستوى مطلقاً إلا في بدء تكوين نطفة الزهراء عليها السلام، حيث اهتمت بها يد الغيب اهتماماً لا نظير له في الوجود، وإليك ملخص ما روي في

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦٩٠. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج٢ ص٥٢٥.

ذلك من الفريقين: منها ما ورد، أنّ الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعتزل أربعين صباحاً يصوم النهار ويقوم الليل، وبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر قال: قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكن ربي أمرني بذلك، فلا تظني إلا خيراً، وإني في منزل فاطمة بنت أسد. فلما تم ميقات ربه الأربعين هبط الأمين جبرئيل وقال: العلي الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته، فهبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل من سندس الجنة، فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه شبعاً، وشرب من الماء، ومد يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل وغسل يده ميكائيل وتمندله إسرافيل، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرمة عليك في وقتك، حتى تأتي خديجة فتواقعها، فإن الله عز وجل آلا على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة، فوثب رسول الله إلى منزل خديجة وواقعها. قالت خديجة: والذي سمك السماء وأنبع الماء، ما تباعد عني النبي صلى الله عليه وآله حتى حسست بثقل فاطمة في بطني [(١)].

وفي رواية عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر القبل لفاطمة، فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل ليلة أُسري بي أدخلني الجنة فاطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها [(٢)].

وأخرج الطبراني، والهيثمي عن عائشة قالت كنت أرى رسول الله صلى الله

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨ ص ٢٤١.

(٢) ذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبري، ص٣٦.

عليه وسلم يقبل فاطمة فقلت يا رسول الله إني أراك تفعل شيئاً ما كنت أراك تفعله من قبل، فقال لي: يا حميراء أنه لما كان ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أرَ في الجنة شجرة هي أحسن منها حسنا ولا أبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة، يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون [(١)].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعد بن مالك قال: قال صلى الله عليه وآله: أتاني جبرائيل عليه السلام بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة [(٢)].

من الأدلة على عصمة فاطمة عليها السلام

هناك جملة من الآيات والروايات الدالة وبصراحة على عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا نريد أن نسهب في الموضوع هنا، فقد تفردت لذلك كثير من الكتب المختصة، (فقد وجدت في مكتبة واحدة ما يقارب ٣٦٠ كتاباً تتحدث عن حياة وخصائص السيدة الزهراء عليها السلام) على الرغم من أنّ عصمتها واضحة من خلال الآيات والروايات إلى كل ملتفت ونقي السريرة، قد نذكر بعض الأدلة على عصمتها وعلى نحو الإجمال، فنقول:

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٢ ص ٤٠١. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص٢٠٢.

(٢) المستدرك، النيسابوري، ج ٣ ص ١٥٦

أمّا الكتاب

قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[(١)]، تشمل هذه الآية المباركة فيمن تشمل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بل هي محور الآية وأساسها؛ لأنها نزلت في أهل بيت النبوة، فإن المتأمل في كلمات الآية يتوصل إلى أن المخاطبين بهذه الآية مطهرون معصومون من كل رجس، وفاطمة أحدهم. كما جاء عن ابن عساكر في إسناده إلى عمرة بنت أفعى، قالت: سمعت أم سلمة تقول: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾. وفي البيت سبعة: جبريل وميكائيل ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين، قالت: وأنا على باب البيت، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنّك على خير، إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وما قال: إنك من أهل البيت[(٢)]. وغيرها من الروايات الكثيرة عند الفريقين والتي تعيّن شأن النزول بأهل البيت عليهم السلام المعصومين دون غيرهم.

تقريب الاستدلال بالآية

أولاً: تصدير الآية بأقوى أدوات الحصر على الإطلاق (إنما) مما يعني أن هذا الأمر خاص بجماعة معينة محددة لا يتعداهم إلى غيرهم.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ابن عساكر ص ١٠٠.

وثانياً: يأتي البحث عن الإرادة الإلهية التي ذكرت في الآية (إنما يريد الله) وهي إرادة المولى عز وجل: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1]، فلا يمكن بحال تخلف إرادته تعالى.

وثالثاً: إنّ الرجس في اللغة معناه كل ما يلوث الإنسان سواء كان لوثاً ظاهرياً أو باطنياً والذي يعبر عنه بالإثم، والرجس في هذه الآية هو اللوث والنجاسة الباطنية لأن الابتعاد والطهارة من النجاسة الظاهرية وظيفة دينية عامة لجميع المسلمين وذلك لشمول التكليف للجميع ولا خصوص لأهل البيت حتى ترد هذه الآية بحصرها وتوكيدها لنفي الرجس الظاهري عن أهل البيت، إنما جاءت لبيان فضيلة لهم خصهم بها الله سبحانه وتعالى وأخبر عنها في كتابه العزيز.

رابعاً: يأتي التأكيد ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ وعليه أن الآية تجعلنا لا نشك لحظة واحدة في عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فهي معصومة مطهرة من كل رجس ظاهرٍ وباطنٍ.

أما السنة

نذكر بعضاً مما قاله المصطفى في ابنته ربيبة الوحي فاطمة الزهراء عليها السلام، مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله حينما يتحدث عن فاطمة فإنه لا ينطلق من عاطفة الأبوة وهو القائل فيه البارئ عز وجل: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]،

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) النجم: ٣-٤.

وهوﷺ في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطي أحداً أكثر مما يستحقه تبعاً لعاطفته وحتى لو كان ذلك الإنسان ابنته، لأننا لو قلنا بذلك لطعنا في نبوته وكلماته القدسية التي نؤمن جميعاً بأنها حجة لا زيغ فيها ولا هوى. قال عبد الله بن عمرو ابن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللهﷺ فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: **أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق**[1]. إن النبي الأكرمﷺ لا ينطق إلا صدقاً وعدلاً فلنضع كلماته عن الزهراء نصب أعيننا ونحن نقرأ عن موقفها بعد وفاته ولا نترك للشيطان سبيلاً يتسلل منه؛ لأنّ فهمنا لهذه النقطة يمهد لنا السبيل لفهم موقف فاطمةعليها السلام.

أولاً: قول الرسولﷺ لها، كما أخرجه الحاكم في مستدركه، والطبراني، والهيثمي وغيرهم: «**إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[2]، وهذا القول الصادر من الرسولﷺ بحق فاطمةعليها السلام تلازمه العصمة؛ لأنه من المستحيل أن يناط غضب الزهراء بغضب الله سبحانه وهي غير معصومة؛ لأن القول بعدم عصمتها يعني إمكانية وقوعها في الزلل والخطأ وربما تغضب لغير الحق، والرسولﷺ في كلامه إطلاق بلا تقييد يعني أن الزهراءعليها السلام لن تغضب إلا لشيء يغضب الله بسببه، ومن كان غضبه يعني غضب الله فهو لن يفعل إلا الحق

(١) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج٢ ص١٩٢. سنن الدارمي، ج١ ص١٢٥.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٣ ص٢٠٣. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص٢٠٣.

ولن يخطئ أو يميل إلى الباطل طرفة عين، وبالتالي يمثل غضبه الحق، وفي الواقع إن هذا الحديث يدلل أنّ للزهراء مكانة عظيمة لا تدرك بالعقول ولبيان هذه العظمة التي من تجلياتها عصمتهاعليها السلام.

ثانياً: قول النبيصلى الله عليه وآله، (كما هو مسلم عند الفريقين من دون خلاف): (**فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها**)[1]، إنّ أذى الرسول يعني أذى الرسالة، أذى القيم والمبادئ؛ لأنهصلى الله عليه وآله هو محور الحق بل هو الحق الذي يجب أن نقتبس منه، إن الرسولصلى الله عليه وآله يمثل الإرادة الإلهية وهو قطب الرحى الذي به يعرف الموحد من المشرك والكافر إذ أن الله تعالى غيب لا ندركه بعقولنا وأوهامنا والارتباط به تعالى يكون عبر رسله وأنبيائه؛ لذلك كان مبعث الأنبياء وتولية الأوصياء، ولذلك لا يكون الرسول إلا معصوماً حتى لا يفترق عن الحق لحظة واحدة وبالتالي تكون كل تصرفاته حق وأذيته تعني التحدي للرسالة والإرادة الإلهية ولبيان هذه الحقيقة يقول القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[2]، وقد تقدم أن الرسولصلى الله عليه وآله عندما يتحدث عن شخص أو يدلي بأي حديث فمن منطلق مسؤوليته تجاه الرسالة وبالتالي يستبعد أي مجاملات أو تقريظ بلا حق، والمتفق عليه أن قول الرسولصلى الله عليه وآله وفعله وتقريره حجة، يعني شرع نتعبد به قربة إلى الله تعالى. وقد قالصلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني يعني هي جزء لا يتجزأ من كيانه وروحه

(١) صحيح البخاري، ج٦ ص١٥٨. صحيح مسلم، ج٧ ص١٤١. وغيرهم.

(٢) الاحزاب: ٧٥.

وهو كما قلنا محور الحق والشرع وبالتالي تكون الزهراءعليها السلام أيضا كذلك، لذلك جعل الرسول أذاها أذاه وكل شيء يريبها يريبه، وهو المعصوم الذي لا تميل به الأهواء ومن يكون جزءاً منه يؤذيه ما يؤذيه فهو أيضاً مؤهل أن يكون معصوماً. وبهذا التقريب نرى عصمة الزهراءعليها السلام جلية وواضحة فقط تحتاج إلى وجدان صاف سليم وعقل مستنير.

مكانة الزهراءعليها السلام

لم ترقَ امرأة إلى ما وصلت إليه فاطمة الزهراءعليها السلام ونالت السيادة المطلقة على النساء من لسان الوحي وتوسمت بهذا الشرف العظيم الذي يكشف عن الأبعاد والمؤهلات التي تتمتع بها فاطمةعليها السلام، فلقب سيدة نساء العالمين ليس نابعاً عن عفوية وإنما هو يحكي عن واقع فعلي تعيشه الزهراءعليها السلام، حيث طوت مراحل من الكمال يعجز لغيرها الوصول إليها. فقد أورد الترمذي في سننه كتاب المناقب عن حذيفة قال: أتيت النبيصلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال: من هذا حذيفة؟ قلت: نعم قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ ثم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم عليَّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة [1].

وعن عائشة أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبيصلى الله عليه وآله قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها. وقالت: وكانت إذا دخلت

(١) سنن الترمذي، ج٥ ص٣٢٦.

على النبي قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبيﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها [١].

وكان رسول اللهﷺ إذا سافر جعل آخر عهده فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة. وقد جاء في مسند أحمد بن حنبل أنّه قال: نظر رسول اللهﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين فقال: **أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم** [٢].

وأيضا عن النبيﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق [٣].

لا يخفى أنّ هذا غيض من فيض مع كثرة أحاديث الرسولﷺ حول بيان عظمة فاطمةعليها السلام مقارنة بما ورد في حقها، ولكن هذا القدر يكفي للعاقل حتى يتعرف على الزهراءعليها السلام التي أحاطتها العناية الإلهية من قبل ميلادها وكانت في جنة الخلد هنالك كان المبدأ، كما في رواية الإسراء والجنة هي النهاية كما علمت وما بين الانطلاقة الأولى من الجنة والمنتهى، لذلك أوصى الرسول بفاطمة كثيراً وحذر الناس من غضبها الذي يعني غضبه، بل وغضب الله عز وجل كما مرّ، وشهدت لها عائشة بأنها أصدق الناس لهجة فهي الصديقة، كما أن العناية الإلهية

(١) راجع: السنن الكبرى، النسائي، ج٥ ص٩٦.

(٢) مسند أحمد، ج٢ ص٤٤٢.

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٥٣

كان لها الدور المباشر في صياغة شخصية الزهراء فصار أذاها أذى الرسول الذي يعني أذى الرسالة، ونزل الوحي يجلجل بالتطهير كما جاء في آية التطهير، ورعاية الرسولﷺ الخاصة بفاطمة حتى أنّه عند قدومها يقبلها ويجلسها في مجلسه، وكذا العكس، ولا يخرجﷺ في سفر إلا أن يكون آخر من يودعه ابنته وأول من يسلم عليه عندما يعود هي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، إذاً كل فعل تفعله هو فعل أهل الجنة وكل موقف تقفه هو موقف أهل الجنة ولو نظرت في الجنة لرأيت نعيماً وملكاً كبيراً ويأتي المنادي غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة وتستقر في مقام محمود منه انطلقت وإليه تعود هذه المسيرة المقدسة، وهذه العظمة ألا تدفعنا للوقوف إجلالاً وإعظاماً لشخصية قدستها السماء وبارك مسيرتها أبوها صاحب رسالة السماء؟ لقد جسدت الزهراء تعاليم الوحي وسارت وفق هداه فكانت من الجنة إلى الجنة.

أكابر قريش تخطب فاطمة عليها السلام

لما كانت فاطمة عليها السلام ذات الشرف والمجد الرفيع والصفات الباهرة وهي تعيش في كنف أبيهاﷺ، فقد اتجهت الأنظار إليها، وكل يحدث نفسه بأن يحظى بالاقتران بها، لينال شرف الانتساب إلى أشرف خلق الله ويحظى بأفضل امرأة على مرّ التاريخ، فهي أعظم امرأة في شرفها ودينها وكمالها ومكانتها عند بارئها.لذلك تقدم لخطبتها مجموعة من أكابر قريش ومن جملتهم الخليفة الأول والثاني كما روى الهيثمي في الحديث المسند، عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبيﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي،

وقدمي في الإسلام، وأني، وأني... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجني فاطمة. قال فسكت عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر فقال له: هلكت وأهلكت. فقال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبيﷺ فأعرض عني، فقال: مكانك حتى آتي النبيﷺ فأطلب مثل الذي طلبت، فأتى عمر النبيﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وأني، وأني... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجني فاطمة. فسكت عنه.

فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها. قم بنا إلى علي حتى نأمره يطلب مثل الذي طلبنا. قال علي: فأتياني وأنا أعالج فسيلاً لي، فقالا: إنا جئناك من عند ابن عمك بخطبة، قال: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي حتى أتيت النبيﷺ فقعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله، قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي، وأني، وأني... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجني فاطمة. قال: (وعندك شيء؟). قلت: فرسي وبدني. قال: (أما فرسك فلا بد لك منه، وأما بدنك فبعها) قال: فبعتها بأربع مئة وثمانين، فجئت بها حتى وضعتها في حجره، فقبض منها قبضة، فقال: (أي بلال، ابعث ابتع بها طيباً). وأمرهم أن يجهزوها [(١)].

وذكر اليعقوبي في تاريخه، تقدم جماعة من المهاجرين لخطبتها إلى رسول اللهﷺ، فلما زوّجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولكن الله زوّجه [(٢)].

---

(١) أنظر: موارد الظمآن، الهيثمي، ج ٧ ص ١٧٠.

(٢) أنظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٤١.

الله يأمر بتزويج فاطمة من علي عليهما السلام

كما أنّ لفاطمةعليها السلام النصيب الأوفر من الرعاية الإلهية قبل مجيئها الى عالم الدنيا حسب ما أخبر عنه لسان الغيب مراراً وتكراراً، كذلك عاشتعليها السلام في الدنيا برعاية الله وأمره ولم يترك موقف من مواقفها إلا وكللته القدرة بالقدسية والإحسان، ومن جملة ذلك زواجها الميمون من علي بن أبي طالبعليه السلام، حيث تم أولاً بأمر من الله وقد أقيم لها حفل زفاف في السماء قبل الأرض، كما تشير إلى ذلك عدة روايات، منها: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال يا محمد إنّ الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك إنّي قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض [١].

وعن أنس رضي الله عنه قال بينما رسول اللهصلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال لعليٍّ هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت فنثرت عليهم الدر والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدر والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة [٢].

وأيضاً عن عمر بن الخطاب، أنه ذكر علياً، فقال صهر رسول اللهصلى الله عليه وآله نزل جبرائيل على النبيصلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي [٣].

---

(١) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٣١.

(٢) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص ٣١.

(٣) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ – ص ٢٨.

وقد ذكر اليعقوبي، في ذكر زواج فاطمةعليها السلام، قال: **زوجها رسول الله من عليٍّ بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوجته ولكن الله زوجه**(١).

وما جاء عن الخوارزمي: أنبأني أبو العلا الحافظ الهمداني،ثم عنعنه إلى الحسين بن عليعليهما السلام، قال بينا رسول اللهصلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كل رأس ألف لسان، يسبح الله ويقدسه بلغة لا تشبه الأخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبيصلى الله عليه وآله أنه جبرائيل، فقال يا جبرئيل؟ لم تأتني في مثل هذه الصورة قط قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثني الله إليك لتزوج النور من النور فقال النبيصلى الله عليه وآله من ممن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب، فزوج النبيصلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرائيل وميكائيل وصرصائيل، قال: فنظر النبيصلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب مقيم الحجة، فقال النبيصلى الله عليه وآله: يا صرصائيل منذ كم هذا كتب بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة(٢). فهذه الروايات وغيرها لا يفهم منها إلا اعتناء السماء والغيب بهذه الشخصية العظيمة التي لا مثيل لها من النساء على وجه البسيطة، وأنّها سر من أسرار الله تعالى.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٤١.

(٢) أنظر: المناقب، الموفق الخوارزمي، ص٣٤٠. وأيضا: الخصال، الشيخ الصدوق، ص٦٤، وغيرهم.

فلسفة زواج فاطمة من علي عليهما السلام

هذا الموقف النبوي المرتبط بالمشيئة الإلهية والوحي يلفت أنظارنا، ويلقي على أسماعنا هذه الأسئلة المهمة لماذا لم يرخص لفاطمة عليها السلام بتزويج نفسها؟ ولِمَ لم يرخص لرسول الله صلى الله عليه وآله (وهو أبوها ونبيها) بتزويجها، والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ولماذا خص زواج فاطمة عليها السلام بهذه الميزة؟ فلابد وأن يكون هناك سر وحكمة إلهية، ترتبط بهذا الزواج. إن هذا السر والاعداد لم يكن غامضاً، وهذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم وقرابة، فالأمر ذو علاقة بحياة هذه الأمة، والعلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة والإمامة، فشاء الله أن يزوج خيرة نساء هذه الأمة بخيرة رجالها.

فقد روي عن ابن عمير التميمي قال: دخلت مع عمي على عائشة فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة، قيل من الرجال؟ قالت: زوجها [(١)].

وروي عن أبي الحمراء أنه قال: رابطت في المدينة سبعة أشهر، فكان النبي صلى الله عليه وآله يأتي علياً وفاطمة كل غداة، فيقول: الصلاة، الصلاة، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [(٢)].

وروي عن ابن عباس قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ دخل علي بن أبي طالب فسلم، فرد عليه رسول الله السلام، وقام إليه وعانقه

---

(١) أنظر: أُسُد الغابة، ابن الأثير، ج٥ ص٥٢٢.

(٢) أنظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ج٤ ص٦٣٤.

وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحب هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عم والله، لله أشد حباً له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا [(١)]. وعلي عليه السلام هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي [(٢)]. وفاطمة عليها السلام هي التي قال لها النبي صلى الله عليه وآله: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة [(٣)]. هذه الروايات وغيرها تشير إلى أنّ هناك تكافؤاً بين علي وفاطمة عليهما السلام له أبعاد غيبية رسمت فيها المشيئة، وألقيت الحجة.

مقدار مهر فاطمة

لم نجد هناك اختلافاً في أنّ مهر فاطمة عليها السلام هو غير درع علي عليه السلام، وإنما وقع الخلاف في أنّه هل باعه واتى بثمنه، أو رهنه ثم فكه من حصته من الغنائم، أو أرجعه له النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك. كما يشهد للأول، هو عندما جاء علي عليه السلام خاطباً فاطمة سأله النبي صلى الله عليه وآله قائلا: فهل عندك شيء تستحلها به؟ فقلت: لا. فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي، ولكنها - والذي نفسي بيده - لحطمية ما ثمنها إلا أربعمائة درهم. قال: قد زوجتكها (بها) فابعث بها. فكان ذلك صداق فاطمة [(٤)].

---

(١) أنظر: ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص٦٧.

(٢) أنظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج١ ص ١٧٠.

(٣) أنظر: كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٢ ص ١١٠.

(٤) أنظر: كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٣ ص٦٨٣.

وقيل: باع درعه إلى عثمان بن عفان بأربع مئة وثمانين درهماً، فصبها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله.

ويشهد للثاني ما رواه الدولابي بسنده عن الحارث (الهمداني) عن علي عليه السلام قال: خطب أبو بكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى رسول الله عليهما. فقال عمر: أنت لها يا علي. فقلت: ما لي من شيء إلا درعي أرهنها. ولعله عليه السلام أرهنها وثيقة لاستدانته مبلغ المهر وأدى دينه بعد بدر من سهمه من غنائمها [(١)].

ويشهد للثالث، هو بعدما سأله النبي صلى الله عليه وآله عن المهر فقال: ما عندي يا رسول الله شيءٌ إلا درعي فزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله على اثنتي عشرة أوقية ونش ودفع إليه درعه، فقال له رسول الله: هيئ منزلاً حتى تحول فاطمة إليه [(٢)].

وكيف كان بعد أن قرت عين الزهراء بهذه الخطبة السعيدة، وزوج الله فاطمة علياً، أراد رسول الله، أن يعلن لعامة المسلمين هذا النبأ العظيم، فأمر أنس بن مالك أن يجمع فئة من الصحابة ليعلن عليهم نبأ تزويج فاطمة لعلي عليه السلام، قال أنس: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده كلهم، وأخذوا مجالسهم، ثم قال صلى الله عليه وآله: إن الله قد أمرني أن أزوج فاطمة على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذاك، فقال عليه السلام: قد رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس بن مالك: فقال النبي صلى الله عليه وآله: جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب [(٣)].

---

(١) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) راجع: إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج ١ ص ١٦٠.

(٣) أنظر: مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص٢٠٧.

تاريخ زواج فاطمة عليها السلام

ذكر المؤرخون أن الزهراء عقدت لعلي عليه السلام لليلتين بقيتا من شهر صفر بعد الهجرة، وبعضهم قال: بعد سنة من الهجرة، وبعضهم قال: في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وهو يقصد البدء بالسنة الثانية من المحرم، وجاء في الكافي عن سعيد بن المسيّب قال: فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام فمتى زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليه السلام فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين[١].

وأما بناء علي عليه السلام بها أي الزفاف: فقد نقل الطبري عن الواقدي بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً. كما رواه الدولابي في الذرية الطاهرة عن الصادق عليه السلام أما عن اليوم فقد عينه المفيد في مسار الشيعة والطوسي في المصباح باليوم الأول منه[٢].

الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليها السلام

إنّ زفاف فاطمة عليها السلام يختلف عن غيره، حيث حفته جملة من الكرامات وقد شارك فيه النبي صلى الله عليه وآله مع أفواج من الملائكة المقربين وغيرهم، فقد ورد عن أسماء بنت عميس[٣]، أنها قالت: كنت فيمن زفت فاطمة إلى علي عليه السلام، فلما

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨ ص ٣٤٠.

(٢) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ٢ ص ٢١١.

(٣) ربما المراد هنا سلمى بنت عميس ليس أختها أسماء، لأنها كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليهما السلام، ولم تعد هي ولا زوجها إلا يوم فتح خيبر وذلك في سنة ست من الهجرة، ←

دخلت بيتها اقبل رسول صلى الله عليه وآله حتى دخل عليها، فدعا بماء، فذكر اسم الله عليه، ثم شرب منه، ومج من الماء فيما بين درع فاطمة وبدنها، ثم مج منه أيضاً فيما بين سربال علي وبدنه ثم قال: اللهم أحفظ أهل البيت، وبارك فيهم وبارك عليهم، واجعلهم مباركين أين كانوا[(١)].

وعن الفضل بن دكين، باسناده، عن عبد الله بن عباس، أنه قال لما زفت فاطمة إلى علي عليهما السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله قدامها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر[(٢)].

فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة

لم تكن السيدة الزهراء عليها السلام كغيرها من النساء من أنّها امرأة عرفها التاريخ بآدابها وأدبها وبطولاتها وعاشت حياتها ثم اندرست شخصيتها وكل معالمها، ولا يقال عنها شيء في صفحات التاريخ إلا أنّها بنت رسول الله وحليلة أمير المؤمنين عليه السلام، بل تبقى السيدة الزهراء عليها السلام قدوة ومنهاجاً للنساء في شتى المجالات، فهي قدوة للبنت الرشيدة اللبيبة المطيعة لوالديها وأوليائها فعليها أن

ولم تشهد الزفاف لأنه كان في ذي الحجة من سنة اثنتين. والتي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس، وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب، ولكن كانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها، أو سهى راو واحد فتبعوه. راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ٢ ص ٢١٧.

(١) أنظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج٣ ص٢٨.

(٢) أنظر: إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج٣ ص٩٢. وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٥ ص٢١١.

تنتهج من حياة الزهراء عليها السلام والتي ارتقت فيها كي تكون أمّاً لأبيها على لسان الوحي، كما تكون قدوة للمرأة الواعية المثقفة المؤمنة وقدوة للأم الكاملة وللزوجة الصالحة، فعلى المرأة الواعية أن تقرأ حياة الزهراء العلمية والسياسية والمعنوية كي تتخذ منها منهاجاً ترسم به مستقبلها ومستقبل الأمة، وعلى الأم أن تقرأ حياة الزهراء عليها السلام مع أولادها وكيف كانت تتعامل معهم كي تصبح أمّاً كاملة قد قدمت للأجيال من يُسعدها، وعلى الزوجة أيضاً أن تقرأ حياة السيدة فاطمة عليها السلام مع زوجها وكيف كانت غاية في حسن التبعّل والاحترام المتبادل والمحبة الدائمة لاسيما في تلك الظروف البسيطة والأليمة حيث ذكروا عندما انتقلت فاطمة عليها السلام إلى بيت علي عليه السلام ذاك البيت البسيط لم يكن فيه شيء حتى من ضروريات ومستلزمات الحياة فأخذت تعتني بشؤون منزلها وتدير حوائجها بالاعتماد على جهودها فلم يكن لديها خدم ولا عبيد ولا غير ذلك فكل حياتها كدح وجهاد، فقد كانت تطحن الشعير وتدير الرحى بيدها وتصنع أقراص الخبز بنفسها وتكنس البيت وتدير مستلزمات الأسرة وكان النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام يشاهدان كل ذلك منها ويشاركانها العناء، بل كانا يساعدانها في أعمال المنزل، فقد ذكر التاريخ صوراً ولو أنّها قليلة من الحياة العائلية الفريدة التي كانت تعيشها فاطمة مع زوجها وأولادها، كما ورد عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من حملة الإبل فلما نظر إليها (بكى) وقال يا فاطمة تعجلي فتجرعي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله ﴿**وَلَسَوْفَ**

يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[١].

وأيضا دخل النبيﷺ على فاطمة وهي تطحن مع عليعليه السلام، فقال النبيﷺ: لأيكما أعقب؟ فقال عليعليه السلام: لفاطمة؛ فإنها قد أعيت، فقامت فاطمة، فطحن النبيﷺ مع علي لفاطمة[٢].

وأيضا يذكر لنا التاريخ صورة أخرى للزهراءعليها السلام في معاناتها وعملها في بيتها البسيط، فقد روى المجلسيرحمه الله بينما النبيﷺ والناس في المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتي فيؤذن إذ أتى بعد زمان فقال له النبيﷺ: ما حبسك يا بلال؟ فقال: إني اجتزت بفاطمةعليها السلام وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرحى وهي تبكي، فقلت لها: أيما أحب إليك إن شئت كفيتك ابنك، وإن شئت كفيتك الرحى، فقالت: أنا أرفق بابني، فأخذت الرحى فطحنت فذاك الذي حبسني، فقال النبيﷺ: رحمتها رحمك الله[٣].

وغيرها من الروايات التي ترينا حياة الزهراءعليها السلام الاجتماعية مع زوجها وأولادها وجيرانها، ونحن لا نريد أن نأخذ ألفاظاً جامدة أو روايات فارغة وإنّما نقف عندها مقتبسين ومستلهمين الدروس والعبر، فعلى البنت والزوجة والأم أن تجعل الزهراءعليها السلام وسيرتها قدوة ومنهاجاً في حياتها الزوجية والاجتماعية وغيرها كي تحظى بالسعادة الأبدية.

---

(١) أنظر: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٦ ص٣٦١.

(٢) أنظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج٩ ص٣٧٢.

(٣) أنظر: مسند أحمد بن حنبل، ج٣ ص١٥١. وذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبري، ص٥١.

كذبة بيضاء

بعد ما ثبتت أذية وغضب فاطمة عليها السلام في الكتب المعتبرة والصحيحة عند القوم، بما فيها صحيح البخاري، حيث قال: عندما جاءت فاطمة تطالب بإرثها قال لها أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت [1]. ولا ريب أنّ هذا يلزم منه غضب وأذية الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثم أذية الله وغضبه؛ لأنّه ثبت أيضا في الصحاح وغيرها، من آذى فاطمة فقد آذى النبي صلى الله عليه وآله، ومن أغضبها فقد أغضب النبي صلى الله عليه وآله كما جاء عنه في هذا المجال كثير من الروايات من جملتها: فاطمة بضعة منّي من أغضبها فقد أغضبني، (وفي صحيح مسلم يؤذيني ما آذاها) [2]، وأذية النبي صلى الله عليه وآله وغضبه يلزم منها أذية الله وانتقامه بصريح الآية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [3]. فمن هذا وغيره لم يجدوا مفراً ومهرباً إلا افتعال وسيلة للهجوم كي يلتجئوا خلفها ويتحصنوا بها، حيث قالوا إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام خطب بنت أبي جهل في حياة فاطمة عليها السلام وحينما وصل الخبر لفاطمة غضبت وتأذت، وهذا يعني أنّ علياً قد أغضب وآذى فاطمة، ومن ثم يشمله الحديث في أنّه قد آذى فاطمة، وكأن علياً أصبح حكراً للشيعة حتى

(١) أنظر: صحيح البخاري، البخاري، ج ٤ ص ٤٢.

(٢) أنظر: صحيح البخاري، ج٤ ص٢١٠. وصحيح مسلم، ج٧ ص١٤١.

(٣) الأحزاب: ٥٧.

ينقضوا به، ولم يكن خليفة وقدوة للمسلمين، ومن حسن الحظ أنّ هذه الرواية التي افتعلوها لا تنسجم مع الضوابط العامة سواء في سندها أم دلالتها، حتى أن الصحابة ومن جملتهم ابن عباس أنكرها وقال في محضر الخليفة الثاني هذه من الخواطر، بل حتى المنافقين والأعداء لم يتخذوها ذريعة للتشنيع والتهويل، بالإضافة إلى أنّ بطل هذه الأسطورة والراوي لها المسور بن مخرمة لم يتجاوز عمره الست سنوات حتى أخذوا يبررون هذا النقص الفني الذي اتضح فيما بعد بأنّه وإن لم يكن محتلماً ولكنه عاقل، فتجاوزوا الخطوط الحمراء عندهم في علم الرواية كي يمرروا هذه الأكذوبة على الأذهان والتاريخ ولو بالتخلي عن مبادئهم وضوابطهم، مع كل ذلك أنّ الروايات الواردة في هذا الشأن مختلفة ومتناقضة. ولو سلمنا أن لها حظاً من الوجود ولو جدلاً فلماذا يتأذى النبي وكذا الزهراء من أمر قد شرعه الله وجعله من المستحبات، مع عدم دخول الولاية هنا حيث إنّه صلى الله عليه وآله يقول لست أحرم حلالاً ولا احل حراماً، فكيف ينهى علي بالزواج بالثانية، ويأمر بطلاق فاطمة من علي وعصمتها بيد زوجها لا غير، ولماذا اختار الله علياً زوجاً لفاطمة ولولاه لما كان لها كفءٌ فكيف يختار لها من يؤذيها وهو يعلم أنّه يؤذيها؟ وكيف يقدم علي على أذية فاطمة وهو يعلم ما قال فيها الله ورسوله، بل كيف يقدم على معصية الله وهو يعلم أنّ الله حرّم عليه النساء في حياة فاطمة عليها السلام كما سيأتي، وقد نص القرآن والسنة والعقل على عصمته، وما كان في هذه المرأة بنت أبي جهل من خصوصيات وهي بنت الطلقاء حتى يقدم عليها علي، كي يجعل النبي صلى الله عليه وآله يصعد المنبر وينشر الخبر على الناس من دون أن يواجه الإمام

علياً عليه السلام، وغيرها من الأسئلة التي لا تنتهي، لكن أريد أن اختم الكلام هنا، من أنّ النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق إلا عن الوحي قال بعلي عليه السلام ما لم يقله بغيره وكشف الله عنه أنّه نفس النبي صلى الله عليه وآله وطاعته طاعة النبي ومعصيته معصية النبي وطاعة ومعصية النبي صلى الله عليه وآله طاعة ومعصية الله، وقال الحق مع علي وعلي مع الحق، وغيرها من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بحق علي عليه السلام وقد يصعب عدّها، وهي تؤكد أنّ علياً عليه السلام لا يعتريه الخطأ والزلل وكل فعله حق وعين ما أراده الله ورسوله، فلو سلمنا بهذه الأسطورة ألا يلزم من ذلك إما التوهين بالنبي صلى الله عليه وآله وأنّه أخطأ في تقييمه للإمام علي عليه السلام وهو مستحيل بعد ما ثبت أنّه لا ينطق إلا عن الله، وإمّا أنّ نكذب ونطرح كل هذه الروايات التي تكشف عن أبعاد علي عليه السلام بل حتى الآيات التي كللت الإمام علي عليه السلام بالعصمة فتكون المصيبة أعظم، فلا سبيل الى تمرير هذه الأسطورة لا من بعيد ولا من قريب. ونحن قد اختصرنا الرد هنا؛ لأن المسألة لا تستحق أكثر من ذلك من حيث جلاء كذبها وضعف متنها.

حرمة الزواج على علي في حياة الزهراء عليها السلام

إنّ للسيدة الزهراء عليها السلام خصوصيات كثيرة سواء كانت في المجال التكويني من قبيل أنها لم ترَ دم حيض أو نفاس وغير ذلك، أم في المجال التشريعي من قبيل حرمة الزواج عليها في حياتها، كما أشار لذلك بعض الأعلام بقوله: الظاهر أنه لا خلاف بين المسلمين في اختصاص هذا الحكم بفاطمة عليها السلام دون غيرها من أخواتها (أو ربائبه كما ثبت عندنا) وساير النساء، ولم يفت أحد من أهل العلم فيما أعلم بعدم جواز النكاح على ساير بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس هذا إلا لما

حازته عليها السلام من الفضلية والكرامة والدرجة الرفيعة عند الله تعالى، واختصاصها بفضائلها المشهورة، دون غيرها من النساء. ولو كان علة حرمة نكاح امرأة أخرى عليها، اجتماع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبنت عدو الله مكاناً واحداً، لاشتركت معها في هذا الحكم أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، ولما يجوز نكاحهن من أبي العاص بن ربيع، وعتبة، وعتيبة ابني أبي لهب في حال كفرهم، بل لما يجوز نكاحهن بمن كان قبل الإسلام مشركاً كافراً[(١)].

والدليل على اختصاص الزهراء عليها السلام بهذا الحكم، أولاً: ما ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **حرم الله النساء على علي عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حية** قال: قلت كيف؟ قال: **لأنها طاهرة لا تحيض**[(٢)].

وقال المجلسي رحمه الله أنّ هذا التعليل يحتمل وجهين: الأول أن يكون المراد أنها لما كانت لا تحيض حتى يكون له عليه السلام عذر في مباشرة غيرها، فلذا حرم الله عليه غيرها رعاية لحرمتها. الثاني أن يكون المعنى أن جلالتها منعت من ذلك وعبر عن ذلك ببعض ما يلزمه من الصفات التي اختصت بها[(٣)].

وثانيا: يمكن أنّ تكون الحرمة هنا من باب عدم وجود الكفء للسيدة الزهراء عليها السلام بما أنّها معصومة ليس لها عدل من النساء إطلاقاً، حيث لو رجعنا إلى فلسفة حرمة الزواج الدائم بالكافرة هو عدم كفئها للمسلمة فلا تستحق أن تكون

---

(١) أنظر: لمحات، الشيخ لطف الله الصافي، ص ٢٦٤.

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٧ ص ٤٧٥.

(٣) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٣ ص١٥٣.

عـدلاً لهـا كـي تـوزع بينهمـا الحقـوق والأيـام وغيـر ذلـك، فكـذلك لا تكـون للزهـراءعليها السلام عـدل ولـو كانـت مـسلمة وهـي سـيدة نـساء العـالمين مـن الأولـين والآخرين.

وهذا بحدّ ذاته يكون ردّاً قاطعاً على أسطورة بنت أبي جهل المتقدم ذكرها فتكون سالبةً بانتفاء الموضوع، من حيث إنّ الزواج محرم على عليعليه السلام كحرمـة غيره من المحرمات فكيف يجوز أن يقدم على أمر قد شرع الله حرمته على فرض وصول الحكم إليه، وإن لم يكن قد وصل إليه فلا يؤاخذ بـشيء مـن ذلـك لا مـن جهة النبيصلى الله عليه وآله ولا من جهة الزهراءعليها السلام. وكيف كان قد تنزلنا وتجارينا مع القـوم إلى أدنى المستويات التي لا ينبغي أن تقال وإلا علي بن أبي طالبعليه السلام أجلُّ مـن كل ما يقال عنه وقد وصفه المولى تعالى أنّه نفس النبيصلى الله عليه وآله ووصفه النبـي أنّـه لا يعرفه إلا الله ورسوله.

إشكال وجواب

ذُكر عن محمد بن أبي القاسم أنّه قال: هذا (الخبر) من جملـة خبـر الآحـاد، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ**﴾[1] ولا يجوز تحريم ذلك في حق أحد إلا بسنة قاطعة أو آية محكمـة[2]. وذلـك لأنّ القرآن قطعي الصدور، وهو يصرح بجواز الـزواج مـن الثانيـة وحتـى الرابعـة لكـل المسلمين بما فيهم علـي بـن أبـي طالـبعليه السلام، وهـذا الخبـر الواحـد، الـذي يحـرم

(١) النساء: ٣.

(٢) أنظر: بشارة المصطفى، محمد بن علي الطبري، ص ٣٨١.

الزواج من عليعليه السلام في حياة الزهراءعليها السلام هو في حد ذاته ظن ولكن الشارع جعله حجة في المسائل الشرعية أو العقائد الثانوية، فعندما نقارن بينه وبين الآية تكون مقارنةً في الحقيقة بين ظن ويقين، ولا ريب أنّ المسألة اليقينية تبقى ثابتة ولا تخصص أو تنسخ إلا بيقين آخر وليس بظن كما هو في المقام.

والجواب

قد جاء عن بعض الأساطين أنّه لا يوجد خلاف بين أصحابنا في جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، نعم هناك خلاف في المسألة عند أبناء العامّة منهم من ذهب إلى عدم جواز التخصيص والآخر الى جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، ومنهم من توقف في المسألة كالباقلاني [(١)].

وأمّا الدليل على جواز التخصيص، هو أنّ التخصيص للكتاب إنمّا هو في الدلالة لا في الصدور وهي ظنية أيضاً، فيكون رفع ظني بظني ليس رفع يقين بظني كما توهم المستشكل. وإنّ شئت قلت: إنّه رفع يد عن قطعي بقطعي، بتقريب أنّ خبر الواحد بعد فرض حجيته وشمولها للمقام يكون قطعي الحجية فقد رفعنا اليد عما هو قطعي الحجية وهو الكتاب بما هو قطعي الحجية وهو خبر الواحد.

بعبارة أوضح: أنّ العموم في نفسه وإن كان شموله للمورد ظنياً من قبيل قوله تعالى: (**وحرم الربا**) شمول للربا بين الوالد وولده ظني إلا أنّ أصالة العموم جعلت شموله لكل فرد من أفراده حجة قطعية معذرة لولا المخصص الذي جعل

---

(١) أنظر: غاية المأمول من علم الأصول، تقريرات بحوث السيد الخوئيرحمه الله، للشيخ محمد تقي الجواهري، ج٢ ص٦٧٠. ومحاضرات في أصول الفقه، تقريرات بحث السيد الخوئي، للفياض، ج٥ ص٣٠٩.

الشارع له الحجة كخبر الواحد، من قبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام: **ليس بين الرجل وولده ربا وليس بين السيد وعبده ربا**[1]. فهو حجة قطعية، فيكون المقام هنا وكذا في مسألتنا من قبيل العام والخاص القطعيّين، فإنّ الخاص قرينة على عدم العموم فهو مقدم عليه تقدم القرينة على ذيها. فعندما حصل عموم أفرادي في الآية في جواز أو استحباب لكل الأفراد من الزواج بالثانية وحتى الثالثة الى الرابعة مع توفر الشروط اللازمة في محلها خُص هذا العموم بحق علي عليه السلام في حال حياة الزهراء عليها السلام لوجود خصوصية خاصة فيها، وربما أشارت الرواية الى هذه الخصوصية وهي أنّها طاهرة أي معصومة ولا تحيض لا تعتريها النجاسات كما هو الحال في النساء، فهي متكاملة من الناحية المعنوية والمادية.

مصحف فاطمة عليها السلام

من تراث فاطمة عليها السلام هو المصحف الخاص بها المعبر عنه في لسان الروايات بمصحف فاطمة، وذلك بما أملته عليها الملائكة بإذن الله، كما في المعتبرة في الكافي: «أنّ ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها، ويسليها ويحدثها بما يكون من الأمور، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك الحديث، فسمي ما كتب، مصحف فاطمة عليها السلام، فهو ليس قرآناً كما توهم، ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام، فإن هذا التوهم مخالف للنصوص. ولا غرابة في حديث الملائكة مع الزهراء عليها السلام فقد ذكر القرآن أن الملائكة حدثت مريم ابنة عمران، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ**

(١) الكافي، الكليني، ج٥ ص١٤٧.

عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾[1]، ومن المعلوم أفضلية الزهراء على مريم ابنة عمران، كما ورد في النصوص المعتبرة، من أنّ مريم سيدة نساء عالمها، وأنّ فاطمة سيدة نساء العالمين.

عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال:إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، ثم قال أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون [2].

وعن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال: له فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها، حتى أرش الخدش قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال، فسكت طويلا ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ٢٤٠.

ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام [(١)].

ولفظ المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاص، وإنما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار. والمصحف: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، كما جاء في لسان العرب، المصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأزهري: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، قال الفراء: يقال مِصحف ومُصحف كما يقال مِطرف ومُطرف، قال: وقوله مصحف من أصحف أي جمعت فيه الصحف وأُطرف جعل في طرفيه العلمان [(٢)].

وعليه إنما سمي المصحف مصحفاً، لأنه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن في عصر نزوله، وإنما صار علماً له بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله. قال السيوطي: روى ابن أشتة في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف، قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف [(٣)].

(١) الكافي، الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٤١.

(٢) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ٩ ص ١٨٦.

(٣) أنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج١ ص١٤٦.

أسماء فاطمة عليها السلام

إن للسيدة الزهراء عليها السلام أسماء نزلت من السماء، وتحت كل اسم أسرار كما نطقت بها الأخبار، ولكل منها جهة تسمية بل جهات سميت بها بذلك الاعتبار، ونحن نذكر قسماً منها، مع جملة من الأخبار الواردة فيها، ومرادنا من الأسماء هنا أعم من الاسم واللقب والكنية على نحو ما ورد في الأخبار المروية.

سبب تسميتها بفاطمة

قد ورد في سبب تسميتها بذلك أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة، في أنها سميت بذلك؛ لأن الله تعالى قد فطم من أحبها من النار، وغيرها من الأسرار الكامنة تحت هذا الاسم المبارك.

كما عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: لما ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سماها المنصورة، فنزل جبرائيل، فقال: يا محمد، الله يقرئك السلام، ويقرئ مولودك السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحب إلي منها، وأنها قد لقبها باسم خير مما سميتها، سماها فاطمة، لأنها تفطم شيعتها من النار [1].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام انّه قال: سميت فاطمة، فاطمة؛ لأن الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوج في الأحياء، وأنهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمة سماها الله تعالى فاطمة لما أخرج منها من ولدها، فجعل الوراثة في أولادها، فقطع غير أولادها عما طمعوا،

---

(١) أنظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٣ ص ٤٣٩.

فبهذا سميت فاطمة أي فطمت طمعهم وقطعت [١].

وروى يزيد بن عبد الملك عن الباقر عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك، فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة، وقال: إني قد فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تعالى بالعلم وعن الطمث في الميثاق [٢].

وفي رواية: أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أتدرين لم سميت فاطمة؟ فقال علي عليه السلام: يا رسول الله لم سميت فاطمة؟ قال: لأنها فطمت هي وشيعتها من النار [٣].

سبب تسميتها بالزهراء

هناك عدة روايات تكشف لنا سبب تسميتها بهذا الاسم، وانّه مقتبس من واقعٍ تتمتع وتتصف به الزهراء عليها السلام، كما ورد عن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام لم سميت زهراء؟ فقال عليه السلام: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض [٤].

وعن العسكري عليه السلام: سميت فاطمة زهراء لأنه كان نور وجهها يزهر لأمير

(١) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٧٨.

(٢) أنظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص ٤٦٠.

(٣) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٧٩.

(٤) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٦٤.

المؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدري [(١)]. وفي خبر آخر أنّه حدث عند ولادتها في السماء نور ظاهر لم تره الملائكة قبل ذلك [(٢)].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّي رأيت ليلة الإسراء امرأة في الجنة في غاية البهاء والجلالة قد بهر نورها جميع الموجودات، وهي جالسة على سرير من أسرة الجنة، وعلى رأسها تاج مكلل، وفي أذنيها قرطان يزهران لأهل الأرض والسماء، أحدهما من الزمردة الخضراء والآخر من الياقوتة الحمراء، فسألت جبرئيل عنها فقال: هذه بنتك فاطمة الزهراء، والتاج على رأسها هو علي بن أبي طالب عليه السلام زوجها، والقرطان في اذنيها الحسن والحسين عليهما السلام ولداها [(٣)].

وروى جابر عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: لم سميت الزهراء زهراء؟ فقال: لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرضين، وغشيت أبصار الملائكة، وخرت الملائكة لله تعالى ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء، واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري، ويهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وصي نبيي [(٤)].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص١١٠.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٦٩٢.

(٣) اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري، ص١٠٥.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٨.

سبب تسميتها بالصديقة

هذا الاسم معروف على لسان أهل البيت عليهم السلام وقد سماها به الله تبارك وتعالى إجلالاً وإكراماً لمقامها السامي ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما آتاه الله ورسولهﷺ. والصديقة صيغة مبالغة في الصدق والتصديق أي أنها سلام الله عليها كثيرة الصدق، ولقد ورد في كتب اللغة معنى التصديق والصدق حيث قيل: إن الصديق أبلغ من الصدوق، وقيل: إنه الكامل في الصدق الذي يصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق، وقيل: إنه من لم يكذب قط، وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله [(١)].

وأياً كان منها معنى الصّديق فإن فاطمة الزهراءعليها السلام تنطبق عليها جميع الأقوال فهي سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجبه الحق جل وعلا حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يدخلها في أي شيء من ذلك أي شك كان وكانت المصداق الأفضل مع أوليائه المعصومين، لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾ [(٢)]. وقوله تعالى: ﴿**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾ [(٣)]، حيث فسرت كلمة صديقة في هذا الآية المباركة بأنها تصدق بآيات ربها، ومنزلة والدها وتصدقه فيما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا**

(١) أنظر: تاج العروس، الزبيدي، ج١٣ ص٣٦.

(٢) الحديد: ١٩.

(٣) المائدة: ٧٥.

﴿وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[(١)]، وقيل: لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها وعلى كل حال فإن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الصديقة الطيبة التي صدقت بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى وكانت المؤمنة بكل عقائدها الربانية والتي كانت تعمل على ضوء تلك العقائد والمعتقدات، ولقد جاءت الروايات الكثيرة لكي تؤكد على هذه الحقيقة الواضحة للزهراء عليها السلام فلقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل: يا علي، إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة، ثم ضمها إليه وقبل رأسها، وقال: فداك أبوك يا فاطمة[(٢)].

وعن مفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، فكأنما استضقت (استفظعت) ذلك من قوله، فقال لي: كأنك ضقت مما أخبرتك به، فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك، فقال: لا تضيقن فإنها صديقة لم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى؟[(٣)]. وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال لعلي عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتيهن أحد ولا أنا أوتيت، صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني[(٤)].

---

(١) التحريم: ١٢.

(٢) أنظر: الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ج٢ ص٩٣. وبحار الأنوار، المجلسي، ج٢٢ ص٤٩١.

(٣) انظر: الكافي، الكليني، ج١ ص٤٦٠. ووسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢ ص٧١٤.

(٤) انظر: الغدير، الميني، ج٢ ص٣١٢.

وعـن أبـي الحـسن عليه السلام قـال: إنّ فاطمـة عليها السلام صـديقة شـهيدة [(١)]. وقـال الـصادق عليه السلام: وهـي الـصديقة الكبـرى، وعلـى معرفتهـا دارت القـرون الأولـى [(٢)]. وغيرهـا مـن الروايـات التـي تبـين الأبعـاد المعنويـة لهـذه الـصفة التي تتمتـع بهـا الزهراء عليها السلام.

سبب تسميتها بالمباركة

وهـو مـن الأسـماء التـي وردت أيـضاً عـن لـسان المعـصوم عليه السلام لفاطمـة الزهراء عليها السلام عند الباري عز وجل، والظاهر مـن خـلال سـيرتها عليها السلام ومـا تركـت مـن ذرية طيبة من بعدها أن مسألة البركة واضحة البرهـان فـي حياتهـا الواقعيـة، حيـث نجد أن ذرية كل رسول من ولده وخصوصا الـذكور إلا نبينـا محمـد صلى الله عليه وآله حيـث كانت ذريته من ابنته المباركة فاطمة عليها السلام، وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائي في حياة الرسول وأهل بيته عليهم السلام. وعندما نراجع كتب اللغة لنرى مدى انطباق معنى المباركة أو البركة على حياتها الشخصية وما تركته في هذه الـدنيا، فلقـد ورد فـي معنى كلمة البركة هي النماء والزيادة، وعـن الزجـاج: المبـارك مـا يـأتي مـن قبلـه الخير الكثير. وقيل: إن البركة: هي النمـاء والـسعادة والزيـادة وقـال الراغـب: ولمـا كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحبس، وعلى وجـه لا يحـصى ولا يحـصر، قيل: لكل ما يشاهد منه زيادة محسوسة هو مبارك فيه وفيه بركة [(٣)].

---

(١) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٤٥٨.

(٢) انظر: الامالي، الشيخ الصدوق، ص٦٦٨.

(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج١٣ ص٥١٥.

ولا شك ولا ريب ومن خلال استقراء حياة فاطمة عليها السلام قبل وبعد وفاتها أنها هي الخير الكثير الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ولقد انطبقت عليها هذه المعاني لكثرة بركتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته وعلى شيعة أمير المؤمنين، فأي بركة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل فاطمة والتي على معرفتها دارت القرون الأولى، وأي بركة أكبر وأفضل من بركة فاطمة عليها السلام على الشيعة وخاصة في هذه الحياة الدنيا حيث كانت الوعاء الأكبر للإمامة التي مثلت أفضل مصاديق الولاية الكبرى وأي بركة أفضل منها عندما تأتي يوم القيامة وتخلص شيعتها ومحبيها من عذاب النار ولقد طفحت كتب السيرة والتاريخ دلالة على كثرة بركة فاطمة الزهراء عليها السلام وكذلك الكتب الروائية والكلامية والتفسيرية حيث أظهرت من خلال طيات صفحاتها هذه الصفة الواردة فيها، وتصديقاً لهذا الكلام ترى في العالم اليوم ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام الذين هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله منتشرين في بقاع العالم، ففي العراق حوالي مليون، وفي إيران حوالي ثلاثة ملايين، وفي مصر خمسة ملايين، وفي المغرب الأقصى خمسة ملايين، وفي الجزائر وتونس وليبيا عدد كثير، وكذلك في الأردن وسوريا ولبنان والسودان وبلاد الخليج والسعودية ملايين، وفي اليمن والهند وباكستان والأفغان وجزر اندونيسيا حوالي عشرين مليوناً، وقل أن تجد في البلاد الإسلامية بلدة ليس فيها أحد من نسل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويقدر مجموعهم بخمسة وثلاثين مليوناً، ولو أجريت إحصائيات دقيقة وصحيحة فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار[(١)].

---

(١) انظر: الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص٤٠١.

سبب تسميتها بالطاهرة

من الأسماء الجميلة والتي تدل على معنى يصبو إليه كل مؤمن، هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سميت به فاطمة عليها السلام، وقد دلت عدة روايات في هذا الباب على مدى طهارتها عليها السلام، هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التي أيدت هذه المعنى، وأفضل دليل على طهارتها هو آية التطهير، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[(١)]، فهي عليها السلام مطهرة نقية مبرأة من كل الأرجاس الظاهرية والباطنية، وإليك بعض الأحاديث والشواهد التي تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرية أو الباطنية، فقد ورد عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: إنما سميت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله الطاهرة لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رفث، وما رأت قط يوماً حمرة ولا نفاساً[(٢)].

وعن الصادق عليه السلام قال: **إن الله حرم النساء على علي ما دامت فاطمة حية، لأنها طاهرة لا تحيض**[(٣)].

وقوله صلى الله عليه وآله: **ألا** إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال **إلا** على محمد وأهل بيته عليهم السلام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[(٤)].

و ما جاء في غسلها ووصيتها عليها السلام قبل الوفاة، وهو أدل دليل وأقوى حجة على

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) أنظر: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٦ ص٦٠٨. وبحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣ ص١٩.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج٧ ص١٧٥.

(٤) انظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج٧ ص٦٥.

أنها كانت طاهرة ميمونة في حياتها وبعد مماتها، ولم يحدث الموت فيها رجاسة ولا دناسة، مع أنك تعلم أنه مما لا خلاف فيه تنجس البدن بعد الموت وبعد خروج النفس عنه، ولأجل ذلك لا بد أن يغسل الميت حتى يطهر بدنه وينظف جسمه، إلا أن سيدة النساءعليها السلام أوصت أن لا يكشفها أحد، وأن تدفن بغسلها قبل الوفاة.

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمى (زوجة أبي رافع) قالت: اشتكت فاطمة شكواها التي قبضت فيها، فكنت أمرضها، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، قالت: وخرج علي لبعض حاجته، فقالت: يا أمة اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغسل، ثم قالت: يا أمة أعطيني ثيابي الجدد، فأعطيتها، فلبستها، ثم قالت: يا أمة قدي لي فراشي وسط البيت، ففعلت، واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، ثم قالت: يا أمة إني مقبوضة الآن وقد تطهرت، فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها. قالت: فجاء علي فأخبرته [(١)].

وقال الأربلي: واتفاقهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافه عجيب، فإن الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلا بعد الغسل إلا في موضع ليس هذا منه، ولعل هذا أمر يخصهاعليها السلام [(٢)]. نعم إنهاعليها السلام كأبيها في طهارتها كما تقدم عن الصادقعليه السلام إنه لما سئل: هل اغتسل علي حين غسل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: النبي طاهر مطهر ولكن اغتسل عليعليه السلام وجرت به السنة [(٣)].

(١) انظر: مسند أحمد، الأمام أحمد بن حنبل، ج٦ ص٤٦١.

(٢) انظر: كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج٢ ص١٢٥.

(٣) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، ج٣ ص٢٣١.

تسميتها بالراضية

من الأمور المهمة والتي تكون ذا أهمية كبيرة في معرفة درجة أيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى حتى يصل في النهاية إلى مرحلة إيمانية عالية جداً، وكما ورد في دعاء كميل: (وتجعلني بقسمك راضياً قانعاً) أي أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا في كل ما يقسمه له سواء من خير أو بلاء أو غير ذلك، وعلى غرار هذا وردت عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام: من جملتها ما جاء في الحديث الشريف عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: **الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له**[(١)]. لأنّ الله سبحانه لا يختار لعبده إلا ما فيه خيره ومصلحته، وإن خفيت تلك المصلحة على العبد لمحدوديته وقصوره عن الإحاطة بمصالحه ومفاسده.

وجاء في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل**[(٢)]. من هنا يظهر مقام الزهراء عليها السلام العالي، حيث إنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خير وبلاء، وبما قدر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها، وهذا يظهر من خلال أبسط تأمل لحياتها وما

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢ ص٦٠.

(٢) المصدر نفسه.

جرى عليها من الظلم والأذى، فمن خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهي كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدل على الرضا، وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمةعليها السلام.

تسميتها بالمرضية

وأيضاً لفاطمةعليها السلام اسم آخر يقاربه وهو (المرضية) والذي يظهر من خلال التأمل والتدبر في السيرة الذاتية لها، أنه هناك احتمالان في معنى كونها مرضية، أحدهما هو كون جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضية عند الله تبارك وتعالى فهي رضي الله عنها ورضت عنه، فهي راضية مرضية راضية عن الباري عز وجل ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر. والاحتمال الآخر أنهاعليها السلام كانت مرضية من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما أعطاها تبارك وتعالى من الذرية ا لكثيرة حيث جعل منها الأئمة الهادينعليهم السلام، وكذلك هي مرضيةعليها السلام من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأول أو الثاني، فإن فاطمةعليها السلام قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهي راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[(١)].

---

(١) الفجر: ٢٧–٢٨.

تسميتها بالمحدثة

ونقف هنا مع اسم آخر لفاطمةعليها السلام والذي نستفيده من خلال مراجعة جملة من الروايات، إن هذا الاسم ومن دون تحريك حرف الدال نحتمل فيه احتمالان: إما أن تكون الدال المشددة مكسورة، وأما أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحة، وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الاسم أنّهاعليها السلام كانت تحدث أمها خديجةعليها السلام وهي في بطنها، وأيضا الملائكة، وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، كما ورد عندما سأل رسول الله زوجته خديجة أثناء دخوله عليها قائلاً لها مع من تتحدثين قالت: الجنين الذي في بطني يؤنسني ويحدثني [(١)]. وعلى الاحتمال الثاني يكون معنى المحدثة هو أنهاعليها السلام كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصاً بعد فقد أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقد ورد عن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «**إنما سميت فاطمة مُحدَّثَة؛ لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين**» [(٢)].

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص١٤٣.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٦٩١.

سؤال وجواب

وهنا سؤال يطرح نفسه في المقام وينقدح في ألأذهان، وهو هل من الممكن أن تكون الملائكة تحدث بعض الناس لاسيما بعد رحيل النبي الأكرمصلى الله عليه وآله حيث إنّ الوحي انقطع بعد وفاة الرسولصلى الله عليه وآله، وفي حالة كون تحديث الملائكة وإمكان وقوعه ولو على غير نحو الوحي هل يقع هذا مع فاطمةعليها السلام؟

وللإجابة: أنّ أدنى مراجعة للقرآن الكريم تفيدنا الجواب على هذه المسألة من إمكان وقوعها في الأمم السابقة، باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين في عرض الأشياء عليه، فنجد من خلال عدة آيات قرآنية ثبتت هذه الحقيقة، وهي أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر، وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التي تثبت هذه المسألة: منها: قوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ**﴾[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**﴾[2]. فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة والتي لا يبقى معها شك، فمن هذا المنطلق يكون من باب أولى ثبوته بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، إضافة إلى الروايات الخاصة بهذا المضمون.

---

(١) هود: ٧١.

(٢) آل عمران: ٤٢.

سبب تسميتها بالبتول

وهذا هو الاسم الآخر الذي يحكي عن الخصوصيات التي تحظى بها فاطمةعليها السلام وتشخصها عن غيرها سواء في المجالات المادية أو المعنوية، كما بينته كثير من الروايات الواردة في هذا الشأن، فقد سئل رسول اللهصلى الله عليه وآله: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل [(١)]. وقيل تبتيل خلقها انفراد كل شيء عنها بحسنه لا يتكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابي: المبتلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء، لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامة [(٢)].

وعن ابن الأثير: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيحعليها السلام. وسميت فاطمة (البتول) لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى [(٣)].

وورد عن النبيصلى الله عليه وآله أنه قال: سميت فاطمة بتولاً لأنها تبتلت وتقطعت عما هو معتاد العورات في كل شهر، ولأنها ترجع كل ليلة بكراً. وسميت مريم بتولا لأنها ولدت عيسى بكراً[(٤)].

---

(١) راجع: شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج١١ ص٣٤٢، والبحار، المجلسي، ج١٤، ص٣٠٠.

(٢) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج١١ ص٤٣.

(٣)راجع: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١ ص٩٤.

(٤) راجع: شرح احقاق الحق، السيد المرعشي، ج٥ ص٧.

وعن علي عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله سئل: ما البتول؟ فإنا سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التي لم تر حمرة قط، أي لم تحض، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء [(١)].

وعن عائشة قال: إذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت لا تحيض قط، لأنها خلقت من تفاحة الجنة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلت المغرب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ابنتي فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمث [(٢)].

وروي عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أي ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً في حيض ولا نفاس، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما علمت أن ابنتي طاهرة، لا يُرى لها دم في طمث ولا ولادة [(٣)].

دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟

بعدما وردت الروايات الصحيحة والصريحة في تنزيه فاطمة عليها السلام من دماء الحيض والنفاس وأنها تختلف عن نساء عصرها فقد طهرها الله من كل النجاسات المادية والمعنوية في كل الأحوال، فعلى ذلك ينبغي أن نسلط الضوء على مسألة جديرة بالاهتمام وهي أن دم النفاس أو دم الحيض التي تراه المرأة في كل شهر من حين بلوغها إلى الخمسين من عمرها أو أكثر والذي يسمى بالعادة الشهرية

---

(١) علل الشرائع، الصدوق، ج١ ص١٨١.

(٢) راجع: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج١٠ ص٢٤٤.

(٣) راجع: كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج٢ ص٩١.

هل هو نقص وعارض يعتري المرأة أو هو كمال بالنسبة للمرأة بحسب تركيبتها الفسيولوجية، وقبل الجوب يلزم أن نعرف حقيقة هذه الدماء (دماء الحيض) والحكمة من ورائها، فهي دماء فاسدة قد تخزّن في الأوعية والأجهزة التي جعلها الله في جسم المرأة ليكون ذلك الدم غذاءً للجنين فإذا لم يكن جنين في رحم المرأة سال الدم إلى الخارج وربما انقلب إلى اللبن إذا كانت المرأة مرضعة. وأمّا طبيعة هذه الظاهرة فهي مؤذية ونقص بالنسبة للمرأة وقد صرح بذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾[1]، لذلك ثبت أن دم الحيض مادة ضارة مؤذية في جسم المرأة فلابد من خروجها لتنجو المرأة من أمراض وأعراض، وفي فترة العادة تعرض حوادث جسمية وروحية للمرأة تغير ملامحها ولون وجهها بل وأخلاقها ونفسيتها وأيضاً تشعر بالانفعال والخجل والانكسار وإن كان هذا الأمر خارجاً عن إرادتها واختيارها ولكنها تتألم بهذا الحادث الذي لا يحسن التصريح به لكل أحد وخاصة للرجال، وغير ذلك من السلبيات التي تلحق بالمرأة جراء الحيض والنفاس، ولهذا سقط عنها حكم الصلاة والصيام خلال فترة العادة وحرم عليها المكث بالمسجد والدخول إليه وغيرها من الأحكام.

ولكن الله تعالى كره لسيدة نساء العالمين أن تتلوث بهذه القذارات حيث أذهب عنها الرجس وطهرها تطهيراً، نعم إنّ الله قد جعل في مخلوقاته قوانين وسنناً وجعل تلك المخلوقات خاضعة لتلك القوانين والسنن ولكن جعل أولياءه

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

فوق تلك القوانين والسنن في ظروف خاصة لحكمة بالغة. من قبيل التناسل لا يمكن إلا بالتلقيح وانتقال نطفة الرجل إلى رحم المرأة وتطور النطفة إلى علقة ثم مضغة ثم عظام ثم خلق آخر إلى أن يكمل الجنين خلال ستة أشهر على أقل تقدير وتسعة أشهر كما هو الغالب، هذه سنة الله في قانون التناسل، لكن هذه السنة والقانون ما كان خاضعاً بالنسبة لمريم عليها السلام عندما حملت بنبي الله عيسى عليه السلام فلم يمسسها بشر وحملت بولدها إلى أن جاءها المخاض فوضعت بعيسى عليه السلام وكل ذلك كان خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقط [١]، وأيضا ما جرى في تعطيل هذا القانون بولادة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام (سارة) حيث ولدت على الكبر وكان هذا ما لا تسمح به العادة وأنه فوق القوانين والسنن الإلهية ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [٢]. وعلى غرار هذا تصدر المعجزات للأنبياء والأولياء عن طريق خرق العادة، فلا غرابة أن خرق الله العادة لسيدة النساء وجنبها هذا الأذى والنقص التي تحرم فيه من العبادة وغيرها.

كيفية شهادتها

إضافة إلى كل الكرامات والفضائل التي حازت عليها فاطمة عليها السلام فقد نالت الشهادة في خاتمة مطافها من حياتها وهذه المنقبة ليس من السهل الوصول

---

(١) راجع: الكافي، الكليني، ج٨ ص٣٣٢. مجمع البيان، الطبرسي، ج٦ ص٤١٧.

(٢) هود: ٧٢-٧٣.

والارتقاء إليها ولا يتسنى لكل أحد أن يتلبس بها إلا من حظا بالتوفيق والتسديد الإلهي، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في سبب وفاتها عليها السلام قال: إنّ قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، وكان علي عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس [(١)].

وذكر الجوهري المتوفى سنة (٣٢٣ هـ) بإسناده عن الحسن عليه السلام قال: في يوم دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله يعدنها فقلن السلام عليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم قد قلدتهم ربقتها، وشنت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً، وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله...الخ [(٢)].

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: عندما حالت فاطمة عليها السلام بين القوم وبين علي عليه السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط فماتت حين ماتت، وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته [(٣)].

---

(١) راجع: دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، ص١٣٤. وبحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣ ص ١٧٠.

(٢) راجع: السقيفة وفدك، الجوهري، ص ١٢٠. ومعاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٣٥٤.

(٣) راجع: كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري، ص ١٥١.

وفي خبر آخر عندما حالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت ضربها قنفذ بالسوط فماتت حين ماتت وأن في عضدها كمثل الدملج من ضربته فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها وألقت جنينها من بطنها فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتتعليها السلام من ذلك شهيدة [١].

وقد ذكر الزرندي الحنفي، عن عمران بن دينار أن فاطمة لم تضحك بعد النبيصلى الله عليه وآله حتى قبضت لما لحقها من شدة الحزن على أبيهاصلى الله عليه وآله. (إلى أن يقول) وعن علي (رض) أنّ فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله جاءت إلى قبر النبيصلى الله عليه وآله فوقعت عليه ثم أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا [٢]

وغيرها من الروايات التي تذكر وتؤكد الحالة المفجعة التي مرّت بها الزهراءعليها السلام في حال شهادتها وما جرى عليها، والحكم يبقى للقارئ الكريم ولكل إنسان منصف، ونحن نقتصر بهذا القدر في ذكر شهادتها خوفاً من الإطالة.

فاطمة في حالة الاحتضار

تتشرف الملائكة المقربون في زيارة فاطمةعليها السلام عند نزع الروح وسكرات الموت وينقلون لها التحية والسلام من الرفيق الأعلى، وهذا قلما يحدث إلا عند

---

(١) راجع: مجمع النورين، الشيخ أبو الحسن المرندي، ص ٨٢.

(٢) راجع: نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص١٨١. والشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة، ج٢ ص ٤٣٠.

النوادر من الأنبياء والأولياء، فقد روي أنّه لما ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب عندها، وهي تفيق مرة ويغشى عليها أخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها في أولادها.

يقول الإمام علي عليه السلام: إنها لما حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليك يا جبريل، السلام عليك يا رسول الله، اللهم احشرني مع رسولك، اللهم اسكني جنتك وفي جوارك ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربي، جبريل ورسول الله حاضرون عندي، وأبي يقول: القدوم إلينا، يقول علي عليه السلام: فلما كانت الليلة التي أراد الله أن يكرمها ويقبضها إليه أخذت تقول: وعليكم السلام، يا بن عم، هذا جبريل أتاني مسلماً، وقال: السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده، اليوم تلحقين بالرفيق الأعلى وجنة المأوى ثم انصرف عني ثم أخذت تقول: وعليكم السلام، وتقول: يا بن عم، هذا ميكائيل يقول كقول صاحبه، ثم أخذت ثالثا تقول: وعليك السلام، ثم فتحت عينيها شديداً وقالت: يا بن عم هذا والله الحق، عزرائيل نشر جناحه في المشرق والمغرب، وقد وصفه لي أبي وهذه صفته ثم قالت: يا قابض الأرواح عجل بي ولا تعذبني، ثم قالت: إليك ربي لا إلى النار، ثم غمضت عينيها، ومدت يديها ورجليها، وكأنها لم تكن حية قط [(١)].

فاطمة تفارق الحياة

الموت كما هو واضح يفاجئ الإنسان من دون أن يعرف زمانه ومكانه، إلا أولئك الذين خصهم الله بالمعرفة والعصمة فقد كانوا يعرفون مجاري الأمور ما

---

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، ص١٣٣. و بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣ ص٢٠٩.

ظهر منها وما خفي، ومن جملة ذلك معرفتهم للآجال، حيث إنّ فاطمةعليها السلام كانت عالمة بدنو أجلها ومفارقة أحبائها فقامت وتهيأت للقاء ربها وأبيها، حيث روي عن أسماء أنّ فاطمةعليها السلام لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء: إن جبريل أتى النبيصلى الله عليه وآله (لما حضرته الوفاة) بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً لي، وكان أربعين درهما، فقالت يا أسماء آتيني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا وضعيه عند رأسي، فوضعته، ثم قالت لأسماء حين توضأت وضوءها للصلاة، هاتي طيبي الذي أتطيب به، وهاتي ثيابي التي أصلي فيها، فتوضأت ثم تسجت بثوبها، ثم قالت: انتظريني هنيئة وادعيني، فإن أجبتك وإلا فاعلمي أني قدمت على أبي فأرسلي إلى علي. فانتظرت هنيئة ثم نادتها، فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبلها، فبينا هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين فقالا لها: يا أسماء ما ينيم أمنا في هذه الساعة، قالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني، وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت. قالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فقالا: قد ماتت أمنا فاطمةعليها السلام فوقع عليعليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزى فبمن العزاء من بعدك؟ وأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي فاطم بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل [١]

وروي أيضا أنّه عليه السلام أنشأ قائلاً:

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي [٢]

تشييعها وإعفاء قبرها

من الأدلة القاطعة على مظلومية الزهراء عليها السلام هو تشييعها في الليل سراً واعفاء قبرها، كي يبقى هذا الدليل خالداً الى ظهور العدل على يد المصلح العالمي الموعود من قبل السماء ولو كان غير ذلك لجاز لأحد الأئمة عليهم السلام أن يهدي الناس الى قبرها ويرشدهم لزيارته والتبرك به ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن يكون خافياً كي يكون دليلاً على مدى مظلومية السيدة فاطمة عليها السلام للأجيال المتعاقبة من جهة، ومن جهة أخرى عدم اقتدار يد التحريف الى الإيهام والتعتيم على ظلامة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه ذكره المؤرخون وأصحاب السّير في ذكر فاطمة حال وفاتها حيث قالوا: ارتفعت أصوات البكاء من بيت علي عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت أم كلثوم، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقاً لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم

(١) بيت الأحزان، الشيخ عباس القمي، ص١٧٩.

(٢) أنظر: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٤ ص ٧٣.

يضجون، وينتظرون خروج الجنازة ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أُخرَ إخراجها في العشية. وأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياًعليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولكن علياً غسلها وكفنها هو وأسماء في تلك الليلة ثم نادى: يا أم كلثوم، يا زينب، يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة، وبعد قليل نحاهم أمير المؤمنينعليه السلام عنها. ثم صلى عليعليه السلام على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل. فلما هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها أمير المؤمنينعليه السلام ودفنها سراً وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، فدفنوها وعفوا تراب قبرها (١).

وروى الحاكم في المستدرك عن عائشة أنّها قالت: دفنت فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله ليلاً ودفنها علي ولم يشعر بها أبو بكر رضي الله عنه حتى دفنت وصلى عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢).

ولهاعليها السلام وصية في ذلك جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله: أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، يا علي: أنا فاطمة بنت محمدصلى الله عليه وآله، زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا

(١) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص٦٢.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٣ ص١٦٢.

والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنطني وغسلني وكفني بالليل وصل علي وادفني بالليل ولا تعلم أحداً، وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة[١].

الوداع الأخير

بعدما انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم، ونفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول التي تذكر به، وزوجته الودود التي عاشت معه الصفا والطهارة والتضحية، وتحملت من أجله الأهوال والصعاب، فأرسل دموعه على خديه، وحَوَّلَ وجهه إلى قبر رسول اللهﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك، والبائنة في الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قَلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزي، ولقد وسدتك في ملحودة قبرك، بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتك بيدي وتوليت أمرك بنفسي. نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله. أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله (بيننا)، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك علي، وعلى هضمها حقها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من عليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام عليك يا رسول الله، سلام

(١) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص٦١.

مودع لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن وأجمل. ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، وللبثت عنده معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته[(١)].

تاريخ وفاتها

لا شك أنّ وفاتهاعليها السلام كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة؛ لأن النبيصلى الله عليه وآله حج حجة الوداع في السنة العاشرة وتوفي في أوائل السنة الحادية عشرة. واتفق المؤرخون على أن فاطمة عاشت بعد أبيها أقل من سنة، إلا أنهم اختلفوا في يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً، فروي عن أبي بصير، عن الصادقعليه السلام قبضت في جمادى الآخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة. وهو المختار. وبه قال الطوسي والطبرسيان والسيد بن طاووس والكفعمي. ويؤيده ما ورد أنها بقيت بعد أبيها خمسة وتسعين يوماً، وقريب منه ما روي أنها قبضت بعد ثلاثة أشهر من وفاة النبيصلى الله عليه وآله، أو مائة يوم، على التسامح في زيادة خمسة أيام أو نقصها[(٢)].

وروى أحمد ومسلم وابن سعد وغيرهم من الجمهور: عن عائشة أنها عاشت

---

(١) نهج البلاغة، ج٢ ص١٨٢، الكافي، الشيخ الكليني، ج١ ص٤٥٩.

(٢) راجع: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ج١ ص١٥٠.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر [١]. قال ابن سعد: عن عروة أن فاطمة توفيت بعده صلى الله عليه وآله بستة أشهر. قال محمد بن عمر: وهو الثبت عندنا: وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان إحدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها[٢]. وأمّا الساعة التي توفيت فيها عليها السلام هي ما بين المغرب والعشاء، وقيل في جوف الليل [٣].

محل دفنها

تقدم أنّها عليها السلام دفنت ليلاً وسراً وقد أعفي قبرها فليس من السهل أن يُشخّص قبرها ويتضح للعيان، فلذلك أختلف علماؤنا في مكان دفنها ومحل قبرها، كما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله قال: إنّك تأتي الروضة فتزور فاطمة عليها السلام لأنّها مقبورة هناك، وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقال بعضهم: إنّها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: انها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: إنّها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية في المسجد صارت من جملة المسجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندي (عند الشيخ المفيد) أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً فإنه لا يضره ذلك، ويحوز به أجراً عظيماً، وأما من قال إنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب [٤].

---

(١) راجع: مسند أحمد، ج١ ص٦. وصحيح مسلم، ج٢ ص١٤٤. والطبقات الكبرى، ج٨ ص٢٣.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٨ ص٢٨.

(٣) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ج٤ ص١٥٢.

(٤) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦ ص ٩.

وهذا بخلاف ما ذهب اليه الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: قبرها في البقيع، وهو القبر الذي فيه ولدها الحسن عليه السلام [١].

استحباب زيارة فاطمة عليها السلام

لا ريب أنّ للزهراء عليها السلام مكانة عظيمة عند الله ومحبة في قلوب المؤمنين، ولو شاءت الحكمة أن يظهر قبرها لكان مزاراً أوسع مما يتصور ولا يقل شأنا عن غيره من المعصومين عليهم السلام، ومع أخفاء قبرها لا يسقط استحباب زيارتها كما كشفت عنه الروايات، وروي في فضل زيارتها أكثر من أن يحصى.

فقد روى ابن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على فاطمة عليها السلام فابتدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة. فقالت: أخبرني أبي وهو ذا، هو أنه من سلم علي ثلاثة أيام أوجب [الله] له الجنة. قال: فقلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا [٢].

أما زيارتها عليها السلام تقف على قبرها أو على أحد المواضع المحتملة وتقول: السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك، فوجدك لما امتحنك به صابرة، ونحن لك أولياء ومصدقون، ولكل ما أتى به أبوك صلى الله عليه وآله، وأتى به وصيه عليه السلام مسلمون. ونحن نسألك اللهم إذ كنا مصدقين لهم أن تلحقنا بتصديقنا لهم بالدرج العليا لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولايتهم عليهم السلام [٣].

---

(١) المزار، الشيخ المفيد، ص ١٧٧.

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦ ص ١٠.

(٣) المزار، الشيخ المفيد، ص ١٧٧.

وذكرت زيارة أخرى

هو أن تقف وتقول: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله السلام عليك يا بنت امين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى روحك وبدنك، اشهد انك مضيت على بينة من ربك، وان من سرك فقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن جفاك فقد جفا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاك فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه كما قال صلى الله عليه وآله، أُشْهِدُ الله ورسله وملائكته أني راضٍ عمن رضيت عنه وساخط على من سخطت عليه ومتبرئ ممن تبرأت منه، موالٍ لمن واليت معادٍ لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت محب لمن أحببت وكفى بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومثيباً. ثم تصلي على النبي والأئمة عليهم السلام إن شاء الله [١].

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦ ص ١٠.

من أزواج أمير المؤمنين

١- خولة الحنفية

هي السيدة خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن اللحم. وأمها أسماء بنت عمرو بن أرقم بن عبيد بن ثعلبة من بني حنيفة[١]. اختلف في أمرها أنها سبيت أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أم بعد وفاة النبي، فقد ذهب جمع من الأعلام (أمثال القطب الراوندي، والنووي، وابن عساكر وغيرهم) أنها كانت من سبي بني حنيفة حين قتلهم خالد بن الوليد وقتل رئيسهم مالك بن نويرة وتزوج بامرأته من ليلته[٢]. وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في زمن خلافة أبي بكر. حتى أنّه لما قدم خالد، قال له عمر بن الخطاب: يا عدو الله قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته لأرجمنك، وفيه أن أبا قتادة شهد أنهم أذنوا وصلوا[٣].

وقد أكثر أخوه متمم بن نويرة من بكائه ورثائه حتى ضربت بهما الأمثال، وقال متمم يخاطب ضرار بن الأزور قاتل أخيه بأمر خالد:

نعم القتيل إذا الرماح تناوحت ... بين البيوت قتلت يا ابن الأزور

ثم قال يخاطب خالداً:

أدعوته بالله ثم غدرته ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر[٤]

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ج ٢ ص ٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١ ص٣٧٨. وشرح مسلم، النووي، ج١ ص٢٠٤.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٣ ص ٣٦. أسد الغابة، ابن الأثير، ج٤ ص٢٩٦.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٦ ص٢٢١.

وقيل: كان مُجّاعة بن مرارة الأسدي قد خطبها منهم فمنعوه منها، فحقد عليهم، فلما توفى النبيﷺ واضطربت الأمور خرج مجّاعة في سرية يطلب ثأره منهم، حتى اختلجها منهم ورجعوا من بلاد بني عامر وقد استخرجوا معهم خولة ابنة جعفر [(١)]. وقيل: أنّها سبيت في أيام رسول اللهﷺ، قالوا: بعث رسول اللهﷺ علياً إلى اليمن، فأصاب خولة في بني زبيد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم، فصارت في سهم عليعليه السلام، فقال له رسول اللهﷺ: إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي، وكنه بكنيتي، فولدت له بعد موت فاطمةعليها السلام محمداً، فكناه أبا القاسم [(٢)].

وفي الإصابة: خولة بنت اياس بن جعفر الحافية والدة محمد بن علي بن أبي طالب، رآها النبيﷺ في منزله فضحك ثم قال يا علي أما انك تتزوجها من بعدي فتلد لك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي وانحله [(٣)].

من مآسي التاريخ

عندما ادخلوا السبايا في المسجد وفيهن خولة أم محمد ابن الحنفية فجاءت إلى قبر رسول اللهﷺ والتجأت به وبكت وقالت يا رسول الله أشكو إليك أفعال هؤلاء القوم سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون، ثم قالت أيها الناس لم سبيتمونا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا منعتم الزكاة، فقالت الأمر ليس على ما زعمت والأمر إنما كان كذا وكذا، وهب الرجال منعوكم فما

---

(١) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ج٤ ص١٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ ص ٢٤٤.

(٣) الإصابة، ابن حجر، ج٨ ص١١٣.

بال النسوان المسلمات يسبين. ثم فقالت: ما بالكم يا معاشر العرب، تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ فقيل لها: لأنكم قلتم: لا نصلي (ولا نصوم) ولا نزكي فقالت: ليس الأمر على ما زعمتم، والله ما قالها أحد من بني حنيفة وإنّا نضرب صبياننا على الصلاة من التسع وعلى الصيام من السبع، وإنّا لنخرج الزكاة من حيث يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيام ويوصي مريضنا بها لوصية، والله يا قوم ما نكثنا ولا غيرنا ولا بدلنا حتى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا إنما قلنا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبعث كل سنة رجلاً يأخذ منا صدقاتنا من الأغنياء من جملتنا، يفرقها على فقرائنا فافعل أنت كذلك [1].

زواجها من أمير المؤمنين

اختار كل رجل منهم واحدة من السبايا، وجاء طلحة، وخالد بن عنان، ورميا بثوبين إلى خولة فأراد كل واحد منهما أن يأخذها من السبي، قالت: لا يكون هذا أبداً ولا يملكني إلا من يخبرني الكلام الذي قلته ساعة ولدت، قال أبو بكر: قد فزعت من القوم فكانت لم تر ذلك قبله فتكلم بما لا تحصيل له، فقالت والله إنّي صادقة، إذ جاء علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف ونظر إليهم وإليها وقال عليه السلام: اصبروا حتى أسألها عن حالها ثم ناداها يا خولة اسمعي الكلام، ثم قال عليه السلام: لما كانت أمك حاملة بك وضربها الطلق واشتد بها الأمر نادت اللهم سلمني من هذا المولود فسبقت تلك بالنجاة، فلما وضعتك ناديت من تحتها لا إله إلا الله محمد رسول الله، عما قليل سيملكني سيد سيكون له ولد مني، فكتبت أمك

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٢ ص١١١.

ذلك الكلام في لوح نحاس فدفنته في الموضع الذي سقطت فيه، فلما كانت في الليلة التي قبضت أمك فيها أوصت إليك بذلك، فلما كان في وقت سبيكم لم يكن لك همٌّ إلا أخذ ذلك اللوح فأخذتيه وشددتيه على عضدك الأيمن، هات اللوح فأنا صاحب ذلك اللوح وأنا أمير المؤمنين وأنا أبو ذلك الغلام الميمون واسمه محمد، قال: فرأيناها وقد استقبلت القبلة وقالت إلهي أنت المتفضل المنان أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت بها إلي ولم تعطها لأحد إلا أتممتها عليه، اللهم بصاحب من بيده التربة الناطق المنبئ بما هو كأس إلا أتممت فضلك علي، ثم أخرجت اللوح ورمت به إليه فأخذه أبو بكر وقرأه عثمان فإنه كان أجود القوم قراءة وما ازداد ما في اللوح على ما قال علي عليه السلام ولا نقص، فقال أبو بكر: خذها يا أبا الحسن، ثم قالت: يا معاشر الناس، اشهدوا أني قد جعلت نفسي له عبدة. فقال عليه السلام: لا بل قولي زوجة. فقالت: اشهدوا أني قد زوجته نفسي كما أمرني أهلي. فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة، فماج الناس. فبعث بها علي عليه السلام إلى بيت أسماء بنت عميس فزينتها وتزوج بها وعلقت بمحمد وولدته [(١)].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: دخلت خولة المسجد وشرحت ما شرحت، ولم يكن علي عليه السلام حاضراً، وقد عرض عليها جماعة الصحابة، وكانت تسأل الرجل (عن) اسمه (حتى) (أتاها) رجل اسمه علي، فقالت له: من أنت؟ فقال: علي بن عبد الله الغراني. فقالت: لو كنت ابن أبي طالب فإني لا اسلم نفسي إلا إليه، بذلك أمرني والدي، فعند ذلك اعلم أمير المؤمنين عليه السلام فجاء [(٢)].

---

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج٢ ص٥٦٥. والأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي، ص٤٣٧.

(٢) مدينة المعاجز، البحراني، ج ٢ ص ٢١٩.

٢- أم البنين الكلابية

هي السيدة فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر المعروف بالوحيد ابن كلاب بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أمها ثمامة بنت سهيل بن عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب [1].

والشاعر لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، عم حزام بن خالد بن ربيعة، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: أصدق كلمة قالتها العرب، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل [2]

أما كيفية زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم ابغ امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس، فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبد الله، قتلوا مع الحسين عليه السلام ولا بقية لهم إلا للعباس [3].

وكانت هذه السيدة الجليلة من الشخصيات المتألقة في التاريخ الإسلامي، وتنتسب إلى أسرة لا نظير لها في الشجاعة والشهامة والقتال. وقد ذكر أن آباءها من أشجع العرب وأثبتهم وأشدهم قتالاً وكانت أم البنين شاعرة مفوهة جليلة.

---

(١) العباس، المقرم، ص١٢٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٩ ص٢١٧.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٧ ص ٤٢٩. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص٧ ص٥٣.

أم البنين ترثي أولادها

ذكر المؤرخون أنّها كانت تخرج إلى البقيع في كل يوم ترثيهم وتحمل ولد العباس عبيد الله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجي الندبة، من قولها رضي الله عنها، من جملة رثائها وشعرها هو:

يا من رأى العباس كر ... على جماهير النقد

ووراه من أبناء حيدر ... كل ليث ذي لبد

أنبئت أن ابني أصيب ... برأسه مقطوع يد

ويلي على شبلي أمال ... برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يد ... يه لما دنا منه أحد

وقولها عليها السلام :

لا تدعوني ويك أم البنين ... تذكريني بليوث العرين

كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم ... فكلهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين [(١)]

موقف من إيمانها

لما دخل بشير بن حذلم المدينة المنورة لينعى الحسين عليه السلام التقى بأم البنين

---

(١) أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي، ص ٦٤.

(وهي أم العباس) فقال لها عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. قال لها: عظم الله الأجر بولدك جعفر قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك العباس قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. فقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها   قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج   والرأس منه على القناة يدار

فصاحت ولطمت خدها، وشقت جيبها ونادت: وا حسيناه وا سيداه، ثم أنشدت:

لا تدعوني ويك أم البنين   تذكريني بليوث العرين [(١)]

لقد كانت السيدة أم البنين تكنُّ في نفسها من المودة والحب للحسن والحسين عليهما السلام ما لا تكنه لأولادها الذين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم، لقد قدمت أم البنين أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، على أبنائها في الخدمة والرعاية، ولم يعرف التاريخ أن ضرة تخلص لأبناء ضرتها وتقدمهم على أبنائها سوى هذه السيدة الزكية، والسيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كانت ترى ذلك واجبا دينيا؛ لأن الله أمر بمودتهما في كتابه الكريم، وهما وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتاه، وقد عرفت أم البنين ذلك فوفت بحقهما وقامت بخدمتهما خير قيام.

---

(١) المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة - السيد شرف الدين - ص ٢٤٥.

تاريخ وفاة أم البنين عليها السلام

اختلف المؤرخون في تعيين زمان وفاة أم البنين عليها السلام، فذهب بعضهم إلى أنّها توفيت في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٦١ للهجرة، بعد مقتل الحسين عليه السلام. ويفهم منه أنّ أم البنين توفيت بعد مقتل الحسين عليه السلام بلا فصل.

وذهب البعض الآخر إلى أنّها توفيت في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤ للهجرة، وهناك رواية تؤيد هذا الرأي بخصوص توقيت اليوم والشهر دون السنة، فقد ورد عن الأعمش قال دخلت على الإمام زين العابدين في الثالث عشر من جمادى الآخرة وكان يوم الجمعة، فدخل الفضل بن العباس وهو باك حزين وهو يقول لقد ماتت جدتي أم البنين [١].

يقول السالكي يظهر أنّ المخبر الباكي هو الفضل، مع أنّ الفضل مات صغيراً، وإنّ أهل السير يقولون إن إرث العباس صار إلى عبيد الله بن العباس، وإنّ نسله منه فقط، فالصحيح أنّه عبيدالله، إلا أن يقال الفضل مات بعد هذا الخبر، ثم انتقل الإرث إلى عبيدالله وهم ينظرون إلى النتيجة، هي أنّ ارث العباس وصل إلى أمه والى أبنائه، وارث أخوة العباس وصل إلى أمه وورثها أبناء العباس، ثم لم يبقَ من الأبناء إلاّ عبيدالله وورث هو كل المال فهو الوارث بعدهم.

وكان عبيدالله بن العباس من العلماء ويوصف بالكمال والمروءة والجمال ومات وله خمس وخمسون سنة [٢].

---

(١) راجع: كتاب أم البنين، محمد علي السالكي، ص٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٥.

وقبر أم البنين عليها السلام بالبقيع؛ لأنها لم تخرج إلى بلد آخر بعد مقتل الحسين عليه السلام فمدفنها في المدينة وهو المشهور الآن[١].

٣- ليلى النهشلية

هي ليلى بنت مسعود بن جابر بن مالك بن ربعي بن سلم بن جندل بن نهشل ابن دارم بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

ولدت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام محمداً الأصغر المكنى أبا بكر وعبيدالله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف[٢]. وقيل: قتل عبيد الله مع مصعب يوم المختار[٣].

٤ - أسماء بنت عميس الخثعمية

أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها، هي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وأخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت سلمى بنت عميس زوج حمزة، هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام إلى الحبشة، وأعقبت أسماء من جعفر بن أبي طالب الطيار ثمانية بنين، وهم عبد الله، وعون، ومحمد الأكبر، ومحمد الأصغر، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وحميد، وحسين، أما محمد الأكبر فقتل مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام بصفين. وأما عون ومحمد الأصغر فقتلا مع ابن عمهما الحسين عليه السلام يوم الطف، وأما عبد الله الأكبر فهو أحد أجواد

---

(١) راجع: كتاب أعمال الحرمين، بن الشيخ منصور المرهون، ص١٩١.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١ ص ٣٥٤.

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ج ٢ ص ٤٩.

بني هاشم الأربعة وهم: الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وهو الرابع عليهم السلام. ولم يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله طفلاً غير هؤلاء الأربعة، ولد بأرض الحبشة، وله في الجود أخبار كثيرة حتى لقب بقطب السخاء، حضر مع عمه صفين، وعقد له يوم الجمل على عشرة آلاف، وليس لجعفر عقب إلا منه. فلما قتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام تزوجها أبو بكر فأولدت له محمداً حبيب علي عليه السلام وربيب حجره وواليه على مصر، قتله معاوية بن أبي سفيان، وللإمام عليه السلام عند قتل محمد بن أبي بكر خطبة موجودة في النهج ولما مات أبو بكر، تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فأولدت له يحيى بإجماع، واختلف في عون بن علي بن أبي طالب فقيل إنه منها [(١)]. وقيل: ولدت للإمام يحيى وعون.وقيل ومحمدا الأصغر [(٢)].

وأسماء لها مقام عظيم عند الله وأهل البيت، وكانت من أوليات النساء اللآتي آمنَّ بالنبي صلى الله عليه وآله، وقد حظيت بمدحٍ على لسان النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت حتى كانت من المبشرات بالجنة، كما روي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: رحم الله الأخوات من أهل الجنة، فسماهن أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة، وخمس من بني هلال [(٣)].

وذكر ابن الأثير: أن عمر قال لها نعم القوم لولا أننا سبقناكم إلى الهجرة، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال: بل لكم هجرتان: إلى أرض الحبشة وإلى

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ١ ص ١٢٥.

(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ٣٢ ص ٦٧٥.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٣٦٣.

المدينة[١]. وكانت رفيقة الزهراءعليها السلام وصاحبتها وهي التي اقترحت عليها أن يضع جثمانها الطاهر في التابوت وأعانت الإمامعليه السلام على غسلها، وكانت من رواة الحديث[٢].

٥- أمامه بنت أبي العاص

وهي أمامه بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية العبشمية، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت زينب قد تزوجت أبا العاص قبل الإسلام، وهو (أبو العاص) ابن أخت خديجةعليها السلام، وزينب أنجبت ولدين هما: علي الذي مات صغيراً، وأمامه التي كان يحبها النبي صلى الله عليه وآله ويلاطفها، وتزوجها الإمام عليعليه السلام بوصية الزهراءعليها السلام إذ وصته أن يتزوجها، وقالت: إنها تكون لولدي مثلي[٣].

وزوجها منه الزبير بن العوام؛ لأن أباها قد أوصاه (أوصى الزبير) بها، فلما جرح عليعليه السلام خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده، فلما توفي عليٌّعليه السلام وقضت العدة تزوجها المغيرة، فولدت له يحيى وبه كان يكنى، فهلكت عند المغيرة وبقيت عنده حدود الخمسين للهجرة[٤].

---

(١) أُسد الغابة، ابن الأثير، ج٥ ص٢٩٦.

(٢) أنظر: موسوعة الإمام علي، ري شهري، ج١ ص١١١.

(٣) أنظر: كتاب سليم بن قيس، ج٢ ص٨٧٠. وأسد الغابة، ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٠٠.

(٤) أنظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٠٠. وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين،ج٣ ص٤٧٣.

وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ علياً لما حضرته الوفاة قال لأمامه بنت أبي العاص إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية بعد موتي (يعني معاوية) فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار، فلما خطبها أرسلت إلى المغيرة بن نوفل إنّ هذا قد أرسل يخطبني، فإن كان لك بنا حاجة فأقبل، فأقبل وخطبها من الحسن بن علي عليهما السلام فزوجها [1].

(١) أنظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤ ص ١٧٨٩.



الفصل الخامس

شهربانو أم الإمام السجاد عليهما السلام

اسمها ونسبها

أختلف المؤرخون وأصحاب السّير في تشخيص اسمهاعليها السلام، وأيضا في نسبها، فالمشهور قالوا: هي شاه زنان، أو شهر بانو، كما مرّ ذكره في صحيفة الزهراءعليها السلام... (إلى قوله) أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزدجرد، بالإضافة إلى الشواهد التاريخية التي يأتي ذكرها. ومعنى شاه زنان أي ملكة النساء، وشهر بانويه أي ملكة المدينة. وقيل: سلامة، وقيل: غزالة، وقيل: خولة على اختلاف الروايات، وقد ذكر المجلسي عن المبرد قال: كان اسم أم علي بن الحسينعليهما السلام سلافة من ولد يزدجرد، معروفة النسب من خيرات النساء[1]. وربما يعود اختلاف الروايات في تسميتها إلى ما قيل: من أنّ أمير المؤمنينعليه السلام سألها يوماً عن اسمها، فقالت: شاه زنان، فقالعليه السلام: أنت شهربانو. وأظن هذا التغير الذي صدر من الإمام لأجل اختصاص الزهراءعليها السلام بذلك، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

أمّا أبوها: هو يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز بن هرمز بن انوش، روان الملك العادل، وكان يزدجرد آخر ملوك الفرس[2].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص١٦.

(٢) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج ٧ ص ٢٣٦.

وقيل: هو يزدجرد بن شهريار ابن كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام حور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف وهؤلاء كلهم ملوك [(١)].

وقيل: شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز... [(٢)].

اكاذيب واهية في نسب أم السجاد عليه السلام

ذكر ابن عنبة في ذيل كلامه قولاً في اختلاف نسب السيدة شهربانو، فقال قد منع البعض من انتساب أم الإمام السجاد عليه السلام إلى يزدجرد الذي هو أحد ملوك الفرس، حيث قالوا: إنّ كثيراً من النسابين والمؤرخين قالوا إن بنتي يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان. وقيل إن أم زين العابدين عليه السلام من غير ولده. وقد أغنى الله تعالى علي بن الحسين عليهما السلام بما حصل له من ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولادة يزدجرد بن شهريار المجوسي المولود من غير عقد على ما جاءت به التواريخ، والعرب لا تعد للعجم فضيلة وإنْ كانوا ملوكاً ولو اعتدوا بالملك فضيلة لوجب أن يفضلوا العجم على العرب ويفضلوا قحطان على عدنان، ولكن ليس ذلك عندهم شيئاً يعتد به. وقد لهج بعض العوام وكثير من بني الحسين عليه السلام بذكر هذه النسبة وقالوا: جمع علي بن الحسين عليهما السلام بين النبوة والملك وليس ذلك بشيء [(٣)].

وقد تمسك شرذمة من أصحاب الضغائن والأحقاد من الشعوبيين والليبراليين في ما ذكره ابن عنبة وقاموا بتوسعة الاشكال وتغيير حقائق التاريخ،

---

(١) المجموع، محيى الدين النووي، ج ١٠ ص٣٩١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص٣١١.

(٣) أنظر: عمدة الطالب، ابن عنبة ص١٩٣.

فقد حاولوا أنّ يجعلوا الحق كذباً والكذب حقاً، حيث قالوا إنّ أمّ الإمام السجاد عليه السلام ليست أمَة، بل جعلوها بدلاً من ذلك عدنانية قرشية تيمية، فقالوا إنّها الفاضلة أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. وعمدة ما استندوا إليه هو ما ذكره صاحب عمدة الطالب (ابن عنبة) من أنّ الأمام السجاد عليه السلام وأخته فاطمة بنت الحسين أم فاطمة بنت الحسين هي أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله هما أشقاء من نفس الأم، وعليه تكون هي أيضاً أم الأمام السجاد عليه السلام، وغير ذلك كما تقدم من كلام ابن عنبة [1].

والصحيح

إنّ ابن عنبة في أول كلامه بشكل صريح أثبت رأي المشهور أنّها شاه زنان بنت يزدجرد، حيث قال بنص عبارته: وقد اختلف في أمه فالمشهور أنها شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار بن أبرويزد، وقيل إن اسمها شهربانو، قيل نهبت في فتح المدائن فنفلها عمر بن الخطاب من الحسين عليه السلام وقيل بعث حريث بن جابر الجعفي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ببنتي يزدجرد بن شهريار فأخذهما وأعطى واحدة لابنه الحسين عليه السلام فأولدها علي بن الحسين عليه السلام وأعطى الأخرى لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالة، وقال ابن جرير الطبري: اسمها غزالة وهي من بنات كسرى. وقال المبرد: هي سلامة من ولد يزدجرد [2]، هذا أولاً.

---

(١) انظر: كتاب كذبة فارسية يفضحها الحق العربي، عبد الحميد العلوجي.

(٢) عمدة الطالب، ابن عنبة، ص ١٩٢.

وثانياً: أنّه (ابن عنبة) كان يتناول الموضوع من حيث الفخر بالأنساب ليس لغرض إثبات حقيقة تاريخية، فقال: إنه إذا كان للحسينيين فخر بولادة جدهم علي زين العابدين عليه السلام من أحدى بنات كسرى فالفخر متحقق أيضاً للحسنيين لأن فاطمة بنت الحسين قد تزوجت من الحسن المثنى بن الإمام الحسن الزكي عليه السلام وولدت له أولاده الحسن المثلث وعبد الله المحض وإبراهيم وهي فيما يقال من أم علي زين العابدين عليه السلام، وأنت ترى أنه لم يجزم بهذه الصلة الجديدة للحسنيين بل أستخدم عبارة (فيما يقال)، ولم ينقل هذه الصلة أحد من المؤرخين قبل ابن عنبة في عمدة الطالب ولا بعده، ولو كانت هذه الصلة معروفة لشاعت ونقلها العديد من المؤرخين ولكن ذلك لم يحدث.

وثالثاً: أنّ المستشكل نفسه قد ذكر في قائمة مصادر كتيبه (٢٦) مصدراً لم يحتوِ أيٌّ منها على تصريح أو تلميح أو أشارة أو افتراض إلى أنّ أم السجاد عليه السلام عربية، بل الكتب التاريخية والتراثية متأرجحة بين كون أمّه اَمَة أو اَمَة من بنات كسرى.

رابعاً: أنّ الإمام الحسن بن أمير المؤمنين عليهما السلام قد تزوج من أم إسحاق بنت طلحة فولدت له طلحة والحسين وفاطمة، ثم خلف على أم إسحاق بعد الحسن عليه السلام أخيه الحسين عليه السلام، وكلمة (خلف) تحتمل معنيين الأول أنّ الحسين عليه السلام تزوج أم إسحاق بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام والثاني أنّه عليه السلام تزوجها بعد طلاق أخيه عليه السلام لها، والمعنى الأول هو الأكثر شيوعاً واستعمالاً عند العرب لكلمة (خلف) إضافة الى ما أثبته المؤرخون، وكيف كان فإنّ الإمام الحسن عليه السلام

قد استشهد سنة (٥٠) هـ وزواج الإمام الحسين عليه السلام من أم إسحاق كان بعد هذا التاريخ فيما نجد أنّ ولادة الإمام علي زين العابدين عليه السلام كانت عام (٣٧) هـ وعليه فإنّ أم إسحاق لا يمكن أنْ تكون أمّاً له لأنها حين ولادته كانت حليلةً للأمام الحسن عليه السلام.

خامساً: أنّ الإمام محمداً الباقر عليه السلام هو أول من جمع ولادة الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأن أباه الإمام علياً زين العابدين عليه السلام قد تزوج من ابنة عمه أم عبدالله فاطمة بنت الأمام الحسن عليه السلام وأمها أم إسحاق بنت طلحة فولدت له أبنه الإمام الباقر عليه السلام، (كما سيأتي في محله مفصلاً) فلو كانت ام إسحاق هي التي ولدت الإمام علياً زين العابدين عليه السلام بحسب مزاعم المستشكل لما جاز له أنْ يتزوج من فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام لأنها حينئذٍ ستكون أخته من جهة الأم.

سادساً: أنّ هناك وثيقة تاريخية في النصف الأول للقرن الثاني الهجري تشير إلى أنّ أم الإمام علي زين العابدين عليه السلام هي أَمَة وليست عربية كما زعم، وهذه الوثيقة إضافة إلى أنها قريبة من عصر الإمام علي زين العابدين عليه السلام فقد وردت بلسان شخص بعيد عن شبهة التأثير الشعوبي والدس الفارسي، وهي رسالة كتبها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر الملقب بالمنصور، إلى محمد الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام لما ثار الأخير عليه، وقد ذكرها ابن خلدون في تأريخه، جاء فيها: وما ولد قبلكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد (يقصد أَمَه) ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد خير من أبيك وجدته أم

ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك [١].

وهناك عشرات الكتب تاريخية وحديثية لدى الفريقين تذكر أنّها أمة فارسية بنت يزدجرد، ولكنّ العداء يعمي الأبصار والبصائر، حتى جعل شريعتي هو الآخر يطعن برواية تذكر مقام وفضل السيدة شهربانو ويتخذها سبباً لنفي زواج شهربانوية بنت يزدجرد بالإمام الحسين عليه السلام، أو أنّها أم للإمام السجاد عليه السلام، ويحول الموضوع إلى مساجلات واهية واستنتاجات باطلة لا تستند إلى أي دليل ولا تعبر إلا عن مجموعة أوهام أراد من إظهارها التنفيس وإثارة النعرات الطائفية والقومية [٢]، فقد تناسى ما عليه الجمهور وغيرهم من ثبوت هذه الحقيقة في تواريخهم وأحاديثهم، ولماذا لا تكون هذه الحملات الشعواء والاستنتاجات الفاسدة على أُمَّهات الأئمة الباقين الذين كانت أُمَّهاتهم جواريَ أيضا وغير عربيات، فهناك سبعة أئمة أُمَّهاتهم جوارٍ وغير عربيات، أمثال أم الإمام الكاظم عليه السلام (حميدة البربرية) فلِمَ لم يقال انّهم (الشيعة) احيوا البربر كما احيوا الدولة الساسانية، أو لهم ميول للبرابرة، وغيرها من التهاترات التي لا تستحق الإطالة والوقوف عندها.

وهكذا تتكشف الحقائق ويتضح الخطأ الذي وقع فيه البعض بادعائهم النسب العربي لأم السجاد عليه السلام، وأسأل الله أنّ يبعد الأمة الإسلامية من هذه الأمراض الخطيرة التي تجرّ الويل للإسلام والمسلمين.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج٤ ص٦.

(٢) انظر: كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي، الدكتور علي شريعتي، تحت عنوان: عروس المدائن في المدينة، ص١٢٤.

اشكال وجواب

وأما ما ذكر من أنّ أباها كان مولوداً من غير عقد؛ وهذا ينافي ما عليه اعتقاد الأمامية في طهارة آباء المعصومين عليهم السلام. فنقول باختصار: ثبت أن لكل قوم نكاحاً، كما جاء في الحدائق عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقال للإماء يا بنت كذا وكذا، وقال: لكل قوم نكاح. أقول: فيه دلالة على عدم جواز قذف أصحاب الملل والأديان والطعن في أنسابهم بما خالف مقتضى شريعتنا إذا كان سائغاً في شرايعهم، وعليه تدل جملة من الأخبار [(١)].

ومنها، ما رواه في التهذيب عن عبد الله بن سنان في الحسن قال: قذف رجل رجلاً مجوسياً عند عن أبي عبد الله عليه السلام فقال: مه، فقال الرجل: إنه ينكح أمه وأمته، فقال: ذاك عندهم نكاح في دينهم [(٢)].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل قوم يعرفون النكاح من السفاح فنكاحهم جائز [(٣)]. إلى غير ذلك من الأخبار. مع أنّ دعواهم بعيدة عن الواقع ولم تكن ثابتة ومسلمة، وإنّما مجرد استيحاء وتوهم.

إضافة إلى ذلك يمكن أن يقال إنّها كانت في أسرة محتشمة مراعية لآداب العفّة ولو بحسب أعرافهم، كما يظهر ذلك من النصوص التاريخية، منها: حين إدخالها على الخليفة الثاني فقد غطت وجهها وتأوهت...، كما سيأتي. وذلك

---

(١) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، ج ٢٤ ص ٣٣٠.

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٧ ص ٤٨٧. والكافي، الشيخ الكليني، ج ٥ ص ٥٧٤

(٣). تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٧ ص ٤٧٥.

يعكس لنا أنّها عاشت في ظروف أُسرية واجتماعية مراعية قد أثرت بها وبسلوكها. ومنها أيضاً ما كشف عنه الإمام علي عليه السلام حين سألها قائلاً: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة. فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير [1]. فيظهر من سؤال الإمام عليه السلام وتأييده واستحسانه لقول أبيها أنّ أباها من الشخصيات ذات العلم والمكانة. وأيضا الرؤيا التي رأتها في المنام من دخول النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام دارهم لغرض خطبتها، كما سيأتي.

مقتل والدها يزدجرد

ذكر ابن الأثير في أحداث سنة إحدى وثلاثين مقتل يزدجرد بن شهريار، حيث قال: قد اختلف الناس في سبب قتله، فقيل إنه هرب من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ومعه خرزاد أخو رستم فرجع عنه إلى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالاً فمنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصروهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشياً إلى شط المرغاب فأوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء فلما نام قتله، وقيل: بل بيته أهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله. وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل إلى إصطخر فوضع في ناووس هناك. وقيل إن

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١ ص ٣٠٢.

يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان وبها رجل يقال لـه مطيـار كـان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً فصار له بها محل كبير فأتى مطيـار يزدجـرد ذات يوم زائراً فحجبه بوابه ليستأذن لـه فـضربه وشـج أنفـه وحميـة لحجبـه إيـاه فـدخل البواب على يزدجرد مدمي فلما نظر إليه أفظعه ذلك فرحل عن أصبهان من ساعته فأتي الري فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها وقال له إن أنت لم تجبني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك فلم أقبلك ولم أرك فلم يجبـه. وقيل مضي من فوره ذلك إلى سجستان ثم سار إلى مرو في ألف فارس، وقيل: بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتي كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثاً فطلب إليـه دهقانه شيئاً فلم يجبه فجره برجله وطرده عن بلاده فـسار إلـى سجـستان فأقـام بهـا نحواً من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهـم إلـى العرب فسار إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعـه فـي رؤسـائهم فرخـزاد فلمـا قـدم مـرو كاتـب ملـوك الـصين وملـك فرغانـة وملـك كابـل وملـك الخـرز يستمدهم وكان الدهقان يومئذ بمرو ماهوية أبو براز فوكل ماهويه بمرو ابنـه بـراز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز فصاح بـه أبـوه ليفـتح البـاب فلـم يفعـل وأومأ إليه أبوه أن لا يفعل ففطـن لـه رجـل مـن أصـحاب يزدجـرد فأعلمـه بـذلك واستأذنه في قتله وقال إن فعلت صفت لك الأمور بهذه الناحية فلم يأذن له. وقيل: أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهوية إلى صنجان ابن أخيـه فبلـغ ذلـك ماهويـه فعمل في هلاك يزدجرد فكتب إلـى نيـزك طرخـان يخبـره أن يزدجـرد وقـع إليـه

مفلولاً يدعوه إلى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن لـه إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقـدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرخزاد وقال أبو براز أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده وأمر فرخزاد أن يأتي أجمة سرخس فصاح فرخزاد وشق جيبه وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به وقال يا قتلة الملوك قتلتم ملكين وقال أظنكم قاتلي هذا. ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده أنه آمن وأنه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه وأشهد بذلك. وأقبل نيزك فلقيه يزدجرد بالمزامير والملاهي أشار عليه بذلك أبو براز فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشياً، فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه، فركبها، فلما توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول زوجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك. فسبه يزدجرد فضربه نيزك بمقرعته وصاح يزدجرد غدر الغادر وركض منهزماً وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهي يزدجرد من هزيمته إلى مكان من نواحي مرو فنزل عن فرسه ودخل إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاماً فقال له الطحان أيها الشقي كل طعاماً فقد جعت. فقال لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة. وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فأخبرهم به وبحليته فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة وأمره بخنقه وإلقائه في النهر وأتى الطحان

فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه إني لأجد ريح مسك ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء فجذبه فإذا هو يزدجرد فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له أعطني أربعة دراهم وأخلي عنك فلم يكن معه وقال إن خاتمي لا يحصي ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر أني سأحتاج إلى أربعة دراهم واضطر إلى أن يكون أكلي أكل الهر فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه وأرادوا قتله فقال ويحكم إنا نجد في كتبنا أنه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا فلا تقتلوني واحملوني إلى الدهقان أو إلى العرب فإنهم يستبقون مثلي. فأخذوا ما عليه من الحلي وخنقوه بوتر القوس وألقوه في الماء فجري به الماء حتى انتهي إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود فأخذه أسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه. وقيل: بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطبسين وقهستان في أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لأحدهما براز وللآخر سنجان وكانا متباغضين، فسعي براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وأفشي ذلك إلى امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب أيضاً إلى رحى على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحى فأطعمه الطحان فطلب منه شيئاً فأعطاه منطقته فقال إنما يكفيني أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفأس كان معه وأخذ ما عليه وألقي جيفته في الماء وشق بطنه وثقله. وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وإنما شهريار

بن شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتنا مع ما نال النصارى في ملك جده أنوشروان من الشرف فينبغي أن نحزن لقتله ونبني له ناووساً فأجابوه إلى ذلك وبنوا له ناووساً وأخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها في الناووس. وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل أردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب [(١)].

ما قاله البلاذري في مقتل يزدجرد

ذكر البلاذري أنّ يزدجرد هرب من المدائن إلى حلوان، ثم إلى إصبهان. فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من إصبهان إلى إصطخر. فتوجه عبد الله ابن بديل بن ورقاء بعد فتح إصبهان لاتباعه فلم يقدر عليه. ووافى أبو موسى الأشعري إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلك، وعاناها عثمان بن أبي العاصي الثقفي فلم يقدر عليها. وقدم عبد الله بن عامر بن كريز البصرة سنة تسع وعشرين، وقد افتتحت فارس كلها إلا إصطخر وجور، فهمَّ يزدجرد بأن يأتي طبرستان. وذلك أن مرزبانها عرض عليه وهو بإصبهان أن يأتيها وأخبره بحصانتها، ثم بدا له فهرب إلى كرمان، واتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي وهرم بن حيان العبدي، فمضى مجاشع فنزل بيمنذ من كرمان، فأصاب الناس الدمق، وهلك جيشه فلم ينج إلا القليل، فسمى القصر قصر مجاشع. وانصرف مجاشع إلى ابن عامر. وكان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمان، فدخل عليه مرزبانها فلم يكلمه تيهاً، فأمر

---

(١) أنظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٣ ص ١١٩.

بجر رجله وقال: ما أنت بأهل لولاية قرية فضلاً عن الملك، ولو علم الله فيك خيراً ما صيرك إلى هذه الحال. فمضى إلى سجستان، فأكرمه ملكها وأعظمه، فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتنكر له. فلما رأى يزدجرد ذلك سار إلى خراسان، فلما صار إلى حد مرو تلقاه ماهويه مرزبانها معظماً مبجلاً، وقدم عليه نيزك طرخان فحمله وخلع عليه وأكرمه، فأقام نيزك عنده شهراً، ثم شخص وكتب إليه يخطب ابنته، فأحفظ ذلك يزدجرد وقال: اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبيدي، فما جرأك على أن تخطب إليّ؟ وأمر بمحاسبة ماهويه مرزبان مرو، وسأله عن الأموال. فكتب ماهويه إليّ نيزك يحرضه عليه ويقول: هذا الذي قدم مفلولاً طريداً فمننت عليه ليرد عليه ملكه، فكتب إليه بما كتب. ثم تضافرا على قتله. وأقبل نيزك في الأتراك حتى نزل الجنابذ، فحاربوه، فتكافأ الترك ثم عادت الدائرة عليه، فقتل أصحابه ونهب عسكره. فأتى مدينة مرو فلم يفتح له، فنزل عن دابته ومشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب، ويقال إن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره فقتلوه في بيت الطحان. ويقال إنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ينبغي لقاتل ملك أن يعيش. فأمر بالطحان فقتل. ويقال إن الطحان قدم له طعاماً فأكل، وأتاه بشراب يشرب فسكر، فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه، فبصر به الطحان فطمع فيه، فعمد إلى رحا فألقاها عليه، فلما قتله أخذ تاجه وثيابه وألقاه في الماء. ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان وأهل بيته وأخذ التاج والثياب. ويقال إن يزدجرد نذر برسل ماهويه فهرب ونزل الماء. فطلب من الطحان فقال: قد خرج من بيتي. فوجدوه في الماء. فقال: خلوا عني

أعطكم منطقتي وخاتمي وتاجي. فتغيبوا عنه. وسألهم شيئاً يأكل به خبزاً فأعطاه بعضهم أربعة دراهم. فضحك وقال: لقد قيل لي إنك ستحتاج إلى أربعة دراهم. ثم إنه هجم عليه بعد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه. فقال: لا تقتلوني واحملوني إلى ملك العرب لأصالحه عني وعنكم. فأبوا ذلك وخنقوه بوتر، ثم أخذوا ثيابه فجعلت في جراب، وألقوا جثته في الماء [(١)].

تكامل صفاتها

إنّ اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام، وتأهلها لأن تكون وعاءً للمعصوم دون غيرها، يكشف لنا بوضوح عن مدى كمالها وبعد إيمانها، بالإضافة الى الروايات التي تتحدث عن اهتمام يد الغيب في تربيتها واصطفائها، فقد ورد عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما اقدمت بنت يزدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إليها الخليفة الثاني غطت وجهها وقالت: اف بيروج بادا هرمز...الخ [(٢)]. والكلام الذي نطقت به فارسي، مشتمل على تأفيف ودعاء على أبيها هرمز، تعني لا كان لهرمز يوم فإن ابنته أسرت بصغر ونظر اليها الرجال.

وقيل: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد سماها مريم، وهذا ما يعطيها نفس المكانة. ويقال: سماها فاطمة، وكانت تدعى سيدة النساء [(٣)].

---

(١) فتوح البلدان، البلاذري، ج ٢ ص٣٨٧. وانظر: أيضا البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ ص١٧٨.

(٢) راجع: الكافي، الكليني، ج١ ص٤٦٧.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص١٣.

ومن كلامه عليه السلام وقد سأل شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير [(١)].

وأجاد الحر العاملي في أرجوزته حين وصفها قائلاً:

أو أمــــه ذات العلـــــى والمجـــــد	شـــاه زنـــان بنـــت يـــزد جـــرد
وهـــو ابـــن شـــهريار بـــن كـــسرى	ذو سـؤدد لـيس يخـاف كـسرى [(٢)]

علي يغير اسمها

اهتم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام في أم السجاد عليها السلام كثير الاهتمام، وقد أمر في عتقها مع جميع من معها من السبايا، ومن ثم وصى بها وقام بتغيير اسمها حيث قال عليه السلام لها: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه، فقال لها بل شهر بانويه [(٣)].

فقوله عليه السلام: بل شهر بانويه كأنه عليه السلام غير اسمها للسنة، أو لأنه من أسماء الله تعالى، لما ورد في الخبر في النهي عن اللعب بالشطرنج إنه يقول مات شاهه وقتل شاهه والله شاهه ما مات وما قتل [(٤)].

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١ – ص ٣٠٢.

(٢) نقلاً عن: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص ١٠٧.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار، ص٣٥٥.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص ١٠.

وجاء في مجمع البحرين، أن بعض الشارحين قال: لا يخفى ما في هذا الحديث من الإغماض، والذي يخطر في البال: أن الشاه المذكور هنا عبارة عن شيء يتقامر فيه يسمى بهذا الاسم يضاف إلى المتقامرين، فحين يقع النزاع بينهما ويريد الآخر إثبات ما يدعيه باليمين يقول هذا القول وهو في الحقيقة لا ينبغي أن يستعمل إلا فيمن له السلطنة والغلبة، وهو الله تعالى. فعلى هذا ينبغي رفع شاهه في قوله: (والله تعالى ذكره شاهه ما مات ولا قتل) على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شاهه لا غير، فكيف ينسب إليه الموت والقتل[1].

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام أبدل اسم شاه زنان بـ (شهر بانويه) لئلا تشارك الزهراء عليها السلام لقبها، فإن شاه زنان تعني في العربية: سيدة النساء، وقد خصت فاطمة الزهراء عليها السلام بلقب سيدة نساء العالمين.

كما يؤيده ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما اسمك؟ قالت: شاه زنان قال: نه شاه زنان نيست، مگر دختر محمد صلى الله عليه وآله وهي سيدة النساء، أنت شهربانو وأختك مرواريد بنت كسرى قالت: آريه[2] (يعني نعم).

والمراد من المعنى هنا أنّ الإمام عليه السلام حينما سألها عن إسمها قالت اسمي شاه زنان أي سيدة النساء، قال عليه السلام لا لست سيدة النساء بل بنت محمد صلى الله عليه وآله سيدة النساء، أنت شهربانو أي سيدة المدينة. وهذا لا يقال في العرف الفارسي إلا للمرأة ذات الشأن العظيم والمنزلة الرفيعة.

---

(١) أنظر: مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج٢ ص٤٧٤.

(٢) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، ص ١٩٦.

رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام

حظيت أم الإمام السجاد عليه السلام بتربية إلهية ومراعاة غيبية وهذا يعكس عن صفائها وطهارتها وما أعدها الله للمستقبل المنير، فقد كشفت الروايات جملة من الكرامات التي تلبست بها هذه السيدة الجليلة منها، اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام حيث قالوا: إنما اختارت الحسين عليه السلام لأنّها رأت فاطمة عليها السلام وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين، ولها قصة، وهي أنها قالت رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله دخل دارنا وقعد مع الحسين عليه السلام وخطبني له وزوجني منه، فلما أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا، فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله قد أتتني وعرضت علي الإسلام فأسلمت ثم قالت: إن الغلبة تكون للمسلمين، وإنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد قالت: وكان من الحال أني خرجت إلى المدينة ما مس يدي إنسان [1].

الرؤيا في القرآن والسنة

من الظواهر التي يلاحظها الإنسان بكل أطيافه وباستمرار على مر التاريخ هي ظاهرة الرؤيا، وقد اهتمت بها أغلب الأمم، وإذا رجعنا الى الشريعة الإسلامية نرى أنّها تقسم الرؤيا على ثلاثة أقسام بحسب ما ورد من النصوص الشريفة، كما عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الرؤيا ثلاثة: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان،

(١) أنظر: موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي، ج٨ ص٣٨٥. وبحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦ ص١١.

ورؤيا يحدث بها الإنسان نفسه فيراها في النوم [١]. وأيضا ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام [٢].

وجدير بنا أن نلقي نظرة مختصرة ومقتضبة في بيان حقيقة الرؤيا، فقد ذكروا أنّ العوالم ثلاثة:

الأوّل: عالَم الطبيعة وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه، والأشياء الموجودة فيه صور مادية تجري على نظام الحركة والسكون والتغير والتبدل، فالأشياء في عالم الدنيا تحتوي على صور ومواد.

الثاني: عالم المثال، وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

الثالث: عالم العقل وهو فوق عالم المثال وجوداً وفيه حقائق الأشياء وكلياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة وله نسبة السببية لما في عالم المثال.

والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانخة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل، فإذا نام الإنسان وتعطل الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان.

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج١ ص ٧٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨ ص ٩٠.

فان كانت النفس كاملة متمكنة من ادراك المجردات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية وإلا حكتها حكاية خيالية بما تأنس بها من الصور والأشكال الجزئية الكونية، كما نحكي نحن مفهوم السرعة الكلية بتصور جسم سريع الحركة ونحكي مفهوم العظمة بالجبل ومفهوم الرفعة والعلو بالسماء وما فيها من الاجرام السماوية والشجاع بالأسد إلى غير ذلك.

وان لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها بشيء من التغيير ويتفق ذلك غالبا في النفوس السليمة المتخلفة بالصدق والصفاء وهذه هي المنامات الصريحة، وربما حكت ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها، ومن أمثلة هذا النوع من المنامات ما نقل أنّ رجلاً رأى في المنام انّ بيده خاتما يختم به أفواه الناس وفروجهم فسأل ابن سيرين عن تأويله فقال إنك ستصير مؤذناً في شهر رمضان فيصوم الناس بأذانك.

وقد تبين أنّ المنامات الحقة تنقسم انقساماً أولياً إلى منامات صريحة لم تتصرف فيها نفس النائم فتنطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة، ومنامات غير صريحة تصرفت فيها النفس من جهة الحكايا لأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسبه أو يضاده وهذه هي التي تحتاج إلى التعبير بردها إلى الأصل الذي هو المشهود الأولى للنفس.

ثم هذا القسم الثاني ينقسم إلى قسمين أحدهما ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنتقل من الشيء إلى ما يناسبه أو يضاده ووقفت في المرة والمرتين مثلاً بحيث لا يعسر رده إلى أصله، وثانيهما ما تتصرف فيه النفس من غير أن تقف على حدٍ كأن تنتقل مثلاً من الشيء إلى ضده ومن الضد إلى مثله ومن مثل الضد إلى ضد المثل وهكذا بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أنّ يرده إلى الأصل المشهود، وهذا النوع من المنامات هي المسماة بأضغاث الأحلام ولا تعبير لها لتعسره أو تعذره[1].

والحاصل: إنّ المنامات ثلاثة أقسام كلية: وهى المنامات الصريحة ولا تعبير لها لعدم الحاجة إليه، وأضغاث الأحلام ولا تعبير فيها لتعذره أو تعسره، والمنامات التي تصرفت فيها النفس بالحكاية والتمثيل وهي التي تقبل التعبير.

الرؤيا الصادقة

الرؤيا الصادقة حقيقة ثابتة كما دلت عليها شواهد كثيرة من القرآن والسنة، وقد ذكر ذلك بشكل صريح في القرآن الكريم في منامات عديدة من الأنبياء وغيرهم، كما في سورة الصافات (رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام)، وفي سورة يوسف أربعة منامات، أحدها ليوسف عليه السلام، واثنان للشابين الذين دخلا معه السجن، ورؤيا للملك يوم ذاك، وكانت هذه الأحلام والمنامات صادقة وقد تحقق تأويلها وتعبيرها في الخارج.

---

(١) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١١ ص ٢٧١.

وقد جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وآله أنّه رأى منامات وفسرها وكانت كما أخبر بها. والسيدة فاطمة عليها السلام رأت أباها في المنام في يوم وفاتها، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله أنت الليلة عندي، فتوفيت عليها السلام في ذلك اليوم. وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام قبيل وفاته، وباقي الأئمة عليهم السلام.

ويمكن أن تقسم الرؤيا الصادقة على عدة أقسام: منها، ما تكون تذكير أو ناهية وزاجرة عن فعل القبيح الذي ربما غفل عنه الإنسان فيريه رؤية تزجره عن فعل تلك المعصية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان العبد على معصية الله عز وجل وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية، وإن الرؤيا الصادقة جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة[١].

وفي هذا الصدد ينقل أنّ رجلا قال لعلي بن الحسين عليهما السلام: رأيت كأني أبول في يدي. قال: تحتك محرم. فنظروا فإذا بينه وبين امرأته رضاع[٢].

ومنها: ما تحكي عن المستقبل، وتكون لها دلالات مستقبلية وتذكر أموراً لم تتحقق بعد، كما هو مذكور في القرآن الكريم في عدة مواضع، والتي منها، سجود الكواكب والشمس والقمر ليوسف عليه السلام، حيث فيه دلالة إلى نبوة يوسف عليه السلام في المستقبل، ورؤيا عزيز مصر بأن سبع بقرات عجاف تأكل سبع بقرات سمان وقد فسرها نبي الله يوسف عليه السلام بما يجري في المستقبل.

ومنها: ما يكون ضرباً من الإيحاء وهذا ما يخص الأنبياء والأولياء كما ورد

---

(١) راجع: الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٢٤١.

(٢) راجع: الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، ج ١ ص ٣١٦.

في القرآن الكريم عن لسان إبراهيمعليه السلام ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[١]، وعلى ذلك فالرؤيا التي يترتب عليها حكمٌ شرعيٌّ أو أصل عقائديٌّ وتكون حجة مستقلة هي للأنبياء خاصة؛ لأنه نوع من أنواع الوحي.

نعم ربما يكون إيحاء لبعض الأولياء ولو عن طريق المكاشفة أو مكالمة من عالم ما وراء الطبيعة، كما ورد عن أم نبي الله موسىعليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٢]، حيث ورد في الروايات انّه كان رؤيا[٣].

تطبيق الرؤيا في المقام

ونقول من هذا وذاك إنّ أم المعصومعليها السلام لا تقل شأناً عن أم موسىعليها السلام وغيرها، بأن يحبوها الله عز وجل بالإيحاء والمكاشفة والبشارة، لأن تكون وعاءً وحجراً لحجة الله على خلقه وغير ذلك، وعليه كانت رؤيا السيدة شهر بانويهعليها السلام (أم السجادعليه السلام) أو رؤيا السيدة نرجسعليها السلام (أم الإمام المهديعليه السلام) رؤيا صادقة، بل تعتبر نوعاً من المكاشفة والمعاينة، فقد خطبها رسول اللهصلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا، ولقنتها الزهراءعليها السلام الشهادتين حتى أسلمت، وبشرتها بزواجها من الحسينعليه السلام،

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) القصص: ٧.

(٣) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١١ ص٢٦٨.

وهكذا الحال في نرجس عليها السلام، فلا ينبغي الشك في مطلق الرؤى والأحلام من حيث إنّه لا ينسجم مع العصر والنهضة العلمية، كما روج له الكثير من الذين حصروا أنفسهم في بوتقة التجربة وعالم المادة ولم يكن لهم نصيب في التعرف على ما وراء الطبيعة وعالم الغيب، مع أنّ الرؤيا شاهد قاطع على ذلك، فأمّ المعصوم عليه السلام لها الحظ الأوفر في احتكاكها بالغيب واطلاعها على مجرى الأمور، وذلك بما تحويه من مؤهلات ومواهب وفضائل وغيرها.

موقف من عفافها وإيمانها

صحيح أنّها عاشت في بيئة مترفة بعيدة عن التعاليم والقيم الإسلامية لكن لا يلزم منه انحرافها الخلقي وانحطاطها النفسي وما إليه؛ لأنّها كانت تحت الرعاية والتخطيط الإلهي، وكل المؤشرات تؤكد إيمانها وتوحيدها ولو على طريق الكتم والإخفاء، كما هو الحال في أغلب الأسرة الهاشمية في الجاهلية، أو زوجة فرعون حيث تحدث الله عنها بقوله: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[(١)]، وغير ذلك كثير، لذلك نلاحظ الإمام علياً عليه السلام اهتم بها كثيراً وعندما أنحلها ابنه الحسين عليه السلام أو هي اختارته سارع في الإشارة والتلميح إلى الأمر الذي خططت له السماء بقوله: **احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك، وهي أم الأوصياء الذرية الطيبة**. مع الحفاظ

---

(١) التحريم: ١١.

والتشدد الذي كانت تعيشه داخل الأسرة، لذلك ورد عن أبي الحسن علي بن حماد العبدي بالبصرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة عن رجاله أنّه قال: لما فتحت المدائن وجمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة الغنائم، وأحضر عمر جميع المسلمين ليقسموها على ما أوجبه الله، وعرضت السبايا عليهم وهن متابعات بينهم، أبرزت شهربان بنت يزدجرد وهي مختمرة وعليها من ثياب الملوك شملة، فقال عمر: احبسوا عنها الخمار فلا حرمة إلا للإسلام. فقال له علي عليه السلام يجب لبنات الملوك أن تتميزن عن غيرهن. فقال له عمر: أفيخرجن من السبي ويزول عنهن الرق؟ قال: [لا] ولكن لا يهتك خمرهن ويجعل الاختيار إليهن فيمن يملكهن. فأجاز عمر ذلك وطيف بها عليهم (وهم جلوس مجتمعون) ليقع اختيارها على من تملكها من المسلمين، فلم تزل تتفحصهم، ثم أشارت إلى الحسين عليه السلام من بينهم، فحصلت في سهمه على ما أوجب من الفرض له، فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ثم حدث أبو نصر مهيار بن أدبار (وكان من رؤساء المتصرفين وعلماء المجوس المتأدبين) عن رجاله ومن أسند من رواة الطائفة إليه: إنّ شهربان حين طيف بها عند اقتسام الغنائم على كافة المسلمين في المسجد لتختار من تكون من سهمه منهم، وتسير إلى من يحصل في ملكه من جملتهم، ووقع اختيارها على الحسين، وصارت في قسمه، وتقدم لحملها إلى داره، قال لها عمر: أخبريني عنك: قد عرض عليك كافة المسلمين، وفيهم أنا وأنا أميرهم، وما يتعذر وجود الكهول والصباح والشبان والأوضاح فيهم، وكيف اخترت هذا الفتى من بينهم؟ فقالت: الصدق أنجى وأرجى، كنت حين طيف بي

على الجماعة (فأنا ألحظهم ليقع اختياري على من يملكني منهم) لا أرى أحداً إلا يرمقني بطرف حديد ونظر شديد غير هذا الكهل وابنيه (وأشارت إلى علي‌عليه السلام) فإنهم ما لحظوني ولا التفتوا إليّ، فرأيت النزاهة وشرف الهمة هناك، فبينت إليهم الاختيار، وعلمت أن المروءة ملك لا يزول إذا زالت الممالك بنوائب الدهر. فقال لها: أفلا اخترت أباه فهو أفضل منه، أو أخاه فهو كبيره؟ فقالت: نزعت نفسي إلى [...] سنا لحداثته، ورغبت مع الشرف والعفاف فيما يرغب فيه أمثالي، فأعجبه ذلك منها وأثنى هو والجماعة الخير عليها [(١)].

زمان سبيها

اختلف المؤرخون في زمان سبي السيدة شهربانو وفي أي عهد من الخلفاء كان، ولكنّ المشهور كما عليه كثير من المؤرخين هو في زمن خلافة عمر بن الخطاب كما جاء في وفيات الأعيان وغيره، حيث قالوا: إنّ الصحابة رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهم من بنات السوقة، فقال كيف الطريق إلى العمل معهن، قال يُقَومنَ ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن، فقُومنَ وأخذهنّ علي رضي الله عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر وكان ربيبه [(٢)]. وهناك

(١) أنظر: العقد النضيد والدر الفريد، محمد بن الحسن القمي، ص ١٤٥.

(٢) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج ٣ ص٢٦٧.

روايات تفيد أنّه ترك لهن الخيار من بين الحاضرين فاختارت السيدة شهربانو الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن جاء في العيون عن الرضا عليه السلام أن عبد الله بن عامر لما افتتح خراسان أصاب ابنتين لـ(يزدجرد بن شهريار) ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما للحسن عليه السلام والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلي بن الحسين عليهما السلام فكفله بعض أُمَّهات أولاد أبيه[1].

وقيل: جاءوا بها مع أختها كيهان بانو من حدود فارس في خلافة عثمان بن عفان فأراد أن يبيعهما، قال له علي عليه السلام لا يعامل في بني الملوك معاملة سائرهم. فتزوج الحسين شهربانو، فولدت له علياً الأصغر، وتزوج محمد بن أبي بكر كيهان بانو، فولدت له القاسم. حتى قالوا: انظر إلى بركة العدل حيث جعل الله -تبارك وتعالى- الأئمة المهديين من نسل الحسين عليه السلام من بنت يزدجرد المنتسب إلى كسرى أنوش (روان الملك العادل) دون سائر زوجاته[2].

وهناك قول ثالث كما جاء في الإرشاد إنّها سبيت في عصر خلافة الإمام علي عليه السلام حيث قال: ولى أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق، فبعث إليه ابنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى فنحل ابنه الحسين عليه السلام[3].

ويمكن أن يرجح أنّ سبيها في عهد خلافة عثمان، أو زمن خلافة أمير

---

(١) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٣٦.

(٢) راجع: ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج٣ ص١٥٢.

(٣) راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص١٣٧.

المؤمنين عليه السلام إذ أنّ أسر أولاد يزدجرد الظاهر أنّه كان بعد قتله أو استئصاله، وذلك كان في زمن عثمان، وإن أمكن أن يكون بعد فتح القادسية أو نهاوند أخذ بعض أولاده هناك قبل مقتله وكانت من جملتهم شهربانو. وأيضاً يلاحظ على المشهور من أنّ ولادة الإمام السجاد عليه السلام كانت سنة (٣٨هـ) فإذا فرضنا أنّها سبيت في خلافة عمر بن الخطاب كما عليه المشهور فيلزم منه أنّها بقيت بدون حمل إلى ما يقارب عشرين سنة وهو عادة بعيد، فالأرجح أن نقول إنّها سبيت في خلافة عثمان أو علي عليه السلام.

ولكن هذا أيضاً ليس دليلاً قطعياً، حيث يمكن أنّ تتأخر المرأة عن الحمل سنين متعددة كما ثبت ذلك في القرآن الكريم من أنّ زوجة إبراهيم عليه السلام سارة تأخرت الى ما بعد اليأس، وأيضاً كانت الفاصلة بين أولاد فاطمة بنت أسد عشر سنين، وربما الجميع اطلع على أنّ بعض النساء تأخر بهن الحمل إلى فترة طويلة في مثل هذه الأيام التي اتسمت بالتطور العلمي لاسيما في المجال الصحي والتناسلي وما إليه.

علي ينظر إلى المستقبل

من المسلمات عند كل المسلمين أنّ الإسلام لا يختص بقومية واحدة أو فئة خاصة وإنما هو يعم كل البشر كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى**

وَالْفُرْقَانِ﴾[١] فهو نداء عام للناس جميعاً في كل زمان ومكان لإخراجهم من الظلمات إلى النور في دار الدنيا والآخرة، فعليه أنّ تُتخذ خطوات تسهل دخول الناس إلى هذا المرفأ الكريم، فالمرونة والعفو عن الغير من السجايا التي تطمع الغير في الإقرار والتسليم، فترك الإمام موقفاً لاسيما مع بنات ملوك الفرس ربما كان أحد العوامل في دخولهم الإسلام وإخلاصهم فيه، لذلك ذكر المؤرخون أنّه لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب (على القول إنّها سبيت في زمن خلافة عمر بن الخطاب) بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أكرموا كريم كل قوم، فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورغبوا في الإسلام ولابد أن يكون لي فيهم ذرية، وأنا اشهد الله وأشهدكم أني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى، فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقنا أيضاً لك، فقال: اللهم اشهد أني قد أعتقت ما وهبوا لي لوجه الله، فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لك يا أخا رسول الله، فقال: اللهم اشهد إنّهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته وأشهدك أني قد أعتقتهم لوجهك، فقال عمر: لم نقضت عليَّ عزمي في الأعاجم؟ وما الذي رغبك عن رأيي فيهم، فأعاد عليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في إكرام الكرماء فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إياهم[٢].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١١ ص١٣٢. و الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، ج٢ ص٨٢٥.

شهربانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً

لم يكن اختيارها للحسين عليه السلام في معزل عن التخطيط والإرادة الإلهية، بل هي اقترنت به في عالم الأرواح والغيب (كما تقدم) قبل حضورها واختيارها له في عالم المادة والأجساد وهذا يعبر عن ارتباط الغيب في زواجها للحسين عليه السلام، فقد ذكروا هناك رهط من قريش وغيرهم كانوا حاضرين وكانت لهم المكانة والإمرة وقد رغبوا في زواجها لكن اعترضهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: هن لا يكرهن على ذلك ولكن يخيرن ما اخترنه عمل به، فأشار جماعة إلى شهر بانويه بنت كسرى فخيرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور فقيل لها: من تختارين من خطابك؟ وهل أنت ممن تريدين بعلاً؟ فسكتت فقال أمير المؤمنين قد أرادت وبقي الاختيار، فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أتته كريمة قوم لا ولي لها -وقد خطبت- يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟ فإن استحيت وسكتت جعل إذنها صماتها وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا لم يكرهها على ما تختاره، وإن شهر بانويه أريت الخطاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن علي عليهما السلام، فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها، وقالت: هذا إن كنت مخيرة، وجعلت أمير المؤمنين عليه السلام وليها، وتكلم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟ فقالت: شاه زنان بنت كسرى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت شهر بانويه وأختك مرواريد بنت كسرى قالت: آريه [1].

---

(١) الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، ج٢ ص٨٢٥. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج٢٠ ص١٥٢.

شهربانو وعاء للمعصوم

حازت هذه السيدة الجليلة بهذه المفخرة العظيمة حتى أصبحت وعاءً وأمّاً للإمام المعصوم عليه السلام، وهذا مما لا يتسنى لكل امرأة إلا أنّ تُصطفى وتُعد من قبل السماء، حتى تكون الوعاء السالم والصالح المناسب لهذا المخلوق العظيم، وهذا الحكم من الاصطفاء والإعداد الإلهي لا يجب في مجرد الزوجة، حيث إنّ الأُم تختلف عن الزوجة بشكل جوهري ولذلك ذكر القرآن أنّ هناك زوجات لبعض الأنبياء عليهم السلام كُنَّ خائنات في عدم تمسكهن بخط النبوة والهدي الإلهي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[1]، مع أنّه لم نجد أي انحراف أو غيره لأُم من الأنبياء أو الأوصياء بل نجد العكس من أنّها قد أُعدت من الناحية الروحية والنفسية والجسدية كي تكون وعاءً صالحاً لأشرف مخلوقات أهل زمانه، وربما السبب في ذلك لأنّ للأُم أثراً تكوينياً على الجنين بخلاف مجرد الزوجة فإنّها لا تؤثر تكويناً على الزوج ولا يلزم من انحرافها آثارٌ سلبية تكوينية على الزوج وإنما يرجع عليها فقط، أمّا الأم الكافرة والملوثة أو حتى الضعيفة روحياً ومعنوياً ترجع بآثارها على جنينها وأسرتها، فشرط الطهارة والنقاء في أُمَّهات الأنبياء والأئمة أمر ثابت ولا غبار عليه بخلاف زوجاتهم عليهم السلام، وعندما

(١) التحريم: ١٠.

نرجع الى أُم الإمام السجاد عليه السلام نجد أنّها حظيت باهتمام ورعاية إلهية على الصعيد المادي والروحي، كما جاءت في ذلك عدة روايات، منها ما روي عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قدمت ابنة يزدجرد ابن شهريار آخر ملوك الفرس وخاتمتهم على عمر، وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة، وأشرق المجلس بضوء وجهها، ورأت عمر فقالت: آه بيروز باد هرمز، فغضب عمر وقال: شتمتني هذه العلجة، وهمَّ بها، فقال له علي عليه السلام: ليس لك إنكار على ما لا تعلمه، فأمر أن ينادى عليها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوك، ولكن أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين حتى تتزوج منه، وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن، فقال عمر: أفعل، وعرض عليها أن تختار فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين عليه السلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: چه نام داري أي كنيزك، يعني: ما اسمك يا صبية؟ قالت جهان شاه، فقال بل شهر بانويه، قالت: تلك أختي قال: راست گفتى، أي صدقت ثم التفت إلى الحسين فقال: احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك، وهي أم الأوصياء الذرية الطيبة، فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام [(١)].

سؤال وجواب

ربما يقال إنّ الإسلام نهى عن تزويج الأمة مع أنّنا نلاحظ أنّ أغلب أُمَّهات الأئمة المعصومين من الإماء؟ كما سيأتي أنّ ستة أئمة إضافة إلى أم الإمام

(١) راجع: الكافي، الكليني، ج١ ص٤٦٧.

السجادعليه السلام أُمَّهاتهم إماء، نعم إنّ الزواج بالإماء إنما يجوز لمن يعاني من ضغط شديد بسبب شدة غلبة الغريزة الجنسية عليه ولم يكن قادراً على التزوج بالحرائر من النساء، وعلى هذا الأساس لا يجوز الزواج بالإماء لغير هذه الطائفة.

فيمكن أن تكون فلسفة هذا الحكم في أن الإماء خاصة في تلك العهود لم يحظن بتربية جيدة، ولهذا كنّ يعانين من نواقص خلقية ونفسية وعاطفية، ومن الطبيعي أن يتخذ الأطفال المتولدون من هذا الزواج صفة الأُمَّهات ويكتسبوا خصوصياتهن الخلقية، ولهذا السبب طرح الإسلام طريقة دقيقة لتحرير العبيد تدريجاً حتى لا يبتلوا بهذا المصير السيئ، وفي نفس الوقت فسح للأرقاء أنفسهم أن يتزوجوا فيما بينهم.

والجواب

هذا الموضوع لا يتنافى مع وضع بعض الإماء اللائي حظين بوضع استثنائي وخاص من الناحية الخلقية والتربوية وغيرهما، فالحكم المذكور أعلاه يرتبط بأغلبية الإماء، وكون بعض أُمَّهات الأئمة من أهل البيت النبويعليهم السلام من الإماء هو من هذه الجهة كما سيتضح.

وأمّا الظروف السياسية والاجتماعية التي ألجئتها الى هذا الحال من الأسر والرق لا يقلل من شأنها ولا يؤثر في ذاتها وكيانها بل تبقى بكمالها وبعدها المعنوي، وربما تكون هذه الظروف الأليمة التي واجهتها سبباً في اعدادها وترقيها، إضافة إلى حفظها من أيدي الغاشمين.

فلسفة أكثر اُمَّهات الأئمة جوارٍ

إن مما يدعو إلى الالتفات ويثير التساؤل هو أن أكثر اُمَّهات الأئمة عليهم السلام جوار من غير العرب، فأم كل من السجاد والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والحجة عليهم السلام اُمَّهات أولاد، وقعن في الأسر، واقترن بهنّ الأئمة عليهم السلام، مع أنّه لا يغيب عن بالنا ما يجري في سوق العبيد والجواري، مضافاً إلى أن مسألة الإمامة ليست من المسائل العادية، فإنّها تستوجب الحيطة والحذر في كل ما يرتبط بولادة الإمام المعصوم عليه السلام وتربيته ونشأته، وكما أنّ الأب ينبغي أن يكون في أعلى درجات الكمال الممكن، فكذلك الأم وعلى ذلك قامت الأدلة. وهذا البحث جدير بالعناية والدراسة.

والسؤال الذي يواجهنا، هو ما هو السر في اختيار الأئمة للجواري من دون الحرائر العربيات من البيوتات الرفيعة ذات المنزلة الاجتماعية؟

ولماذا يقترن الأئمة عليهم السلام بالجواري ليلدن لهم أفضل الأولاد والبنات؟

وللإجابة عن ذلك لابد أن نسلط الأضواء على بعض المفاهيم العامة والركائز الأساسية ذات الصلة بما نحن فيه لنخرج من خلالها بما يرفع الغموض والإبهام عن هذه المسألة.

والذي يظهر من خلال دراسة بعض المفاهيم العامة والقواعد الأساسية أن وراء اختيار الأئمة عليهم السلام الجواري أسباباً أهمها ثلاثة.

الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم

إن مما لا شك فيه أن أئمة أهل البيت عليهم السلام - كما نعتقد وعليه قامت الأدلة - قد أوتوا العلم بحقائق الأمور والأشياء ومعرفة مداخلها ومخارجها، ومنها العلم بأحوال الناس وخصوصياتهم، وقد ورثوا ذلك عن رسول الله أو أطلعهم الله تعالى عليه لنفوذ بصائرهم، وصفاء نفوسهم وطهارة ذواتهم، ولما كان الأمر يتعلق بالإمامة ومنصب الولاية فلا بد من اختيار الوعاء الطاهر، والأصل الزاكي، والحجر العفيف الذي سيكون حاملاً وحاضناً لولي الله، وخليفته على العباد، والحجة على الخلق، ويعد ذلك من المسلمات البديهية في عقيدة الشيعة الإمامية، وإنما وقع اختيار الأئمة عليهم السلام على هؤلاء الجواري من دون سائر النساء لعلمهم عليهم السلام بأنهن قد جمعن شرائط الاقتران بالمعصوم وصلاحيتهن للأمومة التي ستنجب الإمام المعصوم، إذ كما يشترط أن يكون الآباء طاهرين مطهرين فكذلك الحال بالنسبة للأُمَّهات. وقد تقدم مدى تأثير الأم على ولدها، فإن لعامل الوراثة مدخلاً كبيراً في التكوين الخلقي المنعكس على الولد من قبل أبويه لاسيما الأم، لذلك نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد يختار واحدة بعينها من دون سائر الجواري اللاتي عرضن للبيع، وقد تكون غير صالحة - بحسب المعايير المادية - للبيع والشراء إلا أن الإمام عليه السلام لا يختار غيرها، بل تذكر المصادر كما سيأتي ذكرها أن هذه الجارية المعينة من قبل الله قد جعلت للإمام فقد تمتنع عن الاستسلام لأي مشترٍ يتقدم لشرائها حتى يكون الذي يشتريها هو الإمام عليه السلام، مع أنها في ظروف لا تملك

من أمرها شيئاً، الأمر الذي يؤكد على أن هناك تخطيطاً إلهياً متقناً لأن تكون هذه المرأة قرينة للإمام عليه السلام وقد أعدها الله تعالى لتصبح أمّاً ووعاءً للمعصوم. ويدل على ذلك ما تقدم من تحرك السماء نحو إيصال أم الإمام السجاد عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام ولم تتعدَ بالاختيار غيره.

ولو رجعت القهقرى ولاحظت كيف جعل الله إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام في بطن هاجر التي هي من الجواري كما قيل قبطية من مصر أهداها لسارة أحد ملوك مصر[1]، والذي ينحدر منه عن طريق هاجر نسب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد ذكر أنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام بقي فترة طويلة بلا ذرية مع زوجته سارة، ثم أشار عليها أن تبيع له هاجر تلك الجارية لتي حظيت بتربية إلهية وأعدت لأن تكون وعاءً للمعصوم نبي الله إسماعيل عليه السلام، وقد ذكرها القرآن وعظّمها وجعلها سبباً لإيجاد بعض السنن الإلهية والتي منها السعي بين الصفا والمروة، وقد دفنها ابنها إسماعيل عليه السلام مقابل البيت العتيق، بإزاء الركنين العراقي والشامي، والذي يسمى اليوم بحجر إسماعيل عليه السلام، وقد حجّر عليها لئلا يطأ الناس قبرها، تقديراً لها واحتراماً، ومن ثم هو دفن فيه وتبعه مجموعة من الأنبياء عليهم السلام، كما ورد ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل دفن أمه في الحجر وحجر عليها لئلا يوطأ قبر أم إسماعيل في الحجر[2]. وعنه أيضا قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل[3].

(١) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي، ج١ ص٨٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤ ص٢١٠.

(٣) المصدر نفسه.

ومن بعض الطرائف التي تذكر عن زيد بن علي الشهيد مع هشام بن عبد الملك حينما قال له، بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة؟. فقال له زيد: إن الأُمَّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل (هاجر) أمة لأم إسحق (سارة)، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمداً صلى الله عليه وآله، وأخرج من إسحق القردة والخنازير وعبدة الطاغوت [1].

الثاني: محاربة الطبقية والعرقية

إنّ من أعظم الركائز التي قام عليها الدين هو إلغاء الفوارق الطبقية بين أبنائه والمنتسبين إليه، وقد أكد القرآن الكريم في آياته، والرسول الكريم في سيرته على ذلك، وكانت النظرة إلى جميع الناس على أساسٍ من التساوي ونبذ الفوارق العرقية والنسبية، وأن المعيار في التفاضل بين الناس هو مقدار ما يتحلى به الإنسان من الإيمان والتقوى ومكتسباته الشخصية كما أشار إليه سبحانه في قوله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [2]. ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى وليس للعنصر العربي فضل على سواه، وليس لسواه فضل عليه، وليس ثمة ما يميز أحدهما على الآخر إلا مقدار قربه من الله تعالى، أو بعده عنه، ولذا رفع الإسلام من شأن سلمان الفارسي الأصل حتى غدا ينسب إلى أهل بيت

---

(١) أنظر: تاريخ الكوفة، السيد البراقي، ص ٣٨١. وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٧ ص١١٥.

(٢) الحجرات: ١٣

العصمة فقال ﷺ: **سلمان منا أهل البيت**[(١)]، ووضع الإسلام أبا لهب العربي الأصل والقرشي النسب، وهو عم النبي حتى غدا من أشد الناس عداوة لله ولرسوله، ونزل فيه قرآن يتلى، قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾[(٢)].

وقد اتخذ هذا المنهج القويم صوراً وأشكالاً مختلفة، لتثبيت هذه القاعدة، حتى تكون هي المنطلق والأساس في تقييم الأشخاص، وسعى سعياً حثيثاً بالقول تارة، وبالفعل أخرى، لبيان أن الإنسان لا يقعد به نسبه، ولا يعيقه عنصره، أو صنفه، عن تسنم أرفع الدرجات، إذا كانت على وفق ما يريد الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**﴾[(٣)]. ولم يكن الأمر يقتصر على القضايا الرئيسية ذات الأهمية القصوى، بل كانت تشمل الشؤون الجانبية الأخرى، فما كان النبي يفاضل بين أحد من المسلمين في العطاء - مثلاً -، وكان يرى أن المال مال الله والناس عباد الله، وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام الذي أتخذ هذه السيرة النبوية منهاجاً له، يقتفي خطى النبي في تطبيقها على المسلمين معتبراً نفسه واحداً منهم، وأنهم جميعاً أخوة في الدين، حتى أصبح هذا المبدأ أحد الأسس التي مهدت السبيل أمام كثير من الناس للالتحاق بهذا الدين والسير في ركابه.

---

(١) شرح أصول الكافي، صالح المازندراني، ج٧ ص٧.

(٢) المسد: ١-٣.

(٣) آل عمران: ١٩٥.

روى الكليني بسنده عن حنان، قال: سمعت أبي يروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد، فأقبلوا ينتسبون، ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت؟ ومن أبوك؟ وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عز وجل بمحمدٍ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمدٍ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمدٍ، هذا نسبي، وهذا حسبي، قال: فخرج النبي وسلمان (رضي الله عنه) يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ينتسبون، ويرفعون في أنسابهم حتى إذا بلغوا إلي قال عمر بن الخطاب: من أنت؟ وما أصلك؟ وما حسبك؟ فقال النبي: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهداني الله عز ذكره بمحمدٍ، وكنت عائلاً فأغناني الله عز ذكره بمحمدٍ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله عز ذكره بمحمدٍ، هذا نسبي، وهذا حسبي، فقال رسول الله: يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[1] ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله عز وجل، وإن كانت التقوى لك عليهم فأنت أفضل[2].

ولو أن هذا المبدأ أخذ مجراه كما أراد الله تعالى ورسوله، وكما سعى أمير

(١) الحجرات: ١٣

(٢) الكافي، الكليني، ج٨ ص ١٨١.

المؤمنين عليه السلام وأبناؤه المعصومون عليهم السلام لتطبيقه، لما احتجنا إلى حروب الفتوحات التي يعتبرها البعض إحدى إنجازات الإسلام الكبرى. وما يدرينا فلعل ما يحيق بالمسلمين من خصومهم من الكيد والعدوان إنما هو عمل انتقامي واقتصاص مما جرى في سالف الزمان من حروب الفتوحات إذ تركت حقداً دفيناً تتوارثه الأجيال، حتى إذا أمكنتهم الفرصة للانتقام شنوا حروباً لا هوادة فيها على الدين والأخلاق وبأساليب مختلفة. وكانت هذه السياسة طامة كبرى حرفت مسار الإسلام عن طريقه المستقيم، وأصبح الذين يرون أنفسهم من سادة القوم أن الاقتران بالجواري عارٌ لا يليق بالأشراف. ويدل على ذلك ما ورد من معاتبة عبد الملك بن مروان للإمام زين العابدين عليه السلام، واعتراضه عليه حين تزوج بإحدى الجواري، فقد روى الكليني بسنده عن يزيد بن حاتم، قال: كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي ابن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنّه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت، والسلام. فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنّه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر، واستنجبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عز وجل مني بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكيا في دين الله فليس

يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتمم به النقيصة، وأذهب به اللؤم فلا لؤم على امرءٍ مسلم، وإنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام. فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان، فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين عليه السلام، فقال: يا بني لا تقل ذلك، فإنّه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر، وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس[1]. وفي رواية أخرى عندما أعتق الإمام السجاد عليه السلام جارية له وتزوجها، كتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره بذلك، فكتب إليه الإمام عليه السلام قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قد أعتق رسول الله صلى الله عليه وآله صفية بنت حيي وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش[2]. وعرض بعض المحققين صوراً من هذه السياسة الهوجاء التي اتبعها الحكام في احتقار كل من هو غير عربي فقال: لقد أمر الحجاج أن لا يؤم في الكوفة إلا عربي، وقال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربي. كما طرد غير العرب من البصرة والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وا محمدا و أحمدا، ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن ترى أهل البصرة يلحقون بهم ويشتركون معهم في نعي ما نزل بهم من حيف وظلم، بل لقد قالوا: لا يقطع الصلاة إلا حمار، أو كلب، أو مولى. وقد أراد معاوية أن يقتل شطراً من الموالي عندما رآهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلك. وتزوج رجل من الموالي بنتاً من أعراب بني سليم، فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، وواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن

(١) الكافي، الكليني، ج٥ص٣٤٥.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٥ ص٢١٤.

إسماعيل، فشكى إليه ذلك، فأرسل الوالي إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه وحاجبه ولحيته، فقال محمد بن بشير في جملة أبيات له:

قضيت بسنة وحكمت عدلا ولم ترث الخلافة من بعيد

ولم تفشل ثورة المختار إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك. ويقول أبو الفرج الأصفهاني: كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية إذا جاء العربي من السوق ومعه شيء ورأى مولى دفعه إليه فلا يمتنع. بل كان لا يلي الخلافة أحد من أبناء المولدين الذين ولدوا من اُمَّهات أعجميات [(١)].

وذكر أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام قوله: الحق أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً يسوى فيه بين الناس، ويكافئ المحسن عربياً كان أو مولى ويعاقب المجرم عربياً كان أو مولى، وإنّما الحكم فيه عربي، والحكام خدمة للعرب، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية [(٢)]. ولما كان أهل البيت عليهم السلام هم أئمة الدين، أرادوا إظهار فساد هذه السياسة بإجراء عملي، وبدأوا بأنفسهم، وهم وإن لم يعطوا الفرصة ليمارسوا دورهم في تطبيق تعاليم الدين إلا أنهم لا يتخلون عن أداء وظيفتهم مهما أمكن، لذلك اختاروا اُمَّهات الأولاد الجواري - مع ملاحظة سائر الشرائط - ليثبتوا أن لا فرق بين أحد من الناس، وأن ما وضع من الامتيازات لبعض دون بعض لم تكن بحسب المقاييس

(١) راجع: حياة الإمام الرضا عليه السلام السيد جعفر المرتضى، ص٢٧.

(٢) ضحى الإسلام، ج١ ص١٨٧.

الإلهية، وإذا كانت الظروف قد قهرت بعض أولئك النسوة فأصبحن يبعن في أسواق الرقيق فلا يعني ذلك أنهن خاليات من الشرف والفضيلة، بل قد يكون العكس صحيحاً، فرب جارية أحاطتها العناية الإلهية لتكون قرينة للعصمة وأمّاً للمعصوم، وهذا ما حدث بالنسبة إلى اُمَّهات بعض الأئمةعليهم السلام. ولا يقاس بعد ذلك فضل هذه الجواري والإماء اللاتي أصبحن أوعية لحمل الإمامة بأي امرأة أخرى ممن لم تحظ بهذا الشرف العظيم، وإن كانت من أرقى البيوتات العربية بحسب الظاهر.

الثالث: الإسلام لكل الناس

إن مما لا شك فيه أنّ رسالة النبي المصطفىصلى الله عليه وآله هي الخاتمة الناسخة لجميع الرسالات السابقة وهي الشاملة لكافة البشر، فلا دين بعد دين الإسلام، ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[(١)] ولا نبي بعد النبي محمدصلى الله عليه وآله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك من البديهيات المسلمة التي لا مجال للنزاع فيها، وأيدت ذلك الأدلة والبراهين.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقى هذا الدين محفوظاً وإن رحل النبي إلى الرفيق الأعلى، وقد أوكلت مهمة حفظ الدين إلى ذرية النبيصلى الله عليه وآله وعترته، وهم وراث علمه ومقامه الأئمة الإثنا عشر أولهم أمير المؤمنينعليه السلام، وآخرهم الحجة بن الحسن العسكريعليه السلام، وعلى ذلك قامت الأدلة والبراهين أيضا.

---

(١) آل عمران: ١٩

ونتيجة ذلك أنه كما أن نبوة النبي عامة شاملة، فكذلك إمامة الأئمةعليهم السلام عامة وشاملة، ومعنى ذلك أن إمامة الأئمةعليهم السلام ليست مقتصرة على مجتمع معين أو عنصر معين، أو فئة من الناس معينة، فكما أن النبي بعث للأبيض والأسود على السواء، فكذلك إمامة الأئمةعليهم السلام لكافة الناس.

ومن هنا يتضح لنا وجه آخر في اقتران بعض الأئمة بنساء غير عربيات، بل من قوميات أخرى كالفارسية أو الرومية أو غيرهما، كما أوردت الروايات الدالة على ذلك. فإن أم الإمام السجادعليه السلام كانت من أصل فارسي، وكانت أم الإمام الكاظمعليه السلام من أشراف الأعاجم، وكانت أم الإمام الرضاعليه السلام من أهل المغرب، وكانت أم الإمام الجوادعليه السلام من أهل النوبة من قبيلة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله، وكانت أفضل نساء زمانها، وأشار إليها رسول الله بقوله: بأبي ابن خير الإماء النوبية الطيبة، وكانت أم الإمام الهاديعليه السلام مغربية، ولم يكن لها مثيل في الزهد والتقوى، وكانت أم الإمام الحسن العسكري في بلدها من الأشراف في مصاف الملوك، وكانت أم الإمام الحجة بنت قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحواريين، وتنسب إلى وصي المسيح شمعون كما سيأتي كل ذلك مفصلا في محله.

والذي نود أن نشير إليه في هذا الوجه أن الإمامة لما كانت عامة وأن الإمام إمام لكل الناس على شتى اختلاف أعراقهم وأصولهم انحدر بعض الأئمة من جهة أُمَّهاتهم من أصول غير عربية ليكون ذلك علامة بارزة على عالمية إمامتهم، وشمولها لجميع أهل الأرض، وأن لكل من السلالات البشرية طرفاً يوصلها بهذا

الدين الإلهي العظيم، وتلك حكمة بالغة ولطف عام لكل البشر، وأما العروبة فليس لها خصوصية في حد ذاتها من حيث هي وإنما المدار في الأول والأخير التقوى.

احتمال يفرض نفسه

ولعل هناك سرّاً آخر ينطوي تحت هذا الوجه قد تكشف عنه الأيام، نورده كاحتمال ليس إلا، إذ لا نملك دليلاً قاطعاً عليه، وإن كان في نفسه غير بعيد.

وحاصله: أنّ الإمام المهدي الموعود به على لسان النبي صلى الله عليه وآله، ونطق بذلك القرآن الكريم، وأكدت عليه الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام سيكون له الشأن العظيم في إعلاء كلمة الله تعالى، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وسيقوم بأداء مهمته في أغلب أحواله بشكل طبيعي، وإن كان يأتي بالمعجزة والكرامة تأييداً من الله تعالى، ولا شك أن تلك مهمة شاقة كما شرحتها الروايات والآيات.

وإذا كانت أم الإمام المهدي عليه السلام تنحدر من سلالة أحد أوصياء عيسى ابن مريم عليهما السلام فما يدرينا: لعل في ذلك تمهيداً وتسهيلاً لإنجاز مهمة الإمام عليه السلام في خضوع النصارى والكفار وتسليمهم له نظراً إلى أن أجداده لأمه منهم، فيحرك في نفوسهم الجانب العاطفي للرحم القائمة بينه وبينهم، الأمر الذي يختصر عليه كثيراً من الأمور وينجزها في سهولة ويسر. على أن ذلك أحد أسباب اللطف العام بأولئك النصارى حيث يكونون على مقربة من الهداية والنجاة.

أنا ابن الخيرتين

يكشف الإمام السجادعليه السلام عن أصالة نسبه من الطرفين كما روي عنهعليه السلام أنّه كان يقول أنا ابن الخيرتين، يعني جده محمداًصلى الله عليه وآله وعلياًعليه السلام وكسرى، فهو ابن خيرة العرب والعجم[١]. ولم يقل ذلك للبذخ والفخر ولكن بياناً للواقع، وكأنه نظر إلى قول جده رسول اللهصلى الله عليه وآله كما جاء في المناقب وغيره: **إنّ لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس**[٢]. ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلي بقوله:

وإنّ وليداً بين كسرى وهاشم   لأكرم من نيطت عليه التمائم

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسينعليه السلام: يا أبا عبد الله لتلدن لك منها خير أهل الأرض، فولدت علي بن الحسينعليه السلام وكان يقال لعلي بن الحسينعليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس[٣].

ولو لم تكن أمهعليها السلام بهذا المستوى من الفخر والسمو لكانت مندوحة ليزيد ابن معاوية في توهين وذم الإمام السجادعليه السلام لاسيما في المساجلات التي دارت بينهم في الشام، وعادة الأعداء يتربصون الثغرات كيف ما كانت للنيل من الطرف الآخر، وقد لاحظنا كيف كان توهين هشام بن عبد الملك لزيد بن عليعليه السلام، حيث قال له إنّك ابن أمة كيف تروم الى الخلافة، فلم يذكر لنا التاريخ أن عُيّر الإمام

(١) راجع: المصدر نفسه.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ ص٣٠٥.

(٣) راجع: الكافي، الكليني، ج١ ص٤٦٧.

السجادعليه السلام بسبب أمّه لا من يزيد ولا من غيره فهذا يعبر بلا ريب من أنّ أمهعليها السلام من النساء العارفات الفاضلات ذات المكانة العالية في جميع الأصعدة، وقد كشف عن ذلك المعصوم الذي ينطق عن واقعٍ لا يشوبه أدنى شك بقوله أنا ابن الخيرتين.

من كلام المغرضين

ذكروا أن من أسباب دخول الفرس للتشيع إصهار الحسينعليه السلام إلى الفرس؛ لأنّه تزوج ابنة يزدجرد وهو أحد الملوك الساسانيين واسمها شاه زنان فولدت له علي بن الحسين الذي اجتمعت فيه الخواص الوراثية للأكاسرة وخواص الإمامة من آبائه كما يقول صاحب تاريخ الإسلام: إن زواج الحسين بن علي بشهر بانواه إحدى بنات يزدجرد آخر ملوك الأسرة الساسانية، وان الفرس كانوا يرون في أولاد الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، وهذا الشعور الوطني يفسّر تعلق الفرس بعلي من جهة وظهور المذهب الشيعي من جهة أخرى [(١)].

وفي ذلك تقول سميرة الليثي معقبة على رأي أرنولد توينبي في انتشار الإسلام بين الفرس، الذي أدى إلى انتشار الإسلام هو زواج الحسين من شاه بانو إحدى بنات يزدرجرد وقد رأى الفرس في أولاد شاه بانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين [(٢)].

فزواج الحسين على رأي هؤلاء أحد العوامل التي أدت إلى انتشار التشيع لأهل البيتعليهم السلام عند الفرس.

---

(١) تاريخ الإسلام، لحسن إبراهيم، ج ١ ص ٢٢٢.

(٢) الزندقة والشعوبية، ص ٥٦.

والجواب عليه

إنّ من القواعد المسلم بها أنّ حكم الأمثال فيما يجوز أو لا يجوز واحد، وبناء على هذا فإنّ العلة التي ذكرها هؤلاء في اعتناق التشيع من قبل الفرس وهي إصهار الحسين عليه السلام للفرس موجودة عند عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعند محمد بن أبي بكر، فقد تقدم أنّ الصحابة لما جاؤوا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فأخذهن علي، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، وأخرى لولده الحسين، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبد الله بن عمر ولده سالماً، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمد ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة وأُمَّهاتهم بنات يزدجرد [(١)].

وهنا نسأل إذا كانت العلة في دخول الفرس للتشيع هي مصاهرة الحسين عليه السلام للفرس فلماذا لا تطرد هذه العلة فيتسنن الفرس لاصهار عبد الله بن عمر لهم ومحمد بن أبي بكر كذلك؟ مع أن العلة هنا أقوى وآكد حيث يجتمع اثنان بالاصهار وليس واحداً كما هي في الحسين عليه السلام، وكل من محمد وعبد الله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة. بالإضافة لذلك إن كلاً من يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أمه أم ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضاً وبالعكس لماذا لا يميل العرب السنة لأهل البيت الذين أُمَّهاتهم عربية في حين نجد قسماً من العرب يبغض أهل البيت كالنواصب مثلا [(٢)].

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج٣ ص٢٦٧. تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ ص٤٠.

(٢) انظر: هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي، ص ٧٦.

مأساتها في كربلاء

ذكر بعض المؤرخين أنّ السيدة شهر بانويه كانت حاضرة في معركة كربلاء مع زوجها الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقد ورد فى كلام طويل عن حال خروج الحسين عليه السلام وأهل بيته إلى كربلاء، إلى قوله... ثم خرج شاب آخر وهو يقول: تنحوا عني يا بني هاشم، تنحوا عن حرم أبي عبد الله عليه السلام، فتنحى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي على سكينة ووقار، وقد حفت بها إماؤها، فسألت عنها؟ فقيل لي: أما الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام، وأما ألامرأة فهي أمه شاه زنان بنت الملك كسرى، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، فأتى بها وأركبها على المحمل، ثم اركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل [١].

وأيضا التقطت لنا عدسة التأريخ ذكرها في كربلاء في حال براز بني هاشم الى القتال حيث قال: وخرج غلام من خباء من أخبية الحسين عليه السلام وفي اذنيه درتان فاخذ بعود من عيدانه وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف فقتله، فصارت أمّه شهر بانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة [٢].

كما وجاء في المناقب عن ابن آشوب قال: ثم تقدم علي بن الحسين

---

(١) أنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص٣٦٢.

(٢) أنظر: لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين، ص ١٨١.

الأكبرعليه السلام وهو ابن ثمان عشرة سنة، ويقال ابن خمس وعشرين، وكان يشبه رسولصلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً ونطقاً وجعل يرتجز... الى أن قال: فطعنه مرة بن منقذ العبدي على ظهره غدراً فضربوه بالسيف، فقال الحسين: على الدنيا بعدك العفاء، وضمه إلى صدره وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمه شهر بانويه وهي تنظر إليه ولا تتكلم، فبقي الحسين وحيداً وفي حجره علي الأصغر فرمي إليه بسهم فأصاب حلقه، فجعل الحسين يأخذ الدم من نحره فيرميه إلى السماء فما يرجع منه شيء...الخ [١].

ومن هنا نلاحظ أنّ بعض المحققين المعاصرين اتخذ من هذا النص التاريخي شاهداً على جهاد الإمام السجادعليه السلام في كربلاء بين يدي والدهعليه السلام، حيث قال: من المعلوم أنّ أم علي الشهيد هي ليلى العامرية أو برة بنت عروة الثقفي (كما يراه ابن شهر آشوب) والمعروف أن (شهر بانويه) هي أم علي بن الحسينعليه السلام، فلابد أن يكون قد سقط من عبارة مناقب شهرآشوب ذكر مبارزة علي بن الحسين السجادعليه السلام، وبهذا يكون شاهداً على ما نحن بصدده.

(قال) ومن المحتمل أن تكون العبارة مقدمة على موضعها في مقتل علي الأصغر الذي ذكره ابن شهرآشوب بعد هذا النص المنقول، لأن ابن شهرآشوب ذكر أن أُم علي السجاد هي أم علي الأصغر شهربانو رضي الله عنها [٢].

فعلى هذا أنّ السيدة شهر بانويه شاهدت المآسي والآلام سواء في أحداث

---

(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ ص٢٥٧.

(٢) أنظر: جهاد الإمام السجاد ع، السيد محمد رضا الجلالي، ص٤٣.

الطف من استشهاد زوجها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وما جرى عليها من ترويع وعطش وما إليه، أم في حال سبيها مع ابنها السجاد عليه السلام من بلد الى بلد وإدخالها في مجلس الى مجلس ولا تُعرف عاقبة مصيرهم، مع رؤيتها ابنها في حالٍ يرثى له وهو يُؤمر بقتله بين حين وآخر، وهذا مما لا يقل مأساة عن أحداث الطف وما جرى فيه.

زمان وفاتها

لم نلحظ اهتماماً في تتبع سيرتها ومزاياها من قبل المؤرخين وأصحاب السير إلا من القلائل لاسيما من بعض المحدثين، لذلك حصل اختلاف وخلط في تحديد زمان وفاتها عليها السلام، فمنهم ذكروا أنّها عليها السلام توفيت قبل واقعة الطف، بل في حال نفاسها بالإمام السجاد عليه السلام، كما جاء في العيون عن سهل بن القاسم النوشجاني، قال: قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: إنّ بيننا وبينكم نسباً، قلت: وما هو أيها الأمير؟ قال: إن عبد الله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجر بن شهريار ملك الأعاجم فبعث بهما إلى عثمان بن عفان فوهب إحديهما للحسن عليه السلام والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلي بن الحسين عليهما السلام فكفل عليٌّ عليه السلام بعض أُمَّهات ولد أبيه فنشأ وهو لا يعرف أُمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته فكان الناس يسمونها أمه وزعموا أنّه زوج أمه ومعاذ الله إنما زوج هذه على ما ذكرناه وكان سبب ذلك أنه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقيته أمه هذه فقال: لها إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتقي وأعلميني فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج علي بن

الحسين عليه السلام أمّه. وقال لي عون قال لي سهل بن القاسم: ما بقي طالبي عندنا إلا كتب عني هذا الحديث عن الرضا عليه السلام [(١)].

وأمّا الروايات التي تدل على اهتمام الإمام السجاد عليه السلام في برّ أمّه (كما سيأتي ذكرها) فالمراد من أمّه - هنا - أم ولد كانت تحضنه فكان يسميها أمّاً، وأمّا أمّه شهر بانويه فقد توفيت في نفاسها به كما تقدم، فكفلته بعض أُمَّهات ولد أبيه، فنشأ لا يعرف أمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته وكان الناس يسمونها أمه.

وعليه يكون زمان وفاة السيدة شهر بانو معلوم على هذا القول من خلال ولادة الإمام السجاد عليه السلام، فقد ولد عليه السلام في المدينة أو الكوفة في الخامس من شعبان سنة ست أو سبع أو ثمان وثلاثين، فكما يكون هذا اليوم أو الأيام القريبة منه تاريخ لولادة الإمام السجاد عليه السلام فكذلك يكون تاريخ لرحيل أمّه السيدة شهر بانو.

ولكن منهم قال إنّها بقيت حية وشهدت أحداث عاشوراء، كما جاء في الأخبار التي تقدم ذكرها في حضورها كربلاء، بالإضافة إلى الروايات التي كانت تبين لنا حال احترام وبرّ الإمام السجاد عليه السلام لأمّه.

منها: ما روي أنه قيل له عليه السلام: إنك أبر الناس وأوصلهم إلى الرحم فكيف لا تؤاكل أمك؟ قال: إنّي أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه فأكون عاقا لها[(٢)].

وفي رواية وكان ابنها شديد البر بها، كما ذكره أبو العباس الفاضل الحافظ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١ ص١٣٥.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٥١٨.

يرفعه، قال: ما أكل علي بن الحسين عليه السلام مع أمّه فاكهة إلا وهي مغطاة خشية أن تمتد يده إلى ما مدت إليه عينها [١].

محل قبرها

لم يذكر التأريخ لنا مكان قبرها، ولكن يمكن أن نثبت ذلك من خلال ولادتها للإمام زين العابدين على القول في أنّها ماتت في نفاسها به عليه السلام فإذا كانت قد ولدته في المدينة كما هو المشهور فلا ريب من أنّ يكون قبرها بالمدينة في البقيع، أما لو قلنا ولدته في الكوفة وذلك لأنّه ولد في أواخر حياة جده أمير المؤمنين وقد عاصره سنتين ومع أنّ الأمام كان في الكوفة بعدما تحولت العاصمة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة وكان الخليفة آنذاك وقد كان الحسن والحسين عليهما السلام معه كما هو ثابت، ولم يوجد خبر أن الحسين عليه السلام ذهب إلى المدينة أو استقر هناك، فعليه يكون قبرها بالكوفة؛ لأنّ ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام في الكوفة وهي ماتت في حال نفاسها به كما تقدم، وأمّا على القول الثاني من أنّها ماتت بعد أحداث الطف، فأيضاً يكون أقرب الأقوال من أنّ قبرها في المدينة؛ لأنّها بقيت مع ابنها السجاد عليه السلام وهو لم يفارق مدينة جده، بل استقر فيها إلى أن وافاه الأجل وقد دفن فيها.

ولكن هناك قول ثالث ضعيف تعارف عليه الناس إلى زماننا هذا من أنّ قبرها في طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولها مزار يقصده الناس وتطلب حوائجها وهو إلى اليوم معلوم لقاطنيها، ولكن لم نعثر على دليل يثبت

(١) المجدي في أنساب الطالبين، على بن محمد العلوي، ص ٩٣.

ذلك لا من التاريخ ولا من غيره، إلا أنّ الناس يقولون هذا قبر أُمّ الإمام زين العابدين عليه السلام والله العالم، نعم قد ذكر البعض أنّ جماعة تعتقد أنّ السيدة شهربانو بقيت على قيد الحياة إلى ما بعد أحداث كربلاء سنة (٦٠) للهجرة ومن ثم جاءت نحو إيران وفيها توفيت ودفنت قريب من شهر ري [(١)].

السجاد يزوج حاضنته

كان الإمام السجاد عليه السلام يدعو خدمه كل شهر ويقول: إني قد كبرت ولا أقدر على النساء فمن أراد منكن التزويج زوجتها، أو البيع بعتها، أو العتق أعتقتها، فإذا قالت إحداهن: لا، قال: اللهم اشهد حتى يقول ثلاثاً، وإن سكتت واحدة منهن قال لنسائه: سلوها ما تريد، وعمل على مرادها [(٢)]. ومن جملة هذه النسوة حاضنته التي كان الناس يسمونها أمه حتى زعموا أنّه زوج أمه، أو التي كانت ترعاه وتخدمه بشكل مباشر حتى عرفت كأمّه، هذا مع غض النظر عن صحة وثبوت هذه القصة، وكان سبب تزويج حاضنته أنّه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقيته أمة (حاضنته) هذه فقال: لها إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتقى وأعلميني فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج علي بن الحسين عليه السلام أمّه حتى أن بعض ملوك بني أمية (عبد الملك بن مروان) أرسل إليه يعاتبه في ذلك، ولم تكن أمّه إنما كانت حاضنته. ولم يكن أهل المدينة يرغبون في نكاح الجواري حتى ولد علي بن الحسين فرغبوا فيهن.

---

(١) أنظر: مادران جهارده معصوم عليهم السلام، أحمد أمير بور، ص١٦٣.

(٢) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص١١٦.

من أزواج الحسين عليه السلام

١- ليلى (أم علي الأكبر)

ليلى بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. يكنى بأبي مرة. فعروة بن مسعود الثقفي زعيم من زعماء العرب وسيد ممن ساد قومه فأحسن السيادة، وهو رابع من أربعة من العرب سادوا قومهم، كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: «أربعة سادة في الإسلام: بشر ابن هلال، وعدي بن حاتم، وسراقة المدلجي، وعروة بن مسعود الثقفي»[١]. وهو أحد الرجلين العظيمين الذي قالت قريش فيهما، حيث بالغوا به وتطرفوا إذ عظّموه تعظيماً على حساب النبي صلى الله عليه وآله ليجعلوا منه شخصية تضاهي النبي الأعظم كما حكى القرآن عن ذلك بقوله: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[٢]، والقريتان هما مكة والطائف.

نعم كان شخصية مرموقة لكن أبى أن يكون انتهازياً كغيره من المرتزقة، بل كان شجاعاً وجريئاً وقد صمم على أن يدعو قومه للإسلام بعدما أسلم وأحسن على يد الرسول صلى الله عليه وآله عندما اتبع أثره من الطائف وأدركه قبل دخوله مكة فقد ذكروا: «لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٢ ص ٤٢٢.

(٢) الزخرف: ٣١.

وسلم إن فعلت فإنهم قاتلوك فقال يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم محبباً مطاعاً فخرج يدعو قومه إلى الإسلام فاظهر دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف على قومه وقد دعاهم إلى دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله [(١)].

وفي لفظ آخر: أنّه رضي الله تعالى عنه قدم الطائف عشاءً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام نصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يغشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله، فقيل له قبل أن يموت ما ترى في دمك فقال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أنّ يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم [(٢)].

وقد قال في حقه النبيصلى الله عليه وآله: إنّ مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه [(٣)]. حيث دعى قومه إلى الله فقتلوه، فهنا ذكر النبيصلى الله عليه وآله حسن عاقبته وخاتمة مطافه إلى الحق تعالى.

كما قد شبَّههصلى الله عليه وآله بالمسيح ابن مريمعليه السلام في صورته حيث قالصلى الله عليه وآله: عرض عليّ الأنبياءعليهم السلام فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ورأيت

---

(١) راجع: الاستيعاب، ابن عبد البر ج ٣ ص ١٠٦٦.

(٢) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي، ج٣ ص ٢٤١.

(٣) راجع: السيرة النبوية، ابن كثير، ج ٤ ص ٥٤.

إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وآله [(١)].

وأمّا أمها: فهي ميمونة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية، أي أنّ أبا سفيان يُعد جداً لليلى، ولكن شوائب أمية لم تمس من ليلى أو تؤثر فيها، فهي من سلالة الأمجاد والمكارم من آل مسعود، فقد ترك أبوها في نفسها آثار الهدى والإيمان والاستقامة على الدين الحنيف إلى أن أصبحت عضواً مميزاً في العائلة الهاشمية.

وقد ولدت ليلى للإمام الحسين عليه السلام علياً الأكبر أول شهيد من بني هاشم يوم عاشوراء، ولقد استمد الشهيد (علي الأكبر) أمجاده من جهة الأب سادة قريش وزعماء العرب، ومن جهة الأم من مفاخر العرب ثقيف.

حضور ليلى في كربلاء

هناك جملة من النصوص والقرائن تؤكد وجود ليلى (أم علي الأكبر) في كربلاء، وكلامنا هنا ليس من باب الادعاء حتى يلزمنا الإتيان بالبينة، بل هذا يلزم الطرف الآخر الذي يدعي عدم وجودها في كربلاء؛ لأن من المسلم والثابت أنّ الحسين عليه السلام وأهل بيته ونساءه (شاء الله أنّ يراهن سبايا) [(٢)] وصحبه حلّوا في كربلاء وجرى ما جرى، فمن أنكر حضورها معهم يلزمه البينة؛ لأنه أصبح مدّعيّاً وحينئذٍ تلزمه البينة، ومع الأسف إنّ الذين أدعوا عدم وجودها وحضورها في كربلاء لم يبرهنوا لا من بعيد ولا من قريب، نعم صادروا بقولهم: لم يذكر

(١) راجع: الاستيعاب، ابن عبد البر، ج٣ ص١٠٦٧.

(٢) راجع: مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، ص١٣٢. وغيره كثير.

المؤرخون ليلى في كربلاء، وربما تنزّل البعض وقال: ولم يذكر أحد في السير المعتبرة حياة ليلى أم الأكبر يوم الطف فضلاً عن شهودها [(١)]. ولا أدري هل هذا يعتبر دليلاً يثبت فيه ما ذهبوا إليه؟ وحتى لو سلمنا أنهم استقرأوا واطلعوا على كل كتب التاريخ والسيرة والحديث والأنساب وغيرها من الأولين والآخرين فهو لا يكون دليلاً على إثبات المدعى الذي ذهبوا إليه؛ لأنّ عدم ذكر التاريخ لها لا يلزم منه بالضرورة عدم وجودها في كربلاء، حتى لو قلنا إنّه ذكر بعض نساء الحسين عليه السلام وبناته، لأنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، حيث لم نجد ملازمة إطلاقاً، مع أنّ التاريخ لم يعط اهتماماً إلى ذكر المرأة على مرّ التاريخ، لاسيما وأنّ نساء أهل البيت عليهم السلام يتمتعن بالعفّة والحشّمة ومهما أمكن يبتعدن عن الأنظار وغيرها، وربما يتعذر على الحاضرين أن يميزوا بينهن أو يعرفوا أسماءهنَّ إلا أن يستعينوا بأقرب الناس إليهن. ومع هذا كله فقد ذكر التاريخ حضورها في كربلاء ومشاركتها المآسي والآلام مع زوجها عليه السلام وأولادها وكانت جزءاً من الثورة الحسينية في المبادئ والأهداف والعواطف، ونذكر ذلك كي تقرّ به عين القارئ الكريم مراعين الاختصار والإيجاز؛ لأنّه ليس مورد بحثنا.

من الأدلة على حضور ليلى في كربلاء

إضافة إلى ما تقدم فقد ذكروا عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الرحيل إلى كربلاء أمر بحمل نسائه معه فكانت كل امرأة يركبها ابنها أو المقرب لها المحمل

---

(١) راجع: نفس المهموم، الشيخ عباس القمي، ص١٦٧. وقاموس الرجال، المحقق التستري، ج٧ ص٤٢٢. والملحمة الحسينية، العلامة الشهيد مطهري، ج١ ص١٨.

ومن جملة هذه النسوة ليلى حيث أركبها ابنها علي الأكبر، كما قال الراوي... ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه امرأة، وقد حفت بها إماؤها، فأركبها ذلك الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أما الغلام فهو علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام، والامرأة أمه ليلى زوجة الحسين عليه السلام [(١)].

وأيضاً جاء ذكرها في جملة النساء اللاتي وقفن وشاهدن أبناءهنَّ في كربلاء، حيث قال: علي بن الحسين عليهما السلام فإن أمه ليلى واقفة تدعو له في الفسطاط على ما روي في بعض الأخبار، وتراه يقطع وتنظر إليه [(٢)].

وأيضاً ورد عن حكيم بن داود، عن سلمة، قال حدثني أيوب بن سليمان بن أيوب الفزاري، عن علي بن الحزوّر، قال: سمعت ليلى وهي تقول: سمعت نوح الجن على الحسين بن علي عليه السلام وهي تقول:

يا عين جودي بالدموع فإنما ... يبكي الحزين بحرقة وتفجع

يا عين ألهاك الرقاد بطيبه ... من ذكر آل محمد وتوجع

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم ... بين الوحوش وكلهم في مصرع [(٣)]

ولا أقل نستفيد من هذا النص، أنّها باقية على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك روايات وردت في حال مصرع علي الأكبر والعزاء له تحتوي قرائن

(١) راجع: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص٣٦٢.

(٢) راجع: أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي، ص٢٢٤.

(٣) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١٩٢.

جلية من أنّ المراد من المرأة التي خرجت ونادت وبكت هي أمه ليلى، نذكر واحدة منها وهي ما جاء عن حميد بن مسلم والذي هو أحد الذين حضروا المعركة ونقلوا أخبارها ويعتبر في اللسان المعاصر صُحفي أو مراسل أو شاهد عيان مع غض النظر عن طبيعة انتمائه، فقال حميد بن مسلم: فكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه؟ فسألت عنها فقيل: هي زينب بنت علي عليهما السلام وجاءت وانكبت عليه فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط وأقبل عليه السلام بفتيانه وقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه فجاؤوا به حتى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه [١].

والملاحظ هنا أنّ التعبير بـ (يا ثمرة فؤاده) يشير إلى أنّها تندب ولدها وليس ابن أخيها؛ لأنّ ثمرة الفؤاد تدل على الولد، سواء في لسان الأحاديث أم في اللغة، كما ورد عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: درت دريرة فبكيت، فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها وذلك لكل مؤمن، إنّ الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها أبداً [٢]. وغيرها من الروايات التي تفسر ثمرة الفؤاد بالولد. وقد جاء في اللغة كما في تاج العروس أنّ الولد ثمرة القلب. وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم

---

(١) راجع: أبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد السماوي، ص٢٢٤.

(٢) راجع: الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣ ص ٢١٨.

ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. قيل للولد: ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر، والولد ينتجه الأب. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾ أي: الأولاد والأحفاد(١). وعليه نقول ربما اشتبه الأمر على الراوي في تعيين اسم المرأة لاسيما في ساحة الوغى حيث يصعب التأكيد على الجزئيات، بالإضافة إلى ما تقدم من عدم تمييز ومعرفة نساء أهل البيت عليهم السلام، مع أنهن محجوبات عن أنظار الناس حتى في حال معركة الطف، فيصعب تشخيصها ومعرفتها لا من الراوي ولا من غيره، ولعل اطلاق اسم السيدة زينب في الجواب لكونه كان هو المعروف والمتداول لدى الجميع، فعلى هذا ليس من البعيد أنّ المراد بالمرأة هنا هي أمّه ليلى. والمحصل من كل ما تقدم أنّ حضور السيدة ليلى في كربلاء وبقائها على قيد الحياة الى ما بعد ذلك أمر ثابت ولا غبار عليه.

٢- الرباب (أم عبد الله الرضيع)

هي الرباب بنت امرء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم ابن جناب بن كلب. وكان امرء القيس زوج ثلاث بناته في المدينة من أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، المحياة بنت أمرء القيس للإمام علي عليه السلام وسلمى بنت أمرء القيس للإمام الحسن عليه السلام، والرباب بنت أمرء القيس للإمام الحسين عليه السلام، فكانت الرباب عند الحسين عليه السلام وولدت له سكينة وعبد الله الرضيع الذي كان من جملة الشهداء في الطف. وأمها، هند الهنود بنت الربيع بن مسعود ابن مصاد بن حصن بن كعب، كانت من خير النساء وأفضلهن.

---

(١) راجع: تاج العروس، الزبيدي، ج ٦ ص ١٥٠.

والرباب هي التي يقول فيها أبو عبد الله الحسين عليه السلام

لعمــــرك إنـــــني لأحـــــب دارا تحــــل لهــــا ســــكينة والربــــاب

أحبهمـــا وأبـــذل جـــل مـــالي ولـــيس لعاتـــب عنـــدي عتـــاب [١]

وقال ابن عساكر هي التي أقامت على قبر الحسين عليه السلام حولاً، ثم قالت:

إلى الحـول ثـم اسـم الـسلام عليكمـا ومـن يبـك حـولاً كـاملاً فقـد اعتـذر

وسكينة اسمها آمنة أو أميمة وإنما سكينة لقب لقبتها أمها الرباب بنت امرئ القيس، ولما توفي الحسين خطبت الرباب وألح عليها فقالت ما كنت لأتخذ حمواً بعد ابن رسول الله عليه السلام فلم تتزوج وعاشت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً وكانت من أجمل النساء وأعقلهن [٢].

وقال المسعودي والإصبهاني والطبري وغيرهم: إن الحسين لما آيس من نفسه ذهب إلى فسطاطه فطلب طفلاً له ليودعه، فجاءته به أخته زينب، فتناوله من يدها ووضعه في حجره، فبينا هو ينظر إليه إذ أتاه سهم فوقع في نحره فذبحه قالوا: فأخذ دمه الحسين عليه السلام بكفه ورمى به إلى السماء وقال: اللهم لا يكن أهون عليك من دم فصيل، اللهم إن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا: وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين، فلقد هون ما بي أنه بعينك يا أرحم الراحمين قالوا: فروي عن الباقر عليه السلام: أنه لم تقع من ذلك الدم قطرة إلى الأرض [٣].

---

(١) راجع: مقاتل الطالبيين، أبو فرج الاصفهاني، ص ٥٩.

(٢) راجع: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٦٩ ص ١٢٠.

(٣) راجع: حاشية مقتل الحسين عليه السلام، ابو مخنف الأزدي، ص١٧٢.

محتويات الكتاب